خط السماء فى أمريكا

شكل المدن والبلدان وتطورها

تأليف

كرستوفر تنارد

هنرى هوب ريد

ترجمة

دكتور مهندس محمد حماد

تقديم

دكتور مهندس سيد كريم

خط السماء فى أمريكا

شكل المدن والبلدان وتطورها

تأليف

كرستوفر تنارد و هنرى هوب ريد

ترجمة

دكتور مهندس محمد حماد

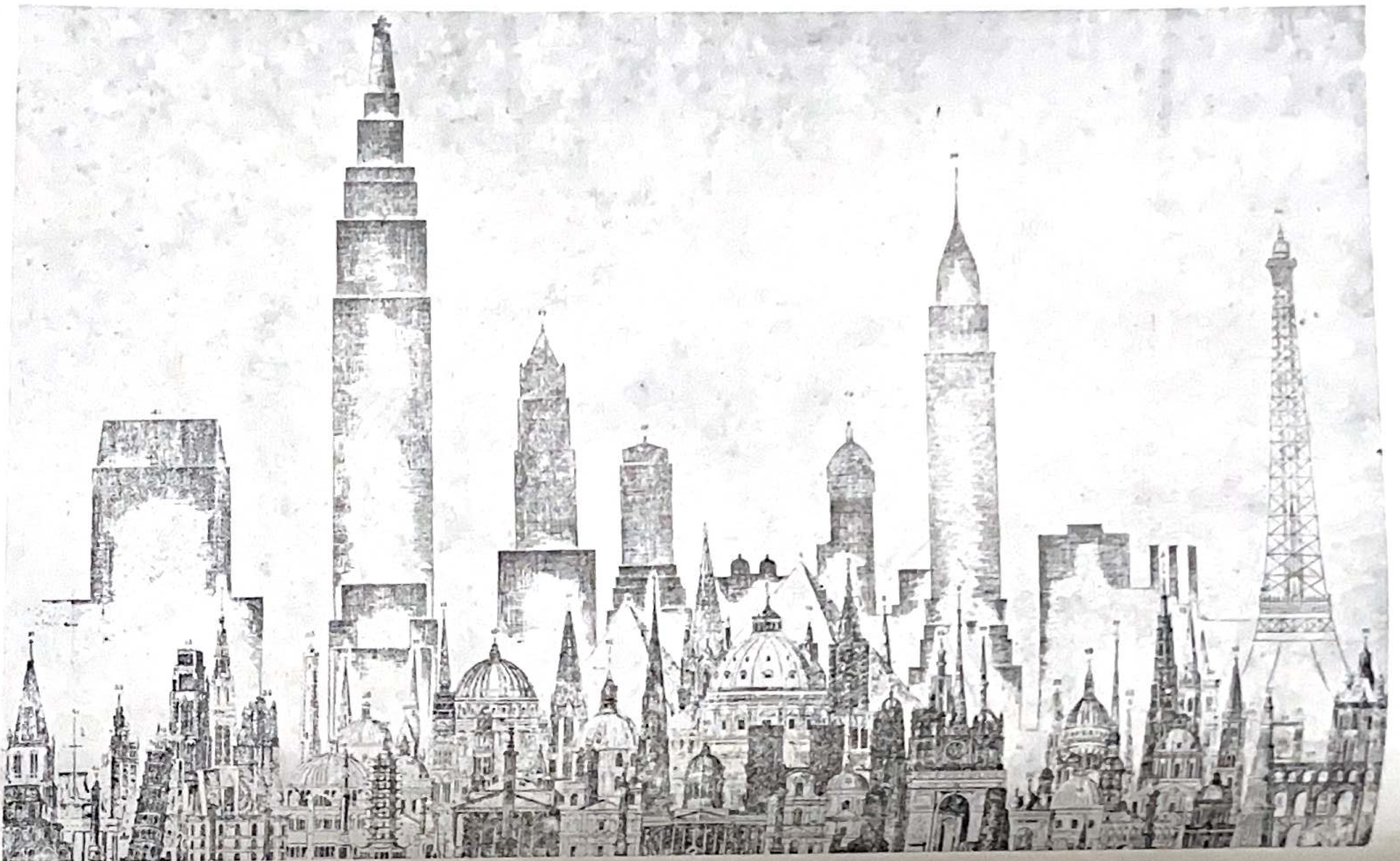
تقديم

دكتور مهندس سيد كريم

١٩٦٣

AMERICAN SKYLINE
by
Christopher Tunnard & Henry Hope Reed
Published by the New American Library

محتويات الكتاب



العناصر المعمارية العالمية المكونة لخط السماء   عن مجلة العمارة

رقم المبنى	بيان المبنى	ارتفاعه
١	قبة كاتدرائية كلن ١٥٢ مترا الآن	١٦٠ مترا
٢	أهرام خوفو	١٢٧ «
٣	كنيسة استرامبورج	١٤٢ «
٤	كنيسة استيفن . فينا	١٣٩ «
٥	كنيسة مارتن	١٣٧ «
٦	سان بترزروم . روما	١٤٣ «
٧	كاتدرائية انتفرين . بلجيكا	١٣٠ «
٨	كنيسة مخائيل . همبورج ألمانيا	١٤٣ «
٩	كاتدرائية أميان . فرنسا	١٢٨ «
١٠	كنيسة فرايبورج ألمانيا	١٢٦ «
١١	هرم خفرع . مصر	١٢٦ «
١٢	كاتدرائية روان . فرنسا	١٥١ «
١٣	كاتدرائية شارتر . فرنسا	١٢٢ «
١٤	قبة مقسر . ألمانيا	١١٨ «
١٧	كنيسة بتروباول لينجراد . روسيا	١٠٦ «
١٨	قبة كنيسة برجوس . أسبانيا	١٠٩ «

رقم المبنى	بيان المبنى	ارتفاعه
١٩	كنيسة سان بول	١٠٩ مترا
٢٠	قبة ميلانو . إيطاليا	١٠٨ «
٢١	كنيسة أولم	١٦١ «
٢٢	بلدية بروكل	٩٠ «
٢٣	برج اسيتللي . بولونيا	٩٨ «
٢٤	كاتدرائية مالين . فرنسا	١٠٥ «
٢٥	كاتدرائية أورليان فرنسا	١٠٥ «
٢٦	الأنفليد . باريس	١٠٤ «
٢٩	كنيسة إسحاق لينجراد . روسيا	٩٧ «
٣١	قبة فرانكوفرت . ألمانيا	٨٤ «
٣٢	قبة سيفيليا . أسبانيا	٨٣ «
٣٣	كنيسة فيليلي . موسكو	٩٧ «
٣٤	كاتدرائية زيمز . فرنسا	٨١ «
٣٥	كنيسة بازل . سويسرا	٦٦ «
٣٦	الباتثيون . باريس . فرنسا	٦٩ «
٣٧	برج قطب مينار . دلهى بالهند	٧٣ «
٣٨	كنيسة تمانيز ميونخ بألمانيا	٧٨ «

رقم المبنى	بيان المبنى	ارتفاعه
٣٩	كاتدرائية روان	٧٥ مترا
٤٠	كنيسة وستمنستر . لندن	٦٨ «
٤١	قلع مركب حربية ألمانيا من ذوات ١٢٠ مدفعا	٧٢ «
٤٤	نوتردام دى بارى	٦٦ «
٤٥	برج من الصينى فى نانكين بالصين	٦٤ «
٤٩	جامع أياصوفيا . استانبول بتركيا	٥٨ «
٥١	برج بيزا المائل . إيطاليا	٥١ «
٦٠	أعمدة أنطونيوس . روما	٤٤ «
٨٤	رأس أبو الهول بالجيزة (الآن كله)	٥ر٨ «
٨٥	عمارة التليفونات . نيويورك أمريكا	٢١٥ «
٨٦	ناطحة السحاب امبر استيب نيورك	٤٠٨ «
٨٧	« « ويل روث . أمريكا	٢٥٤ «
٨٨	« « للتصديرات	٢٠٢ «
٨٩	« « سنجر	٢٠٩ «
٩٠	« « كريزلر	٣٠٣ «
٩١	برج إيفل . باريس	٣٠٠ «

مقدمة الترجمة العربية

بقلم دكتور مهندس سيد كريم

مستشار التعمير والتخطيط بالأمم المتحدة
ورئيس مجلس إدارة شركة مصر للسياحة

خط السماء
المعبد والمدينة

خط السماء هو الخط الذى تشكله قمم المرتفعات . . فيفصل بين الأرض والسماء . . رسمته الطبيعة بأشجارها وصخورها وجبالها . ورسمته يد الإنسان بفنون عمارته ليثبت وجوده ويحدد معالم حضارته .

لما كانت العمارة مرآة صادقة تعكس تاريخ الأمة وحياة مجتمعها ومقومات كيانها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، كانت المعالم المعمارية التى ارتفعت فوق آفاق المدن لترسم خط السماء وتشكل تخطيطه ، هى الصورة الصادقة التى تعكس حياة الشعب والعناصر المكونة لمدنيته .

إن الحضارة قد بدأت فوق الأرض بالبحث عن الإله . . وربطت بين المخلوق والخالق . . . فربطت بين الأرض والسماء . . رفع الإنسان يديه نحو السماء باحثاً عن الإله . . فارتفعت أيادى آثاره المعمارية بدورها متجهة نحو السماء ممثلة فى مسلات المعابد وأبراج الكنائس ومآذن المساجد ، لقد آمن الإنسان بالخلود فخلد حضارته بعمارته التى رسمت خط السماء .

إذا كان خط السماء فى أى أرض وفى أى بلد يسجل نماذج الآثار المعمارية الخالدة فى ماضيها وحاضرها ، ويعبر عن نشأتها وتطورها — فمصر مهد المدنيات ومعلمة الحضارات ، مصر التى رسمت الخطوط الأولى التى خطتها يد الإنسان فى خط السماء — تلك الخطوط الهندسية الصريحة التى تمثلت فى الأهرام والمسلات والمعابد والتماثيل الضخمة — لقد عبرت تلك الخطوط والظلال البحر الأبيض المتوسط لتشترك فى رسم خطوط السماء الأولى فى الحضارات التى ظهرت فيما بعد على شواطئه ، فلم تخل حضارة أو مدنية من بصمات أصابع الحضارة المصرية فى الخطوط الأولى لكل منها .

ورغم أن الحضارة الأمريكية التى ظهرت فى النصف الآخر من الكرة الأرضية من أحدث حضارات العالم ، إلا أننا نجد أن خط سمائها قد ظهرت به آثار بصمات الحضارة المصرية القديمة ، التى امتدت يدها عبر المحيط من آلاف السنين لترسم بداية الخط .

لقد سجل التاريخ الفرعونى القديم أن الملك أمنوفيس الثانى أرسل ثلاث بعثات عبر الحدود ، لتستكشف مكان الجنة التى اختلف الآلهة الأقدمون فى تحديد موضعها .

أهى التى تشرق منها الشمس كل صباح ؟

أم هى التى تأوى إليها كل مساء ؟

أم هى التى ينبع منها نهر النيل — نهر الحياة ؟

لقد وصف التاريخ القديم كل بعثة من تلك البعثات التى أعدها أمنوفيس وغادرت وادى النيل حوالى سنة ١٤٥٠ ق . م . حاملة ما احتاجت إليه من عتاد ومعدات وسفن ومعالم للحضارة ، وزودت كل بعثة بمجموعة من العلماء والفنانين والصناع فى مختلف الحرف . ذهبت كل منها لتبحث عن الحقيقة . . وتنقل إلى مختلف أنحاء العالم حقيقة حضارة وادى النيل .

فالبعثة التى ذهبت لتقتفى أثر الشمس فى مدارها وسيرها نحو الغرب ، عبرت الصحراء الغربية حتى وصلت إلى شاطىء المحيط — فكانت أول أسطول بحرى فى تاريخ البشرية ينزل فى المحيط الأطلسى — وانقطعت أخبار البعثة التى لم تعد إلى وادى النيل ، ليفاجأ العالم الحديث عند اكتشاف أمريكا بأن خط السماء فى نصف الكرة الآخر قد انعكست عليه ظلال الأهرام المدرجة والمعابد والتماثيل والمسلات . . مدنية نقلت إلى ذلك العالم فنون النحت والرسم والتخطيط وطقوس العبادة . . عبادة الشمس التى ذهبوا وراءها لتستكشف لهم عن حقيقة

غير التى كانوا يبحثون عنها — حقيقة أرض جديدة كتب التاريخ أن تلعب دوراً حيوياً فى مدنية العصر الحديث بمختلف مؤثرات طابعه وطرازه الذى ارتبط بالحديد والزجاج والتصنيع والثروة .

لقد تغير خط السماء من عصر إلى آخر تبعاً لعناصر تكوينه أو تكوين حضارة الشعوب التى يحدد معالمها . لقد كانت هياكل المعابد وأبراج الكنائس ومآذن المساجد ترسم خط السماء عندما سيطرت الأديان ومبادئها على حضارة المجتمع فارتفعت مبانيها عن بقية مبانى المدن . وعندما أصبحت السيطرة للقوى العسكرية ارتفعت أقواس النصر ومبانى القلاع لترسم بدورها خط السماء . كما أن الصناعة عندما كانت لها الكلمة فى تطور الحضارات ارتفعت مداخن المصانع وأبراجها لتخفى المعابد والقلاع — وعندما سيطر رأس المال ارتفعت مبانى ناطحات السحاب التى تعبر عن دور المال والشركات والمكاتب لتعبر عن سيطرة المادة ، ويرتفع خط السماء لناطحات السحاب .

خط السماء هو بمثابة الخط البيانى الذى ترسمه ضربات نبض المدنية فى كل عصر وكل شعب .

وكتاب « خط السماء فى أمريكا » هو دراسة تحليلية لخط السماء الذى صنعته يد الإنسان ، لتحدد معالم الحضارة وصور المدنية ، وما طرأ عليها من تغييرات أملتها ظروف الحياة التى أحاطت بتلك البلاد الجديدة .

وتشرح صفحات الكتاب ما كان للدين والتجارة والصناعة وأداة الحكم من أثر فى رسم هذا الخط وتطور تشكيله ، إذ لم يترك المؤلفان كبيرة أو صغيرة إلا أثبتاها فى دراستهما الشيقة ، سعياً وراء العوامل والأحداث التى أثرت على طابع المنظر الأمريكى بناطحات سحابه ومنشآته الشاهقة وأبراجه وقبابه وحدائقه . . فيقدم الكتاب فى تسلسل بديع تطور العمارة الأمريكية وتخطيط المدينة ابتداء

من الأكواخ الخشبية .. إلى العمارات التى تجاوز ارتفاعها المائة طابق ، ويعتمد فى عرضه الفلسفى على البحث والتحليل ، فلم يغفل ناحية الجمال الفنى فى مختلف أشكاله ومذاهبه ومدارسه ، كما يعرفنا بعدد من الشخصيات المعمارية والفنية وغيرهم ممن كان لمجهوداتهم — كل فى دائرة نشاطه — أبلغ الأثر فى تقدم البلاد الأمريكية وازدهار عمرانها .

والكتاب مقسم إلى تسعة فصول كل منها عبارة عن بحث شامل فى دراسة ناحية معينة . فانفرد الفصل الأول بالبحث عن النموذج الاستعمارى ، ثم تناول الفصل الثانى بداية الجمهورية الفنية ، ثم العصر الرومانتيكى وعصر التجارة والحديد ، وعصر المدينة النامية ، ثم حركة تجميل ، وقيام مدينة الأبراج ، والمدينة الإقليمية ، وينتهى بالفصل التاسع وهو عبارة عن ملخص موجز لمختلف العصور والتطورات التى تناولها الكتاب ، والتى مرت على الحضارة الأمريكية فرسمت خط سمائها .

وإننا إذ نشيد بالمجهود الرائع الذى قام به المؤلفان فى البحث عن أسس التخطيط والمؤثرات فى العمارة الأمريكية فى هذا الكتاب الذى أضافاه إلى المكتبة الأمريكية ، ننوه بالمجهود القيم الذى بذله المترجم فى تعريب المصطلحات الفنية والعبارات الأمريكية الدارجة التى وردت بالكتاب ، راجين أن يؤدى الكتاب غرضه فى تقريب وجهات النظر بالنسبة للفنون المعمارية والتخطيطية ووضع الخطوط الأولى فى تاريخ أمريكا العمرانى .

دكتور سيد كريم
مستشار التعمير والتخطيط
هيئة الأمم المتحدة

تمهيد

هذا الكتاب هو نظرة إلى المدينة فى أمريكا . . . أمريكا التى أنشأتها يد الإنسان . . . أمريكا بما فيها من المصانع والمساكن وناطحات السحاب ، والفنادق والطرق ومجمعات الانتظار ، يصف كيف تشكل هذا المنظر ، وكيف أصبح جزءاً من تراث أمريكا ، وما له من أثر فى الحياة التى نعيشها ، ثم كيف يجوز لنا بدورنا أن نعيد تشكيل هذا بحيث يتلاءم مع المستقبل .

الأمريكيون والأجانب سواء فى ميلهم إلى وصف مناظر مدننا الأمريكية بالارتجال والافتقار إلى القوام وبأنها وليدة الصدفة ، وما أبعد هذا عن الحقيقة . . . فعلى الرغم من عدم توافر الجمال دائماً ، فإن كل طريق أو منطقة من مدننا تعكس تصميمات أو تخطيطات قام بها فرد أو أفراد سواء كانوا ملاك مساكن أو مؤسسة مصرفية . . . هيئة فردية أو حكومية محلية . ومن المسلم به أن هذه القطاعات من المجتمع قد لا يكون نصيبها التوفيق دائماً أو أن نتائج أعمالها لم ترق إلى المستويات العليا ، ومع ذلك فمن المؤكد أن مقار الأعمال والمركز الاجتماعى والقطاعات المدنية والمنشآت الصناعية لم تقم بمحض الصدفة ، فهناك دائماً علاقات وطيدة بينها وبين المدنيات التى أبرزتها .

« من الواضح أن فضائل أو نقائص تخطيط المدينة ليس مرجعه التخطيط السابق بقدر ما يرجع إلى الطريقة التى نفذ بها التخطيط نفسه . إن الأخطاء الرئيسية فى المدن الحديثة تنتج عن التخطيط المجزأ دون ثمة اعتبار مناسب للمجتمع كوحدة » . قال هذا توماس آدامز ، وهو أحد ثقاة الأمريكيين فى شئون المدن الأمريكية .

ما مدى ما يعكسه تطور مدننا وبلداننا من حياة شعبنا وتاريخه ؟ . . . المساكن المريحة وتخطيطات المدن الصغيرة الأنيقة للمستعمرات نلاحظ فيها انعكاساً مباشراً للمجتمع البروتستانتى التجارى قبل عام ١٨٢٠ ، عندما ساعد تغيير الذوق والثروات التى بدأت فى التجمع على زيادة الترف والإسراف .

إن الفيلات اليونانية البيضاء والحدائق الرومانتيكية المنتمية إلى فترة أبعد ، تعكس نزعة التحرر وسياسة حرية العمل لذلك الجيل ، هذا بينما كانت منازل ما بعد الحرب الأهلية ذات الأسقف المائلة والطرقات المغروسة بها الأشجار بالمناطق السكنية ، وليدة عهد كان يبحث عن الطرز وعن ارتباطات وثيقة بالمدنية الاوروبية . وأعلن عهد امتداد المدن وانتشار المصانع العملاقة فى صورة واضحة ، نهوض الشركات المساهمة والمدينة الإقليمية التى نراها اليوم ، وقد كان تلاشى الفروق مابين البلدة والريف أمراً لا مناص منه نظراً لكمال التوزيع الجماعى ، والأساليب الحديثة للمواصلات ، كالطرق الطويلة المهدة والتليفزيون ، ولنهوض النقابات العمالية ، ثم سيادة فكرة البعد عن المدينة على حياتنا اليومية .

فالمجتمع المدنى فى أمريكا إذن ليس وليد الصدفة ، بل إن قوى ثابتة هى التى صاغت نماذجه العديدة ، والحاجز الذى مازال باقياً بيننا وبين المدينة الأمريكية مبنى على الجهل .

لم يكن فى مقدورنا أن نتحدث عن كل مانراه حولنا من اقتصاديات وقوى سياسية واجتماعية شكلت هذا النموذج . . . وهذا حاجز آخر فى سبيل فهم أنفسنا كأمة تتميز عن الشعوب الأخرى .

إن أحد أغراض هذا الكتاب هو تشجيع البحث عن هذه القوى حتى تزداد قدرتنا على خلق مدينة تعكس تطلعاتنا القومية ورغباتنا . . . إن المدينة —

سواء رضينا أم لم نرض — تتسلط على مصلحة المجتمع الحديث مما ينبغى معه أن تكون أسمى ما يخلق الإنسان .

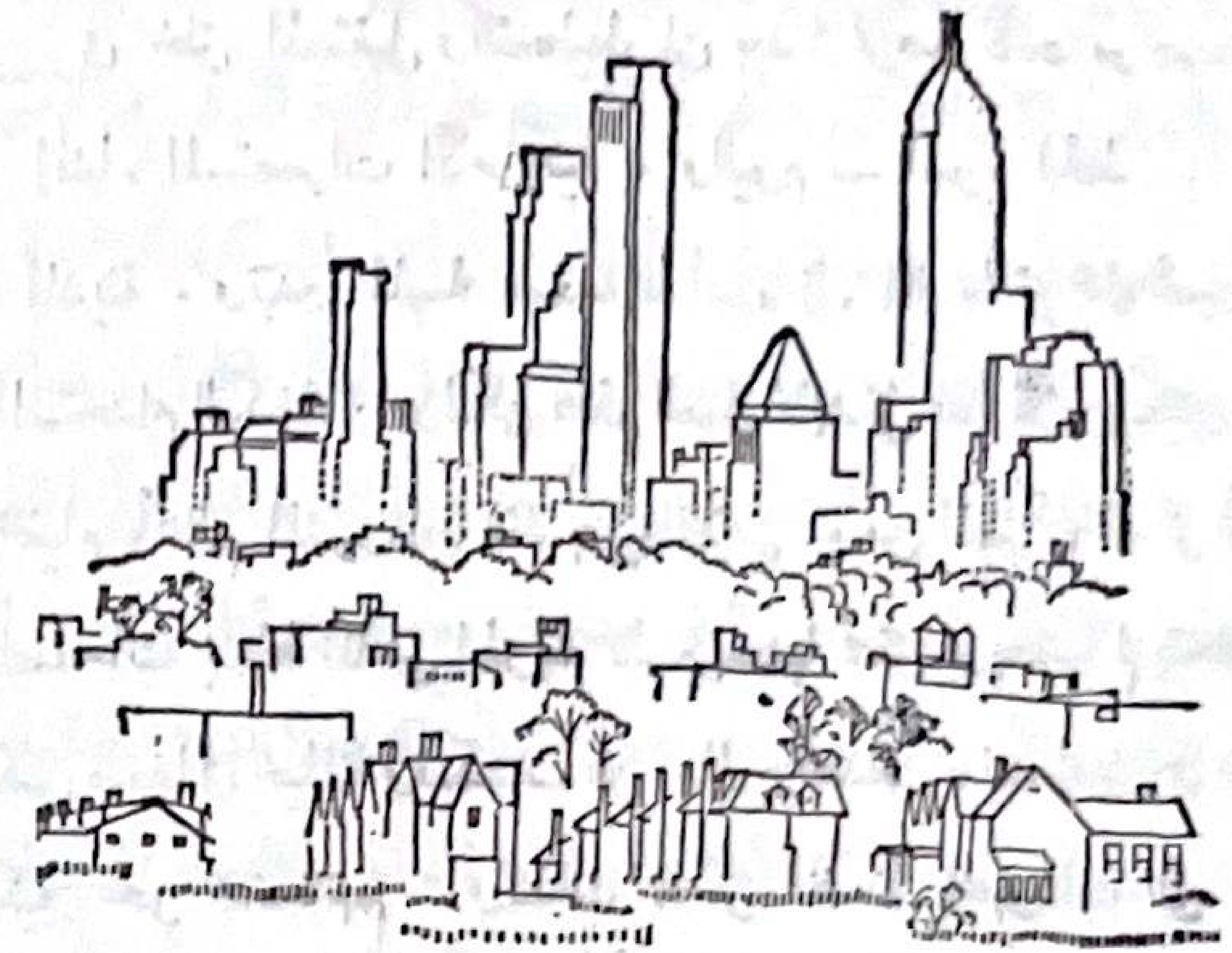
إن فى خلق المستقبل والتخطيط لمن بعدنا فرصة كانت موجودة دائماً منذ بدء إنشاء المستعمرات الأمريكية ، واليوم — لسوء الحظ — تترامى أطراف المدينة ، وتبدو المهمة ضخمة مما أدى إلى قلة ما تم عمله نحو المدينة باستثناء استخدام الكفاءة . ولكن عظم العمل لايشكل قلقا للأمريكيين الذين اعتادوا القيام بأعظم المشروعات منذ بداية الأمر . ومن المهم أن نذكر أنفسنا فى هذه الصفحات بخطط الماضى الجريئة — وبعضها تحقق وبعضها لم يتحقق — وهى تعكس ضعفاً فى خيالنا وتكشف عن آمال وأهداف كانت تجيش فى صدور الأمريكيين نحو مجتمعاتهم . وكذلك نذكر أنفسنا بالمجهودات التى بذلت لتحقيقها . . . إن عملية التشكيل هذه هى فن ، وتقاليد تخطيط المدن ، إن اندمجت فى فن العمارة والتصوير والنحت ثم انضمت إليها معونة من العلوم الفنية ، استطاعت خلق المجتمع الأمريكى الجيل .

ولو أن شعب الولايات المتحدة ، كما قال ماثيو أرنولد ، أنشأ مؤسسات تناسب شخصيته القومية ، لكانت هذه المؤسسات بدورها قد شكلت مدننا وبلداننا ورفعت معابدنا . . . ففى داخل إطار هذه المؤسسات وحدها ، اقتصادية كانت أو فنية ، دينية أو حكومية ، نستطيع أن نعثر على التفسير لشكل الأشياء من حولنا . ولذا يجب البدء باختيار القوى الرئيسية التى تكون الشخصية الخاصة ومميزات المنظر الأمريكى .

١ — معابد التجارة :

تتمثل فيها إحدى القوى التأسيسية فى مجال الأعمال . خذ مثلا ناطحات السحاب فى أية مدينة من الولايات المتحدة . فوق خط من المنازل القليلة

الارتفاع ومصانع وأبنية تجارية تجد ناطحة سحاب أو مجموعة منها تعلن عن



ناطحات سحاب مانهاتن كما تشاهد من شفق نيوجرسى

التجمع الحضرى للإنسانية . فإذا كان هناك استثناءات كقبة لبناء عظيم أو كورنيش لمبنى البلدية ، فإنها من القلة بحيث تؤدى عمل الخط تحت العنصر الرأسى لتأكيده ، وليس فى الشكل ما ينم عن طبيعة استخدام هذه الكتل التى تختلف من الفنادق إلى مكاتب شركات التليفون الكبرى ، ولكن مهما كان الأمر فلها رسالة ، وهى تؤدى هذه الرسالة ، فإننا مجتمع أعمال .

ليست الولايات المتحدة أمة عظيمة بسبب التجارة ، وإنما التجارة من أسباب تقدمها المادى الملحوظ ، وإن لم يكن فى برج مكاتب « واكو » بتكساس، أو مبنى المسافرين بهارتفورد بكونيكتيكت الدليل الكافى ، فاذهب إلى برج المحكمة بشيكاغو أو — أفضل من هذا — إلى مبنى اتحاد الراديو الأمريكى بنيويورك وانظر من قمتها إلى أعمدة الصلب والآجر والحجر ، فلن تستطيع

أن تتجاهلها ، فهى تفيض عدداً وتبايناً ، وعرضاً للأشكال والأحجام . ألف من الجبابرة تبدو كأنها تتحرك وتتنفس عندما تعلو الضوضاء من الشوارع المزدحمة ، فإذا ما جاء الشتاء فجبابرة ذات أردية من الريش الأبيض عندما تهب سحب البخار فى الهواء الصافى العنيف . . . وهى جبابرة منيرة فى الليل كالثعابين المضيئة الهائلة ، ثم هى جبابرة لا رؤوس لها إذا اختفت طوابقها العليا أحياناً فى الضباب أو الظل .



تمثال ميركورى للمثال « جولز كوتان » فوق مدخل مبنى جراند سنترال ترمينال بنيويورك . وتصميمه مأخوذ عن كروكس لمهندس العمارة ويتنى وارن .

أية فوضى يقدمها هذا المشهد للناظر من إفريز الطريق أو من برج المراقبة..! هذا بناء من خمسين طابقاً يشمخ أمام آخر من عشرة طوابق ، وآخر يطل على أرض فضاء ، بينما يقوم ثالث وحده بين صفوف من المنازل القليلة الارتفاع كالمستحم فى غير الموسم فى ماء بارد . وتحت فى الشارع نفس الفوضى . . . اللافتات وواجهات الحوانيت وساحات الانتظار ومحطات الوقود منتشرة فى كل مكان . . . وهنا واجهة جديدة تثبت على بناء قديم . وعلى مسافة قليلة عمارة سكنية من عشرين طابقاً تتحول إلى مبنى للمكاتب يرتفع ثلاثين طابقاً ، وآخر

يحتزل للتخلص من الضرائب . التغيير حيثما أمكن جمع المال . . . هكذا هى التجارة — قال وودرو ولسون ذات مرة « التجارة تكمن تحت أى شىء فى حياتنا القومية » . ولا ينطبق هذا القول على أى مكان قدر انطباقه على هذه المدن ، حيث ابتدعت التجارة الأمريكية عملها الفنى الفريد : . . . : ناطحة السحاب .

ليس ثمة جديد فى مجتمع التجارة الأمريكى ، تقاليده قديمة وساحرة ، ورجل الأعمال ضائع فى الوقت . فإذا كان لنا أن نتعرف عليه فقد نجده فى مدينة « صور » أو « صيدا » أو على طول الطريق الحريرى بالصين ، وفى المدن الكبرى المغمورة بالشرق . . فالتاجر يوجد دائماً أينما تقوم المدينة . ولو تجمع من التجار نفر لأقاموا المعابد لآلهتهم . لقد أطلق تجار الرومان اسم ميركورى (من اللاتينى — ميركس أو ميرسيسى — أى التجارة) على رسول الآلهة وتبعوه معبوداً للتجارة . وفى مدينة نيويورك يتخذ هذا المعبود مقاماً سهلا واجهة مبنى جراند سنترال ترمينال مرحباً بيده اليمنى بجمهرة الناس تحته ، بينما يحمل بيده اليسرى الصولجان المجنح ، المزدان بالأفاعى المتشابكة ، رمز الفطنة والحذر . . . وهذا من خصائص التجارة الضرورية .



سنيور باتاليونى ، نموذج التاجر ، لكارلو جولدونى .

« نحن ملوك الشرق الثلاثة . . . . » ما أشبههم بثراة التجار ، هؤلاء الملوك المتوجون ، المزركشة ملابسهم فى ترنيمة عيد الميلاد ، وقد نثروا سلعهم الثمينة أمام يسوع الطفل . . . التاجر يتجول داخل وخارج ضباب الزمن ، ونحن نحس بوجوده من آثاره التى يخلفها وراءه . . . كيف آل لهذه القطعة من الحرير البيزنطى أن تستخدم رداء لأمير من المطارنة فى شمال أوروبا . . ؟ ألم يكن تاجران من البندقية — البلدة المجهولة حينئذ — هما اللذان سرقا جثة سان مارك من الإسكندرية الإسلامية وحملاها إلى الوطن ، حيث كانت التجارة مدينة البحر المرصعة بالجواهر ؟ . . . . ويخرج النائب الثرى من الظلام ليجد لنفسه منزلة بين الشعراء أبناء التجار . كان بوكاشيو ابناً لتاجر جوال من فلورنسا ، وتشوسر ولد بلندن لتاجر خمور ، أما عالم الثقافة القديمة ومهندس العمارة العظيم ليون باتستا ألبرتى فكان ابناً لتاجر من فلورنسا . وهناك أنطونيو الطيب من شخصيات شكسبير ، وحول سفينته الشراعية نسجت خيوط عقدة تاجر البندقية . ويقدم موليير مسيو جورجيبوس رجل الأعمال الدائب الصبور المستسلم للطلبات الملحة لابنته المدللة ، وهناك أيضاً جولدونى الظريف الذى حول إحدى الشخصيات الخاملة فى « الهزلية الفنية » إلى « سنيور باتاليونى » تاجر الأقمشة البندقى الأمين الذى كان اسمه أصل كلمة « باتالون » أى السروال المجورب الذى مازال يستعمل حتى الآن .

فى القرن الثامن عشر الذى عاش فيه جولدونى ، ظهر رجل الأعمال الأوروبى على مسرح اكتظ فى هرج بممثلين من عهد آخر ، عهد إقطاع وملكية . أما فى أمريكا فكان المسرح لرجل الأعمال وحده . كان على الخاصة النازحة من الخارج أن تختفى من مجال التجارة أو تتفتت حتى تصير أجزاء ضئيلة ، وكانت المسألة مسألة وقت فقط لكى تؤول للتجارة كل الأدوار تقريباً . وبطبيعة الحال كان

هناك الجنوب وما توفر له من العبيد ، ولكن تجارة القطن مالبثت أن آلت الرقابة عليها إلى رجال الأعمال من أهل الشمال .

إن ظهور النشاط التجارى يتأكد فى تخطيط المدن الأمريكية ، وناطحة السحاب رمز لذلك . أما الرمز الثانى فهو شبكات الطرق المتوازية . . . إن الطرق المتوازية والأخرى ذات الزوايا القائمة موجودة فى كل مكان ، وبخلاف بعض الاستثناءات التى تؤكد القاعدة ، خططت الطرق الأمريكية دون رحمة بواسطة الفرجار — كما يقول جيمس فنيمور كوبر — حيث لا تل ولا بحيرة أو نهر أو أى عارض طبيعى يحنى الخط المستقيم .

إذا أخذنا فى الاعتبار أن الأرض فى الولايات المتحدة كانت دائماً فى متناول اليد نظير الثمن أو حتى دون ثمن ، فكم هو عسير على الرجل الأمريكى ، الجالس اليوم فى راحة تامة بسيارته وهو فى طريقه إلى منزله بالضواحى ، أن يتفهم ثورة عدد من الفلاحين فى إيطاليا ، يشغلون قطعة من الأرض البور مملوكة لمركيز يقطن بعيداً عنها . . . هل يستطيع هذا الأمريكى وهو مالك للمنزل الذى يقيم به أن يستوعب أحداث السياسة فى الصين أو إيران أو مصر ، تلك الأحداث الناشئة عن الجوع إلى الأرض ؟

إن ثورته هو من أجل الأرض كانت منذ حوالى ثلاثمائة عام خلت . كان إذا ما افتقر إلى المال لشراء الأرض ، انتقل إلى أرض لها مالك أو استولى عليها ، والاستيلاء معناه الإقامة على أرض غير ممهدة للزراعة أو غير مشغولة دون دفع إيجار . . . والاستيلاء أيضاً اختراع أمريكى مقدس . كان وليم بن ، مؤسس مستعمرة بنسلفانيا ، يضرع إلى وكيله جيمس لوجان دائماً أن يوفر له عائداً من ممتلكاته الواسعة . ولقد كتب فى عام ١٧٠٤ يقول « إننى أقول مرة أخرى أعطنى الإيجار وإلا هلكت أنا والذهب فى ناظرى لكن ليس فى حوزتى » .

وبعد ربع قرن طلب ورثته من لوجان أن يتخذ إجراءات ضد المسئولين الذين كانوا بالفعل يشغلون ١٠٠ر٠٠٠ فدان تقريباً من الأرض التى كان يملكها « بن » بمقتضى قرار ثورى يرجع إلى خمسين عاماً قبل إعلان الاستقلال .

ولقد كان فى توالى الأحداث بقوة على الوطن فى أيامنا ، ما جعل الجوع إلى الأرض بالنسبة للأمريكى يعنى ما يعنيه بالنسبة لأى إنسان . ولكن للجوع إلى الأرض فى الولايات المتحدة نموذجاً آخر ، فمن ناحية يمكن إشباع الرغبة بالإقامة فى الأرض للحرث — فالريف معد ليكون ملكيات تزود كل ملكية منها بمنزل وشونة . . . ومن ناحية أخرى لايتردد الفرد فى بيع نفس الأرض إذا تهيأت له الفرصة لمعيشة أفضل فى مكان آخر — وفى بعض البلاد كفرنسا وإيطاليا نجد أن الهدف هو التملك والاحتفاظ بالملكية ، أما فى الولايات المتحدة فإنه التملك والمضاربة . كان المستوطنون الأوائل — لرغبتهم فى الاحتفاظ بالأرض — يرفضون النزوح عن الجهة التى ينزلون بها لاجئين إلى حامية قريبة إذا ما أنذروا بغارة من الهنود ، بل على العكس كانوا يصممون على البقاء — وأحياناً عن حمق — وحدهم فى القفار . ولقد كتب أحد معلقى القرن الثامن عشر يقول : « لا المصلحة ولا الرغبة كانت تستميل سكان فرجينيا إلى الاشتراك فى الإقامة بالمدن » . ولكن على الرغم من المجهود الذى كان يبذله المستوطن ليقيم بيتاً ، ما كان ليتردد فى البيع والانتقال إلى مكان آخر قائلا : « اخلع الأوتاد .. الأوتاد التى تعين حدود أرضه ... هذه كانت الحقيقة الواقعة بالنسبة للغنى والفقير على السواء ، وهى الحقيقة الباقية حتى يومنا هذا . فإذا كانت البلاد كلها تعتبر عقاراً يباع ويشترى فلا عجب أن لفت الأمة كلها فى شبكة هائلة من قوانين الأراضى تبدأ من عام ١٧٨٥ حتى تبلغ الذروة بقانون هومستيد Homestead Act المشهور عام ١٨٦٢ . لقد جعلت الرغبة فى الإقامة بالأرض شرطاً للتملك ، أى



توكسون ، أريزونا — شبكة تقليدية إلى جانب مجموعة من الجبال .

أن الحكومة كانت ترفض الاعتراف بالملكية ما لم يبن منزل فى العين المطالب بها ، وقد كان النموذج الذى يقسم الأرض إلى أرباع يشتمل كل منها على ١٦٠ فداناً تقريباً ، أثر فى تيسير مسح الأراضى وسهولة التسجيل ، ثم الأمر الذى لامناص عنه . . . المضاربة .

وهناك بالطبع مساحة البلاد نفسها ، فكل شىء كبير بطبيعته ، الأنهار والبحيرات وسلاسل الجبال والمروج والمسافات . . . . كتب مهندسا التخطيط المدنى (دانيل ه . برنهام ، وإدوارد ه . بنت) : « إن لشيكاغو صفتين مسيطرتين : اتساع بحيرة ميتشيجان التى تمتد دون عوائق من الجزر أو أشباهها حتى الأفق ، ومساحة متناظرة من الأرض تمتد شمالا وغرباً وجنوباً دون جبال أو أى أثر للارتفاع . هاتان الصفتان اللتان يصعب على الحواس إدراك مداهما ، هما المقياس فكل مايقوم به الإنسان هنا ينبغى أن يكون — فعلا أو تصوراً — بدون حدود ، هذا هو الحال . . ! هل كانت ناطحات السحاب تقوم فى بلد يلتزم الحدود ؟ إن الضخامة نفسها قد شجعت على تشكيل النموذج الاقتصادى ، كما خلقت سوقاً هائلة بالنسبة لمقياس مزاحمة الطبيعة ، ولايسد حاجة هذه السوق سوى الإنتاج والتوزيع بالجملة ، وهذان مظهران عظيمان من مظاهر أمريكا .

إن قطع الغيار وآلات الحصاد ومحطات السكك الحديدية الضخمة ، ومخازن الكابلات والسيارات الرخيصة الثمن وطرقاتها الطويلة الممتازة . . . كل هذا وغيره مما جعل « سانتيانا » أول من يسميه (التعاون الحر) لم يكن لازماً للتطور الاقتصادى فقط ، بل إنه عمل أيضاً على تكييف شكل أمريكا التى صنعها الإنسان ، وأوجد فيها المزارع الشاسعة ، وساعد على انتشار المدن .

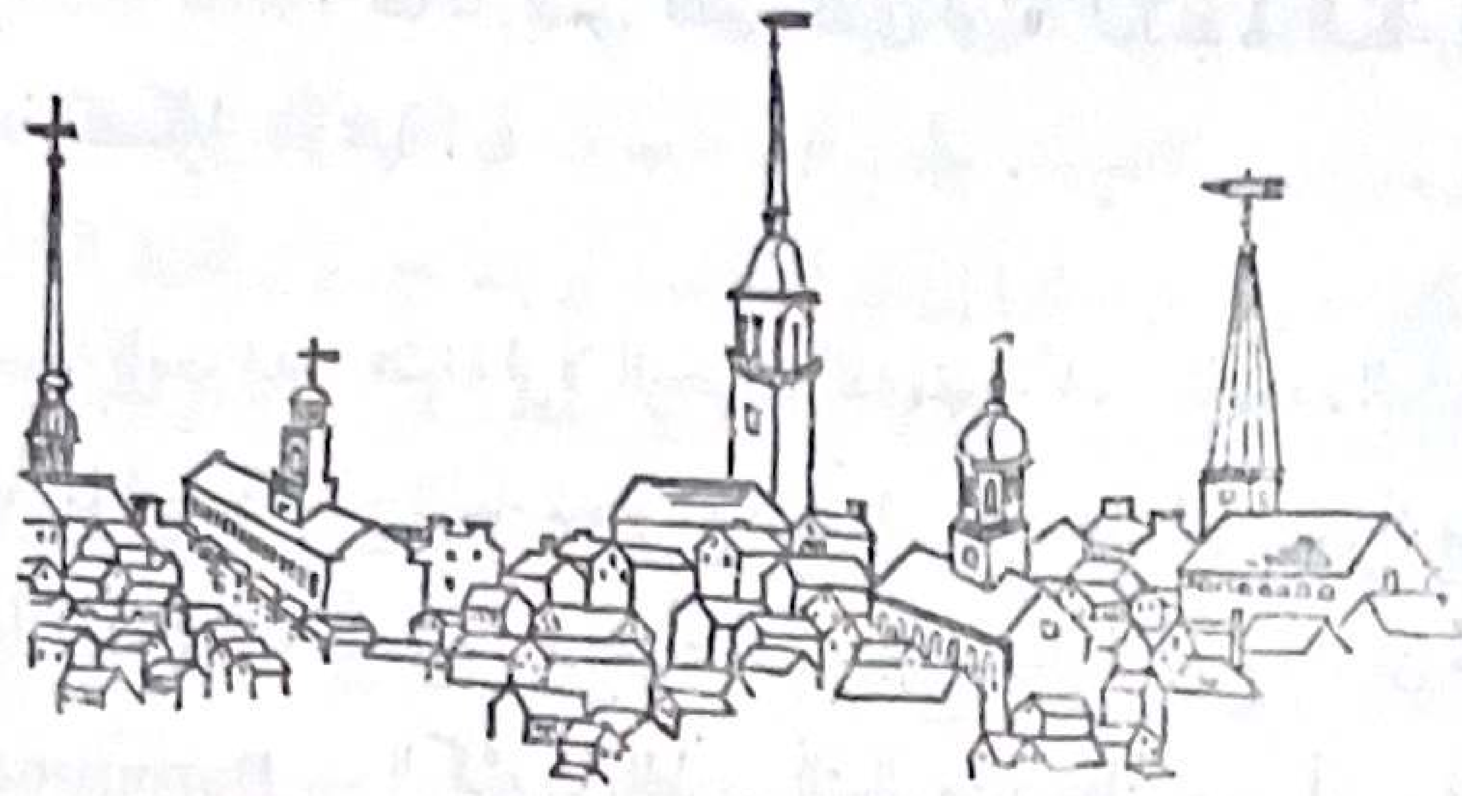
وعلى الرغم من أن التخطيط التعاونى والعمل على المستوى العالمى للتجارة والصناعة كانا عاملا أساسياً فى تشكيل المنظر الأمريكى ، فقد كان افتقاد هذا العامل ملحوظاً فى حلقات أخرى من حياتنا القومية ، إذ أن الأولوية كانت للفردية ، ولا يستغرب من بلد يعنى دائماً بتأكيد الاعتماد على النفس والاستقلال ونظام حرية الملكية ، أن يصغى إلى الفلاسفة الغارقين فى تعاليم تركز فى الفرد كغاية فى حد ذاته . ومهما اختلف الفلاسفة ، من جون لوك إلى إيمرسون ، ومن هربرت سبنسر إلى فيلسوف العصر الحديث وليم جيمس ، فإن الحال بقيت كما هى ، وندرت الأصوات التى ارتفعت فى أمريكا بالإشادة بفضائل التعاون .

ولقد بين الفيلسوف سانتيانا أن الروح الأمريكية الناجحة إلى « المبادرة بالمساعدة » التى تجوهلت ، كان يمكن أن تصبح عدة الحياة أفضل . ولقد رأى تشارلس س . بيرز المستشار الأمين لوليم جيمس والذى كاد أن ينسى . . رأى الحاجة الملحة إلى ضرورة تعزيز المجتمع ليتوازن مع فرديتنا الراجحة والتى تجمح إلى الحماس أحياناً . تساءل بيرز عام ١٨٧١ قائلا : « هل لجنس الإنسان وجود خارج الذات . . ؟ وهل له من الكرامة والقيمة والأهمية ما يفوق السعادة الشخصية والإلهام الذاتى وحياة الفردية . . ؟ وهل يشترك الأشخاص فى أى شىء حتى يمكن اعتبار المجتمع غاية فى حد ذاته . . ؟ » بالنسبة لبيرز

كانت القيمة التى تربط الفرد بالمجتمع هى المسألة العملية التى تواجه الشعب ، كما أن وجود الفرد منفصلا عن المجتمع لا معنى له . وفى مجتمع أمريكا التجارى الحالى تلح الحاجة ، أقوى من أى وقت آخر ، التنسيق بين أمانى الفرد وحاجات المجتمع وذلك لأنهما ليسا ضدين بالضرورة ، ولإعادة إنعاش المثل الديموقراطى الأعلى بزيادة تعاون جميع المواطنين مع مؤسساتهم .

٢ — معابد لله :

إن مجتمعنا التجارى هذا هو الذى يدعو باستمرار إلى عبارة « الأمريكيون ماديون » (كما لو كنا نختلف عن الغير فى تقديرنا للمال) . حقيقة أنه فى كافة مدن العالم ، ما عدا الولايات المتحدة ، تعلو معابد الله فوق تلك التى للتجارة . ففى بكين تشاهد معبد السماء ، وفى لندن قبة سان بول ، وحتى فى باريس تطل على برج إيفل من عل كاتدرائية الساكريه كور (القلب المقدس) من حى مونمارتر ، أما هنا فى الولايات المتحدة فقد يبدو أن مبانى المكاتب الشاهقة هى التى تحتل مكان الصدارة . لا تدع أحداً ممن ينظرون من أعلى مبنى شركة RCA إلى مدينة نيويورك المترامية الأطراف تحته يضلل تفكيره فيظن أن التجارة تطغى بحيث تطرد كافة المنافع الإنسانية الأخرى . ودع الذين يعتقدون هذا يعيدون النظر ليجدوا أن هنا وهناك وحول وخلف سلسلة ناطحات السحاب أبراج الكنائس. إنها موجودة فى كل مكان وليست قليلة بل هى كثيرة ، وهى فى نيويورك من الكثرة بحيث يعرف قطاع بروكلين بأكمله باسم « قطاع الكنائس » . وفى حوالى عام ١٨٣٠ كانت لمدن مثل سنسناتى اثنتا عشرة كنيسة ، ولفيلادلفيا ست وتسعون ، أما نيويورك نفسها فكانت تضم مائة كنيسة أى بمعدل كنيسة لكل ألف نسمة . واليوم وفى المجتمعات الأقل عدداً ما زالت الأبراج تشكل خط السماء . وليس خطاً واحداً طويلا فحسب كما هو الحال فى القرى الكندية



خط سماء كولونيال ببوسطن (من رسم مطبوع لبول ريفير)

والأوروبية ، وإنما خطوط متعددة لكل منها عن مذهب مختلف .

إذا قلبنا صفحات تاريخنا لرأينا كيف أن الدين كان يمس الأحداث خصوصاً فى قالبه البروتستانتى . ففى حرب تحرير العبيد اتخذت الكنيسة الخطوة الأولى بادئة بالكويكرز . وكتبت هارييت بيتشر ستو ، وهى الابنة والأخت لقساوسة مذهبيين ، قصة « كوخ العم توم » ، وهى التى عجلت باندلاع الحرب الأهلية . . ثم اندلعت الحرب بأغانيها الدينية ، وواعظيها المحاربين ، وتضرعاتها إلى الله . هناك « لى » الذى يسجد مصلياً قبل المعركة ، وستونوول جاكسون الذى يقرأ الإنجيل بجوار نار المعسكر ، و « ميد » الذى يفطن إلى أن يد الله تعينه على النصر فى جيتيسبورج ، وقوات شيرمان تتقدم خلال تشارلستون الصامتة على حين تردد الطرقات صدى الترنيمة الدينية « شاهدت عيناى مجد قدوم السيد . . المجد ، المجد . . هللويا » . إنما نصبح أكثر إحساساً بجو بروكلين حين نعلم أن فى سنيها الخالية من القرن الماضى تسلط عليها تجار ذوو مذاهب هم وواعظوهم ،عندما نلمح أن كبار الماليين ورجال الصناعة بيتسبورج كانوا من سلالة أتباع الكنيسة المشيخية من الاسكتلنديين والأيرلنديين . وأخيراً نلاحظ ضعف التمسك

بالدنيويات فى بلتيمور عندما نلمس الدور الذى لعبته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لتشكيل تاريخها .

إن مدننا كانت تبدو مختلفة لولا الزخرف الذى تهيئه كنائسنا ، هذه الكنائس التى غالباً ما تحجبها أبراج التجارة ، ومع ذلك فإن تباين هذا النوع من الزخارف أكبر مما تنقله النظرة الأولى . وقد أضاف برج كنيسة المسيح — من طراز الباروك Baroque — الكثير إلى الطرف الشمالى من بوسطن حيث أضىء قنديل يوماً من أجل بول ريفير . إن بساطة «شينا ندوا» فى بنسلفانيا قد عوضتها القباب البصلية للكنيسة اليونانية الأورثوذكسية القائمة على التل . وداخل معبد بيتر هاريسون يعتبر من أعظم أعمال أمريكا المعمارية . وتميز التأثيرية كاتدرائية الإبسكوبال فى مكانها المرتفع بواشنطن ، كما تميز الفخامة كنيسة جون د . روكفلر بجهة ريفر سان درايف . والأخيرة تعبر عن الاتجاه إلى التضليل فى بناء الكنائس المعمدانية ، وتزيد الأبراج الثلاثة للكاتدرائية الرومانية الكاثوليكية بميدان السلاح بنيو أورلينز من أهمية الميدان وخط السماء .

ومع ذلك فهذه الأمثلة من الكنائس التى تعتبر زخارف للمدن قليلة ، ومدن وبلدان أمريكا لم تحصل من الدين على فائدة مادية أو جمالية كما كان ينتظر ، اعتباراً لأهميته فى الحياة الأمريكية ، والسبب فى ذلك راجع إلى تقاليدنا الدينية .

وإذا كانت انجلترا قد أعطتنا شخصيتنا الحرة وتعاوننا الحر ، كما قال سانتيانا ، فقد أعطتنا أيضاً البروتستانتية . . وهى ليست بروتستانتية كنيسة الولاية الواحدة ، وإنما البروتستانتية الجوهرية التى يعد الفرد فيها ميثاقه مع ربه بنفسه ، ثم يرجع إلى الإنجيل مجتهداً فى تفهم شرائع الله دون مساعدة الكهنوت أو الشعائر ، أو كتاب الصلاة ، أو دار العبادة البديعة الزخارف . لم تكن لينة

تلك البروتستانتية الأولى التى نبتت هنا ، بل كانت عبارة عن الدين الخشن للفرنسى جون كالفين ، جاءت أول ما جاءت فى القرن السابع عشر مع الهجرة الكبيرة من شرق انجلترا إلى نيوانجلاند ، ثم بعد حين وفى القرن الثامن عشر مع هجرة أتباع الكنيسة من شمال أيرلندا إلى الحدود على طول الإليجينين . (كانت الطائفة الأخيرة هى التى استولت على الكوخ الخشبى للمستوطنين السويديين والألمان وجعلت منه رمزاً للحدود ، كما كانت الطائفة الأولى هى التى طورت المنزل المصنوع من الألواح الخشبية المنتشرة الآن فى الريف) .

عندما تم الاعتراف بالولايات المتحدة كأمة حرة مستقلة ، بمقتضى معاهدة باريس عام ٧٨٣ ، كان ثلثا الملايين الثلاثة الذين تتألف منهم الأمة ينتمون إلى مذهب كالفين (١) إما من « الإخوة المذهبيين أو من أتباع الكنيسة المشيخية » . وفى نيوانجلاند ، حيث كان المذهبيون هم الأغلبية الساحقة ، بقيت كنائسهم على رسوخها فى ثلاث ولايات ، هى كونيكتيكت ونيو هامبشاير وماساشوسيتس حتى بعد الثورة ، ولم تنحل تماماً فى ماساشوسيتس حتى عام ١٨٣٣ .

ولا يأخذنا العجب أن تتحول جمهرة الشعب المتطلعة إلى شىء أكثر إثارة وأغنى إنسانية فيما بعد ، وفى حماس إلى المبشرين المعمدانيين وطائفة النظاميين الذين كانوا يقدمون الخلاص للجميع عن طريق رسالتهم المنطوية على الحب العميق والإيمان بأن جميع البشر سواء أمام الله ، مقبولين فى حضرته ، لا عجزة ولا يائسين . وجاءت المذاهب الجديدة مع الانتفاضة الكبرى عام ١٨٠٠ . وانتشرت كوميض من النار على طول الحدود وعرضها ، وفى الشرق حيث المدن الكبرى ، وكان المعمدانيون والنظاميون يعقدون الاجتماعات الكبرى حول النار التى

---

(١) مذهب كالفين يقول إن الخلاص نعمة الله وليس بالأعمال (المترجم) .

كانت عبارة عن تجمعات اجتماعية علاوة على طبيعتها الروحية . وعندئذ كان الرجال يبشرون بالساعات ويقرأون الإنجيل ويرتلون الترانيم . وكان الناس يجدون فى هذه الاجتماعات متنفساً من الحياة القاسية . وما وافت سنة ١٨٣٠ حتى كانت طائفة النظاميين هى أوفر الطوائف عدداً فى البلاد ويليها المعمدانيون. وبذا تحددت تيارات الدين الرئيسية ، وقدم أتباع الكنيسة المشيخية والمذهبيون معونتهم الكبرى نحو التعليم التى بدأت بتأسيس كلية هارفارد عام ١٦٣٦ ، وأعجب بها متيسرو الحال والعناصر العاملة ، أما المعمدانيون والنظاميون بانعطافاتهم الإنجيلية ، فقدكان اشتراكهم العظيم فى شكل الصداقة والأعمال الخيرية التى ما زالت جزءاً من أخلاق الأمريكيين .

إن تيار الدين الأمريكى عريض وعميق ، ولكن توجد تيارات أخرى : اللوثرية التى تقتصر إلى حد كبير على الذين يرجع أصلهم إلى الألمان أوالسويديين، والموحدين الذين يمثلون ثورة بوسطن ضد القسوة المغالى فيها لمذهب كالفين والذين كسبوا كلية هارفارد إلى صف معتقداتهم فى عام ١٨٠٥ ، وفوق كل ذلك الإبسكوبالية والكاثوليكية الرومانية ، وأتباعهما أمريكيون كغيرهم ولكنهم منعزلون ، إذ أنهم دليل ماض عظيم ويتميزون بتمسكهم بالتقاليد . ويستطيع الروم الكاثوليك أن ينهلوا من التراث العظيم لروما المسيحية والوثنية وجميع العالم اللاتينى عدا ما كان إنجليزيا ، ومن ناحية أخرى فإن للإبسكوباليين علاوة على روما ذاك التراث الإنجليزى الذى يتمثل جيداً فى كتاب الصلاة العامة ـ الذى يؤلف مع ترجمة الملك جيمس للإنجيل ـ هبة من أثمن هبات انجلترا . وتستطيع الكنيسة الكاثوليكية أن تفخر بشعبها العظيم الأكثر عدداً فى البلاد وإذا كان على البروتستانتية الإبسكوبالية أن تقنع بالعدد المحدود من الأتباع ،إلا أن بوسعها أن تحصى من بينهم الأبناء والبنات ممن قادوا أمريكا فى جميع الميادين السياسية الفنية.

وحتى كنيسة روما الكاثوليكية لم تفلت من النفوذ البعيد لكالفين . البعض يرى أن قسوة الفرع الأمريكى تنبثق عن مذهب جانسن ، الضلال الذى اجتاح فرنسا فى النصف الأخير من القرن السابع عشر والذى قضى عليه فى عام ١٧١٣ لويس الرابع عشر والبابا كليمنت الحادى عشر . ويروى لنا سان بوف أن دير الجانسينيين فى بورت رويال بباريس كان قد سمح بموسيقى الكورس كأداة الترف الوحيدة . ورغم هـذا فما زالت للجانسنية مكانتها فى الدوائر الفرنسية ، الكاثوليكية وغير الكاثوليكية ، ويجدر بنا أن نذكر أن باسكال وراسين كانا بين المدافعين عنها ، ولكنها لم تطأ شواطئنا بل على العكس فإن كنيسة روما الكاثوليكية فى الولايات المتحدة ، التى تسودها الإنجيلية البروتستانتية ، قد اصطبغت حتماً باللون المحلى ، كما حدث للكنيسة الإبسكوبالية ، وآية ذلك تقديم المبشرين والوعاظ ، بدلا من علماء اللاهوت بين رجال الدين .

وإذا كانت معظم الكنائس المبنية فى أمريكا قد تميزت بالبساطة ، متغافلة عن رسالة جيريمى تايلور وتصورات القرن السابع عشر فى « إن من الصالح أن تنقل أدوات الزخرف إلى الدين ، ولهذا جئ بالموسيقى والعطور والأردية الجميلة وكل ما كان وقوراً إلى الكنيسة ، ثم قدمت الحفلات المحتشمة حتى يغدو الرجل والمرأة بعد إغرائهما بزخرفهما الممتاز ، من أسباب زيادة مقدار الحب الروحى » ، فلا عجب والأمر كذلك أن بدت المبانى الأقل شأناً فى البلدان والمدن عارية عن الزينة أو الخداع ، ولقد ساعد النفوذ الدينى فى أمريكا على تربية العبقرية التعليمية ووضع أسس الحرية الشخصية والأخوة ، بيد أنها لم تصل بعد فى العصر الحديث إلى ماينتظر منها فى التأثير على محيطنا الطبيعى على العكس من دور الدين فى العصور الوسطى أو عصر النهضة أو فى هذه القارة إبان الاستعمار الأسبانى .

إن الكنيسة الأمريكية اليوم نظيفة مجردة . وهذا صدى — دون شك — للقول المأثور لجون ويسلى « إن النظافة تلى التقوى » . وكما رد جرى تايلور : « أليس هذا هو الوقت المناسب لندمج الجمال بالتقوى ، كما نزيد من تأثير الكنيسة على منظر البلدان الأمريكية . . ؟ »

٣ — معابد الحكم :

إذا تركنا أبواب الكنيسة ونظرنا مرة أخرى إلى خط السماء ، فطنا إلى معابد أخرى تشمخ إلى جانب تلك التى للتجارة وللإله — معابد الدولة . إن فكرتنا عن الحكومة الأمريكية غالباً ما تكون تجريدية بالنسبة إلى دستورها ، ونوابها المنتخبين ورئيسها ، وأعضاء برلمانها ، ومحافظيها ، وعمد مدنها . كما هى الحال بالنسبة لضريبة الدخل ، نتصورها من زاوية الجيش والبحرية والطاقة الذرية والمصانع العامة العظيمة . ومع ذلك فالحكومة فى أمريكا أكثر تواضعاً من التجارة وأقل ظهوراً من الكنائس ، إنما عملت قدر ما عمل كلاهما فى تشكيل المنظر من حولنا .

فى مركز جالفستون، بعيداً جداً عن سقيفات القطن وعن المصانع، يقوم بناء ذو أعمدة قد يكون مهندس الحكومة المعمارى فى القرن الثامن عشر آمى ب . يونج ، استوحى طرازه من « بالاتزوكيريكاتى » لبالاديو فى فيشنزا . ويذكرنا هذا البناء بالقوة الفدرالية إذ كان فى يوم ما مبنى الجمارك . والمثل الثانى مبنى الخزانة فى شارع وول بنيويورك . وأحسن من هذا أيضاً بلدية نيويورك ، من تصميم المعماريين مانجين وماكون . إن بناء له مثل هذه النسب والتفاصيل الرائعة ليجعل ناطحات السحاب تتراجع من حوله رهبة. وهناك مرة أخرى قباب دور الحكومة والقبة الذهبية لتشارلس نولفنش على تل بيكون فى بوسطن ، وهى مازالت تتحدى أبراج التجارة والكابيتول المتواضع من تصميم تاون ودافز وباتون

من والى بشمال كارولينا ، أو مبنى كاس جيلبرت بتشارلستون بغرب فرجينيا وقبته القائمة على حجر عمودى عظيم رمزاً للولاية . وفوق كل هذا يذكرنا مبنى الكابيتول بواشنطن أن الدولة لم تتراخ فى زخرفة أمريكا . فالآباء المؤسسون وقد أنشأوا نصب الحكومة الديموقراطية ممثلة فى الدستور ولائحة الحقوق ، مقدرون لرسالتهم التى بلغت مقصدها بإنشاء هذه الأدوات ، لم يخشوا أن يرمزوا بالحجر إلى رسالة الجمهورية ، بينما نحن اليوم نباعد بيننا وبين الرموز عند بناء المقر العام للأمم المتحدة ، عاصمة العالم بنيويورك .

إن الاعتزاز الشديد الذى كان يكنه الأمريكون يوماً للحكومة يتجلى فى تاريخ مبنى الكابيتول . فعند اندلاع نيران الحرب الأهلية لم يكن الهيكل قد تم بعد . وبدلا من تأجيل البناء ، أصر الرئيس لنكولن على الاستمرار فى العمل ، ضارباً المثل على قوة الاتحاد وإصراره . وفى الثانى من ديسمبر عام ١٨٦٣ رفع تمثال الحرية للمثال توماس كروفورد ، وقد صمم بأحد مراسم روما ، فوق القبة الحديدية ، بينما كانت قوة من خمسة وثلاثين مدفعاً تطلق نيرانها أسفل البناء من القلاع الاثنى عشر التى كانت تحيط بالمدينة حينئذ .

ومهما بدا من إهمال لدى النظرة الأولى ، فإن الدولة فى أمريكا بكل أقسامها تبز التجارة كأحسن حام رصين للفنون ، ويؤيد استمرار هذا التقليد إنشاء واشنطن نفسها . فعندما بدأ الميجور بيير تشارلس لانفان وضع خطته العظيمة بإيعاز من جورج واشنطن ، وجد لزاماً عليه أن ينشىء عاصمة تليق بالجمهورية الفتية . وإذا كان قد أصابه مثلما أصاب كثيرين من المخططين من إبعاد عن المنصب بتدبير من المنافسين الطموحين ، فقد كان هو الذى نصب بنيامين هنرى لاتروب ، وهو من كبار المعماريين القدامى ، للإشراف على المبانى العامة ، وكان هو الذى احتجز خدمات جيوسيبى فرانزونى المثال الإيطالى للعمل بالكابيتول ،

وكان هو الذى أقنع الكونجرس باعتماد الأموال للنهوض بالمدينة ، وهو الذى أنفق ثلث هذه الأموال على إنشاء شارع بنسلفانيا عـــلى نمط شوارع باريس الكبرى .

كان التقليد إذا ماوضع لايهمل أبداً بصورة شاملة . وعندما أقر الطراز الرومانى الأمريكى وضاعت البلاد فى ضباب من الرومانتيكية ، وهذه حقيقة فنية جديرة بالعلم القديم ، أقيمت المسلة الهائلة التى تعرف بالنصب التذكارى لواشنطن (بدئ العمل بها عام ١٨٤٨ وانتهى عام ١٨٨٤) بالقرب من تقاطع محاور البيت الأبيض والكابيتول . ومع كل انتفاضة ذات أهمية للتقاليد الكلاسيكية ، كانت العاصمة تندفع نحو النمو والاتساع ، ومع النهضة الأمريكية التى أعقبت المعرض الدولى الذى أقيم فى شيكاغو عام ١٨٩٣ ، تفتحت أمريكا بأكملها عن نمط القدماء ، وكانت مدينة واشنطن هى الرائدة وواضعة المقاييس . وعندما انقرضت الكلاسيكية مضت واشنطن فى رعايتها للتقاليد ، فأنشأت القاعة الأهلية للفن من تصميم جون راسل بوب بمعاونة استشارية فنية من « أوتو إيجرز » و « د . ب هيجنز » وهو بناء يقوم علماً على ما عليه أمريكا .

اتخذت مبانى الحكومة فى المدن الأمريكية شكل القصور العامة ، والمبنى الفدرالى فى نيويورك مثل قديم واضح لذلك . وهنا فى واشنطن عام ١٧٨٩ دشنت قاعة غنية بالرخام الأمريكى صممها لانفان وكان هذا مجهوده الأول الذى بذله فى سبيل الأمة الجديدة . وعن طريق هذه القصور العامة عبر الأمريكيون بوضوح عن ميلهم نحو الإبداع ، والزائر لمدننا ينبغى أن يذهب إلى دور الحكومة ، ومكاتب البريد ، ودور العدالة ليشاهد الرسوم التى على الجدران ، التماثيل وأدوات الزخرف التى لاتوجد فى أى مكان آخر . ولولا رعاية الحكومة للفنون مع الإقرار بأنها كانت عرضية ومتقطعة لكانت مجتمعاتنا قد ظلت بعيدة جداً عن إشباع الرغبة



كابيتول الولايات المتحدة القديم يشرف على شارع بنسلفانيا كما يشاهد من البيت الأبيض وكما كان فى عهد الرئيس أندرو جاكسون

فى إقامة رموز الإعتزاز مدنية كانت أو قومية مما يطالب به شعب الجمهورية — وشعبنا يطالب بما لا يقل عما يطالب به الملوك والبابوات .

وبدلا من احتقار إنشاءاتنا الطبيعية لتماثلها وقبحها وحاجتها إلى الترتيب يستحسن أن نعيد النظر ، كما فعل ماثيو أرنولد ، الذى وجد نفسه فيما بعد ينظر إلى مؤسساتنا بعين الاحترام . إن التقاليد الأمريكية فى إضفاء الشكل والتباين على النموذج الطبيعى للبلاد أغنى مما تتصور ، وكما رأينا ، خططت مجتمعاتنا التجارية الجاليات وساعدت كنائسنا على تزيين المدن ، وتلتزم الدولة على الرغم من أن الحكومة الاتحادية ليس لها وزير للفنون ضمن مكتب الرئيس ، تلتزم ببعض التقاليد لرعاية الفنون ، ولقد تأثرت المدن والبلدان الأمريكية بطريقة أو بأخرى بكل من الأجيال المتعاقبة . وجميع الجاليات ، حتى أقلها شأناً ، ترك عليها الزمن بعض الأثر ولها هياكلها سواء ما كان بالكنائس أو بالدولة ، وكلها قد أصبحت دور كنوز لأبدع ما أنشأنا ، ويتسنى لنا بدراستها أن نلم بالتقاليد الحضرية .

وفيما يعدو المشاكل الطبيعية التى جاءت نتيجة لتقدم الحضارة ، هناك المسئولية الملقاة على الولايات المتحدة بحكم مركزها الحالى من العالم ، وليس من مجرد النعرة القومية قولنا إن قيادة العالم تتطلب موقعاً طبيعياً ممتازاً . وهناك القائمة لتصميم مبانينا الجديدة ، كما لدينا المصانع الجديدة والإمكانيات ، فهل يؤكد كل هذا الأهلية والإقليمية وسلبية الاقتراب من تخطيط المدينة ، أم أن فى الإمكان صهرها فى قالب أرفع ؟ هل فى مقدور مؤسساتنا التجارية والدينية والحكومية أن تعى مسئوليتها فى رعاية الفنون المدنية ؟ هذا ممكن إذا ما تذكروا تقاليدهم العظيمة المختفية الآن نتيجة لملازمتها للتكنولوجية .

ومثل الطفل تسحره اللعبة الجديدة كمثل شعور الأمريكى تجاه فكرة التقدم التكنولوجى، ولا شك فى أنه ينبغى احتضان كل من التقدم المادى والتطور العلمى حتى نستمتع بفوائدهما التى لا يعدلها مال فى الصحة والراحة وأدواتها ، وسيعرض هذا الكتاب كم كان للتكنولوجية من أهمية فى تشكيل مجتمعاتنا ، ولكن ما أيسر على الأمريكيين ، كما هو بالنسبة للأطفال ، أن يشيروا إلى الجسور العظيمة والطرق الطويلة والسيارات المنتجة بالجملة وأجهزة التلفزيون ، متصورين أنها شعارات لثقافة جديدة ساطعة لامعة ، وينسون أن الآلة ما هى إلا وسيلة للوصول إلى أشياء أعظم . إن الآثار الثابتة تقاس بمقاييس الفن والإنسانية ، وفى طوافنا أحياناً بدون انتباه ، خلال الهياكل التى أقيمت فى أمريكا ، يجدر بنا أن نقبع ونختبر ما أنشىء هنا ، فالمنظر من حولنا ، وليست الميكانيكيات سوى جزء منه ، يقدم مادة أعظم وخلوداً أجل ، إذ أن هنا تدخل الفنان بموهبته الغالية ، وأتى بطريقته الخاصة ، بالسلوى والسعادة إلى المواطنين ، وأحياناً بالمجد والتشريف للجمهورية .

فلنعد مرة أخرى إلى هياكلنا ، ولتكن للتجارة أو للإله أو للحكومة ، ولنتأمل فيما أعطانا الماضى وفيما أخفق الحاضر . ولقد كتب المثال الأمريكى وليم

ويتمور ستورى يقول « إننا أمة من أعظم أمم العالم ترفاً وتطوراً فى كل ما يتعلق بأسباب الراحة والضروريات العملية للحياة ، وواحدة من أكثر الأمم ثقافة فيما يدعى الفنون الميكانيكية المفيدة ، أما فى دوائر الفن الممتاز فقد حققنا القليل لأننا تطلعنا إلى القليل ، وقد أشبعت رغباتنا وسدت حاجاتنا بسخاء ، أما القلب والروح فقد تغذيا بالقشور . للمنفعة أبنيتها ومساكنها ، أما الجمال فليس له هيكل حتى الآن » .

الجمال يبحث جزافاً عن كعبته فى المدينة الحديثة ، ومنذ عصر « ستورى » استبعدت المدينة نفسها كوسيلة للحياة . وإن كانت رغباتنا بسيطة اليوم فنحن نفعل ذلك على سبيل المخاطرة ، فالوقت يتطلب فوق كل شىء أسمى الأهداف الإنسانية التى تتضمن خلق الجمال ، ينبغى أن يكون مجتمع « بيرس » هو الهدف « الكرامة ، القيمة ، الأهمية » ، هدف تتمثل فيه السعادة الشخصية وأمانى الفرد فى محيطات من صنع يد الفنان . . . . . .

أمريكا الجميلة . . !

الجزء الأول
النموذج الاستعماري
١٦٠٧ - ١٧٧٦

لا نستطيع فى عصر من الراحة والتسهيلات أن نذكر أنفسنا كثيراً بنضال أجدادنا لوضع أسس بناء الأمة . فبيوت المستوطنين الأوائل كانت تقام من أخشاب البرية ، وكانت الجاليات الأولى تعانى من الكوارث المخيفة قبل أن تسبغ على نفسها صيغة الاستقرار . لكن مما كان يبعث على الرضاء أن شاطىء الأطلنطى بالولايات المتحدة ينكسر إلى خلجان ومداخل للمياه وفتحات أنهار مهدت للقادمين شيئاً من المأوى، وبالنسبة للمستعمرين كان المحيط رباطاً مرعباً، ولكنه على الرغم من ذلك كان رباطا مع أوروبا والمستعمرات التى كانت تتكاثر على طول الشاطىء.

لقد زاول كل فرد تقريباً الزراعة أوصيد السمك خلال هذه الفترة ، وكان يحمل إنتاجه إلى البلدة عبر الماء ، ولما ظهرت الصناعة أول ما ظهرت ، كانت مزاولتها تتم فى أبسط صورة للطاحون الحجرى أو الدولاب الخشبى ، ولكنها اقتصرت على الصناعات اليدوية فى المنزل . كان جو الريف يملأ كل مكان ، وحتى فى شوارع المدن كانت الخنازير والأبقار الضالة تتجول وترتع فى حرية ، وكانت مراعى الأبقار والحقول المزروعة هى أول ما يرحب بالمسافر بعد أن يترك خلفه المدن الصغيرة لعهد ما قبل الثورة ، أما فيما بعد الشاطىء إلى الشمال فلم يكن يصادفه سوى القليل من القرى والبلدان . وفى الجنوب كان ينتقل من زراعة إلى زراعة أو يقف عند بلدة بها محكمة . ويتحول فيما يلى التيار ليصادف عالم الحدود الجديد ، كان الكوخ البسيط الوحيد فى قفر ، يعكس خليطاً من الشجاعة وقسوة الحياة على معيشة الرواد — وخلو هذه المنطقة من البلدان أو المدن كان على المستوطنين أن يعيشوا فى بدائية متطرفة ، وكانوا أحياناً يقتبسون عادات الأعداء من الهنود ويلبسون ملابسهم .

وبالنسبة لرجل الحدود الذى لم يعرف إلا ضروريات الحياة فحسب ، لاريب

أن هذه المدن والبلدان كانت بالغة الروعة ، ولكنها كانت فاسدة دون شك . وهى فى نظرنا ضئيلة وديعة ، فحتى عام ١٧٧٦ لم يكن تعداد أية مدينة ٤٠٫٠٠٠ نسمة . وكان فى مصانع الحبال وساحات بناء السفن وصوارى الأشرعة ما يذكرنا دائماً بأن فى الماء حياة الناس .

من مظاهر عهدنا الحالى ما زالت مدينتا سالم Salem بالشمال وتشارلستون Charlesrton بالجنوب تذكراننا باليوم الذى لم تكن المدن الأمريكية فيه قد أولت بعد ظهرها للمحيط أو النهر . وطبيعى أن الطبيعة كانت وقتذاك تتجلى بكل ما لها من فطرة . فى مساء من أمسيات الصيف عام ١٧٥٠ كانت هناك سفينة تقصد ألبانى albany وما كادت تغادر مرفأها فى نيويورك حتى هبطت سحابة من النار فوق الهدسون ، وشوهدت السفينة تلمع واليراعات على حبالها . الطبيعة الدائمة ، مذهب كالفين ، الرأسمالية التجارية ، فلسفة لوك ومونتسكيو ، قنديل الكنيسة القديم ، أبراج الباروك الدارسة ، كل هذا كان جزءاً من المغامرة الجريئة . . . . الاستيطان ، مغامرة تلتصق بشاطىء البحر التصاق الحشائش البحرية بالصخور .

١ ــ المجتمعات الأولى

كانت بوسطن أول مدينة هامة فى تاريخ أمريكا ، عاصمة أمريكا الإنجليزية كلها ، ، تسمية أطلقها عليها كوتن ماذر فى القرن السابع عشر . كانت تشكل انعكاساً للقوطية ، تيه من الشوارع الملتوية الضيقة محصورة فيما يدعى الآن نورث إند ، بنيت بيوتها جزئياً من عروق الأخشاب أى من إطار ثقيل من الكتل الخشبية ذى فتحات تسد بالحجارة الصغيرة وقوالب الطوب والجص ، أما هياكلها فتنتمى إلى العصور الوسطى .

أما الألواح فلم تعرف إلا حوالى نهاية القرن، وكذلك الطلاء الأبيض والزينة .

كانت منازل بوسطن الأولى على درجة كبيرة من التواضع من حيث ضآلتها وازدحامها وطابقها الثانى البارز عن الأول ، وجــدرانها الرقيقة تخترقها النوافذ ذات الإطارات . وفى منزل بول ريفير المرمم والذى يرجع تاريخه إلى عام ١٦٧٦ ذكرى مفيدة للطراز ، ولو أنه بنى وقت بدء استعمال التغليف بالألواح واستبدال الأسقف القش بخشب كالقرميد ، وكانت المبانى العامة تماثله فى البساطه ، وهذا أمر طبيعى فى بيئة كان الفن فيها وكل مايشتم منه مجلبة للسعادة. ودور الاجتماع (والمبنى الذى ما زال قائماً فى هنجام يعتبر مثلاً رائعاً لذلك) كانت خشنة وأشبه ما تكون فى هياكلها بالشون . ومن بين الأبنية الفخمة يعتبر مبنى بلدية بوسطن ذو الطوابق الخشبية الثلاثة ، والسقف الجمالون تتدلى منه القناديل ، حسن المنظر وممتازاً بالنسبة لما تقدم من الزمن .

بدأ النضال للبناء فى القفز على طول الشاطىء عندما وضع أوائل المهاجرين أقدامهم على الأرض . وقد وجدت الحلة الاحتياطية التى أرسلت إلى جيمستون لمعونة الكابتن جون سميث فى عام ١٦٠٨ المستوطنين يعيشون فى أكواخ حقيرة وحفر فى الأرض . كانت الحفر هى المأوى الوحيد لمعظم المستوطنين فى أعوامهم الأولى ، وتبع ذلك أكواخ رقيقة من القوائم العمودية والحواجز من الأغصان المضفورة أو مستطيلات من الخوص وأسقف محدبة مغطاة بالجلود أو لحاء الشجر . وإن زيارة لقرية الرواد ، أو إعادة بناء مدينه ، سالم ، بمساشوسيتس كما كانت فيما مضى ، ليميط اللثام عن خشونة المساكن الأولى ووهنها .

لم تكن مثل هذه المساكن موجودة للبيوريتانيين أو للعائلات الأولى بفيرجينيا ، فقد استورد السويديون والألمان هذا الطراز من البناء عبر الديلاوير فى نهاية القرن السابع عشر ، ولم ينشره الإسكتلنديون والأيرلنديون على طول حدود الأليجنى إلا بعد مضى خمسين عاماً . وبمجرد أن صار الأمر عملياً استعاض

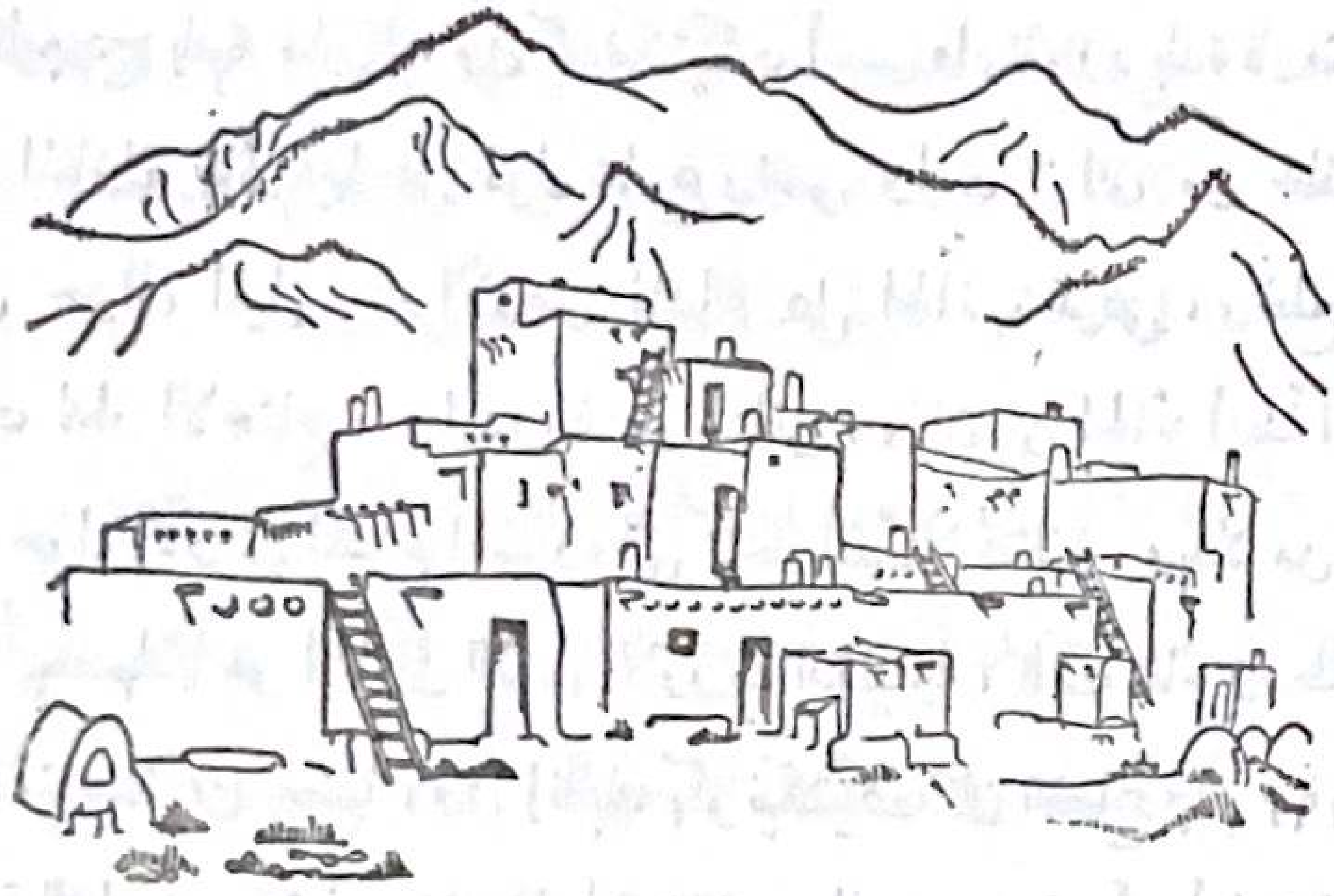
مستوطنو نيوإنجلاند عن علاتهم الحقيرة بمنازل مبنية جزئياً وجيداً من الخشب على النمط الإنجليزى ، وفى نيوأمستردام فضل الهولنديون المنازل المبنية من الآجر ذات الأسقف الجالون المدرّجة ، وقلما وصلت المستعمرات فى القرن الأول للولايات المتحدة إلى أى شيء أبعد من الصدى البحت لإقليمية العصور الوسطى . وأكثر أبنية طراز العصور الوسطى إتقاناً بيننا الآن هو كنيسة سان لوك البديعة (١٦٨٢) فى أبراشية نيوبورت بفرجينيا ، وفيها ملامح قديمة من الأبرشيات فيما وراء البحار .

كان الشكل السائد للمجتمع الأمريكى قبل ظهور المدينة الأمريكية الحديثة يتمثل فى البلد ذات السوق الزراعية التى تتلاشى سريعاً فى أيامنا . ويقع الكثيرون من كبار المراقبين فى خطأ تسمية بلداننا « بالقرى » ، كما هو ملاحظ فى حالة « قرية نيوإنجلاند » مع أنها مقر « اجتماع ممثلى البلدة » ، وكان ألبرت جالاتين وزير المالية فى عهد جيفرسون عليما بهذا الاختلاف ، فقال مذكراً الفرنسى « ألكسيس دى توكفيل » عام ١٨٣١ « ليست عندنا قرى أعنى مراكز مأهولة بالفلاحين ، إن مالك الأرض يعيش على أرضه والبيوت متناثرة بالمزارع . وما نسميه « قرى » هنا يستحق فى الواقع اسم بلدة ، إذ أن السكان يتألفون من التجار والصناع والمحامين » . لقد ظهرت القرية فى أول أيام المستعمرات ، وانقلبت بسرعة فائقة إلى سوق زراعية مع زيادة سكان البلاد وحجم التجارة ، أما القرية الأمريكية الحقيقية فقد أتت عن مجتمع آخر يختلف كثيراً عن هذه المجتمعات .

كان الهنود يعيشون فى قرى ، غالباً ما كانت مؤقتة « الإيروكوى » مثلا كانوا ينقلون قراهم كل عشر سنين أو اثنتى عشرة سنة . ولا نجد سوى فى الجنوب هنوداً يعيشون الآن فى مجتمعات قروية تسمى بوبلوس pueblos . ولا تزال المساكن الكبيرة المتعددة الطبقات المبنية من الحجر واللبن ترتفع أربع أو خمس

طبقات فوق التلال الصخرية أو الصحراء . بنى هنود البوبلو هذه المساكن دون أبواب لأغراض دفاعية ، وكانوا يلجونها بواسطة السلالم الخشبية المتنقلة ، وكان الطابق الأول يستخدم فى التخزين والطوابق العليا للإقامة . إن شكل هذه المساكن الغريب وجدرانها الملساء مثل راحة اليد المبنية من اللبن ذى اللون البنى الداكن المائل إلى الصفرة والتى تغطى أحياناً بالجص ، ليدعو إلى تباين حاد بينها وبين القرى الحديثة المكدسة بالقرب منها .

نوع آخر من القرى زال ، لحسن الحظ ، من المنظر الأمريكى هو قرية العبيد . وقليل منها ، علاوة على ما كان بالمزارع الواسعة ، حسن المنظر ، وفى الغالب كانت عبارة عن خط مزدوج من الأكواخ البسيطة من الكتل الخشبية



قرية أمريكية قديمة، تاوس بوبلو بنيومكسيكو. وفى الأصل لم تكن هناك أبواب على مستوى الأرض

أو الطوب ، وممتدة على طول ممر قذر بالقرب من الدوار . ولم تبذل أية محاولة لإسكان العبيد فى مساكن دائمة تكون جزءاً من الأبنية الرئيسية كما كان يحدث بفرنسا من إسكان الخدم والأتباع بالقصر الفرنسى ، أو بالمنزل الريفى الإنجليزى

أو البالادية فى برتنا — وكانت النتيجة أن جميع أكواخ العبيد بما فيها تلك التى بقيت فى القرن التاسع عشر قد زالت من الوجود .

يلاحظ جالاتين بحق ، أن القرية — وهى نتيجة حتمية للإقطاع ونظام العبيد — لم تكن لتبقى طويلا فى أمة من الملاك الأحرار . قوتان اجتماعيتان هائلتان بدلتاها — الدفع الجماعى من ناحية والدفع الفردى من ناحية أخرى . فالأولى أنشأت بلدة السوق التى تكلم عنها جالاتين ، والثانية أنشأت المنظر الطبيعى الأمريكى مزداناً بالمزارع ، وفى ماساشوسيتس انتظم المستوطنون فى جماعات ، وحصلوا على الأرض من المحكمة العامة للمستعمرة لإنشاء مقر كانوا يسمونه « بلدية » . وما أن يزداد عدد أفراد البلدية حتى ينتزع منهم أعضاء ينشئون بدورهم بلدية جديدة على منحة من الأرض الجديدة ، وبهذه الطريقة أسس كامبردج بلدة بيليركا ، وفى كونيكتيكت أسس هارتفورد بلدة فارمنجتون. وكانت المنازل تنتشر فيها على طول شارع رئيسى واحد تترامى من خلفه قطع الأرض حوالى الميل . والأرض المشاع على الجانب للرعى ، وقطع أخرى خصصت لدار الاجتماع ، والمدرسة ، والمدافن . وكان من الجائز أيضاً أن تقوم المنازل حول الأرض المشاع المسورة التى تتخذ أشكالا مختلفة . وبدلا من اتصال البيوت ببعضها كما هو الحال فى القرى الأوروبية التقليدية ، كانت تقام وسط الأرض الواسعة منفصلة عن بعضها ، وفى إنفيلد بكونيكتيكت كان القطاع يبلغ ١٩٢ قدماً عند نهاية الشارع ، ويترامى خلفه لمسافة تبلغ حوالى ١٩٢٠ قدماً . أما بقية أرض البلدية التى تقدر بعدة كيلو مترات مربعة ، فكانت تترك مشاعاً يتملكها أول المستوطنين . وعلى العكس من القرية الأوروبية التى تتكدس فيها المنازل حول القصر ، كما هو الحال فى باليردى بنورماندى أو فى المنطقة القريبة من فيلا فارنيز الكبيرة بكابرولا فى إيطاليا ، حيث يمشى الفلاحون عدة أميال قبل أن

يصلوا إلى أرضهم ، أقيمت المنازل فى إنفيلد خلف الشارع ، وفصلت عن بعضها . وما كان على ساكن البلدة سوى أن يقطع فناء منزله الخلفى الطويل ليصل إلى المزرعة . والأرض الفضاء. وهى من أهم مشاهد الضاحية الأمريكية اليوم تحد من انفصال الأرض بهذه الطريقة . وبزيادة عدد السكان ، وبلوغ أبناء وبنات المستوطنين الأصليين سناً مناسبة ، أو بوفود مستوطنين جدد إلى القرية ، تقسم الأرض المشاع التابعة للبلدية ، والتى تلى الأرض المشغولة ، تمنح أو تباع ليزرعها أفراد متباعدون ، وعلى الرغم من أن هذه العملية تمت بطريقة أكثر تواضعاً من فيرجينيا ، فإن المزرعة الأمريكية وما لها من أثر فى وضع معالم المنظر قد أصبحت نموذجاً تقليدياً فى الشمال ، وزاد الجوع إلى الأرض من الجنوح إلى الفردية وتسبب فى السخرية من الجاليات التى تسيطر عليها أحكام الكنيسة. وفى حوالى عام ١٦٨٠ شاعت عادة الانفراد فى المعيشة بعيداً عن المجتمع ، حتى إن إنكريس ماذر احتج قائلاً « الناس قد تاقت نفوسهم إلى الهيام بالغابات فى وحشية وكفر ، كما كانوا دائماً ، ما لم يستطيعوا كبح جماح أنفسهم » ، وفى بنسلفانيا — تحت إيمان أقل صلابة — كان يحدث نفس الشىء .

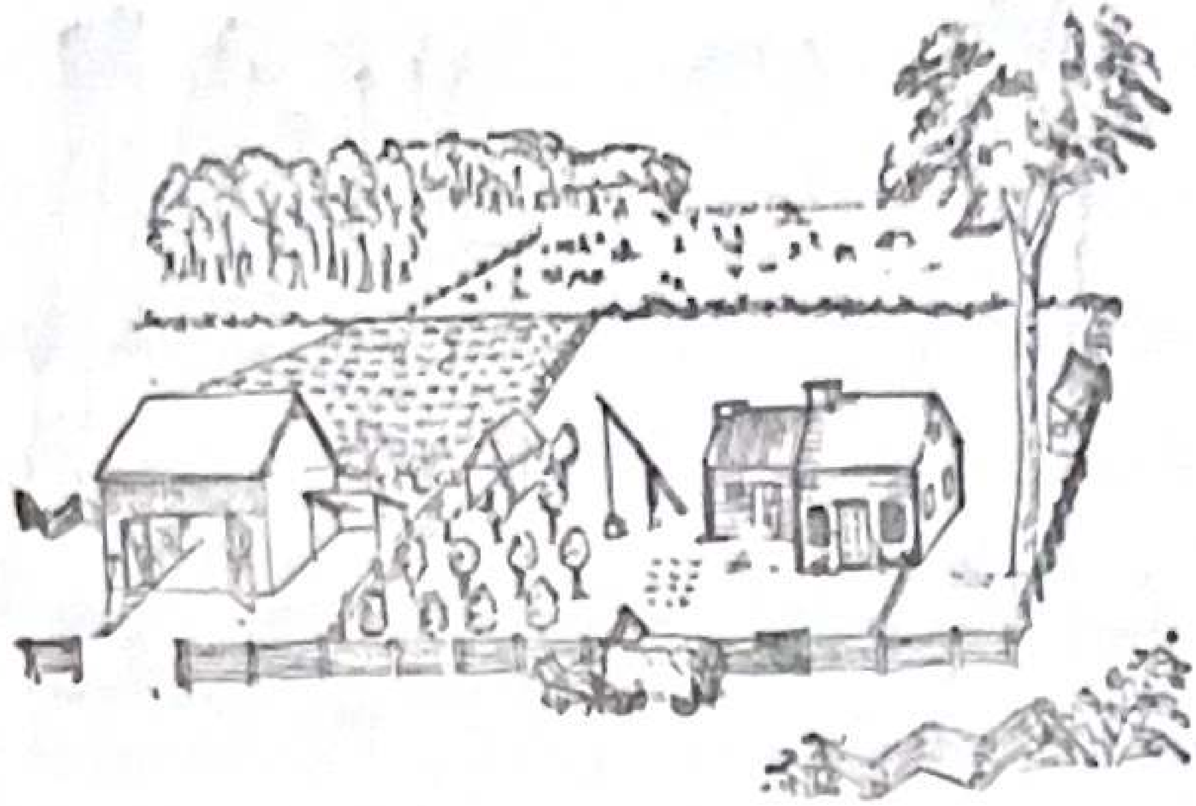
حوالى عام ١٦٨٥ كان وليم بن يكتب إلى انجلترا فى انزعاج « . . . عديدون ممن كان لهم الحق فى أرض أوسع ، كانوا فى الأصل تواقين إلى أخذ نصيبهم كله دون اعتبار لهذه الطريقة من الاستيطان ، ولو أنهم بهذا الفراغ القفر قد خربوا البلد ، وهذا لمصلحتنا بطبيعة الحال » . ثم قال مفسراً « لماذا كان يريد بلداناً مستقرة تماماً ، فى بالى مجتمع ، ومعونة ، وتجارة نشطة ، وتعليم الشباب ، وحكومة ، وأخلاق الناس ، وتيسير الاجتماعات الدينية ، وتشجيع الميكانيكية والطرق الممتازة المعبدة » . كان الفرجينيون القدامى أيضاً يفضلون البلد المفتوح والواقع أنه عندما أمرت الجمعية العمومية للمستعمرة عام ١٦٨٠ بتأسيس تسع

عشرة بلدة ، واحدة لكل مقاطعة ، بعد أن رأت ضرورتها الفائقة وفائدتها وميزتها من ناحية الإسكان ، لم ير شارل الثانى مندوحة من وقف القرار تحت معارضات الزراع الذين رفضوا شحن التبغ عن طريق البلدان . مفضلين الموانى الخاصة بمزارعهم . ولم يظهروا أفراداً أو مجتمعات كما فى أوربا نا على نهر رابا هانوك إلا فى عهد وليم ومارى ،عندما جُعلت البلدان موانىء للدخول ،وطُبق ذلك فى الجنوب .



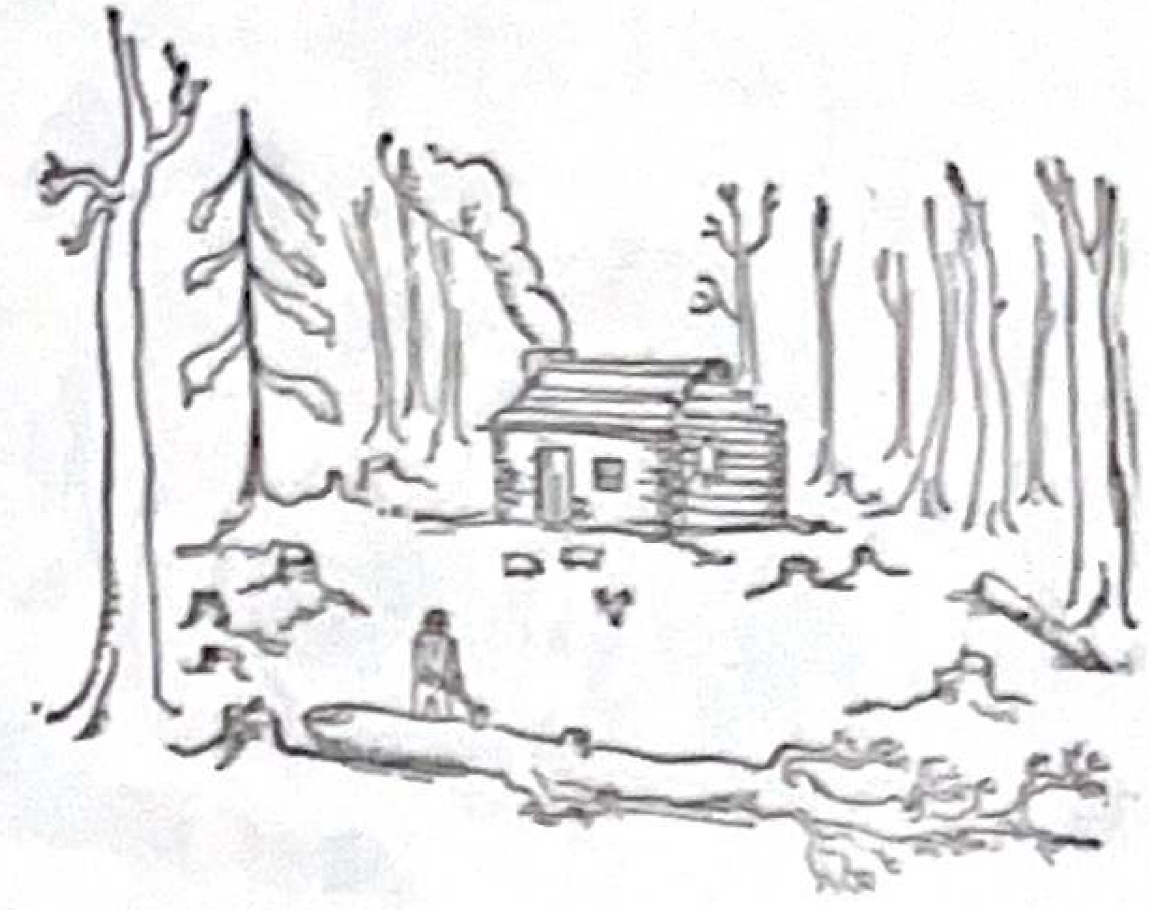
تطور التطهير ـ المرحلة الاولى

إذا كانت الثورة من أجل الأرض قد نأت بمنزل المزرعة عن المنظر، فإن طريقة تطهير الأرض انتهت بتقديم « الأرض المفتوحة » ، وقامت البيوت فى العراء ، رغم الترحيب بالجميع ، لكى يروا بعضهم البعض ، ومن الجائز أن كان ذلك نتيجة مرض الخوف الجنونى من الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) الناتج عما يسببه ظلام الغابة . وصف تيموثى دوايت عميد كلية بيل عملية تطهير الأرض لإنشاء مزرعة ، وهى لا تختلف عن تطهيرها لإنشاء بلدة جديدة قال « إن تطهير مزرعة مغطاة بالكثيف من الأشجار التى تتكاثر عموماً فى هذه البلاد ليس عملا قليل الأهمية » وحذر مما دعاه وصفاً لأولى المراحل ».



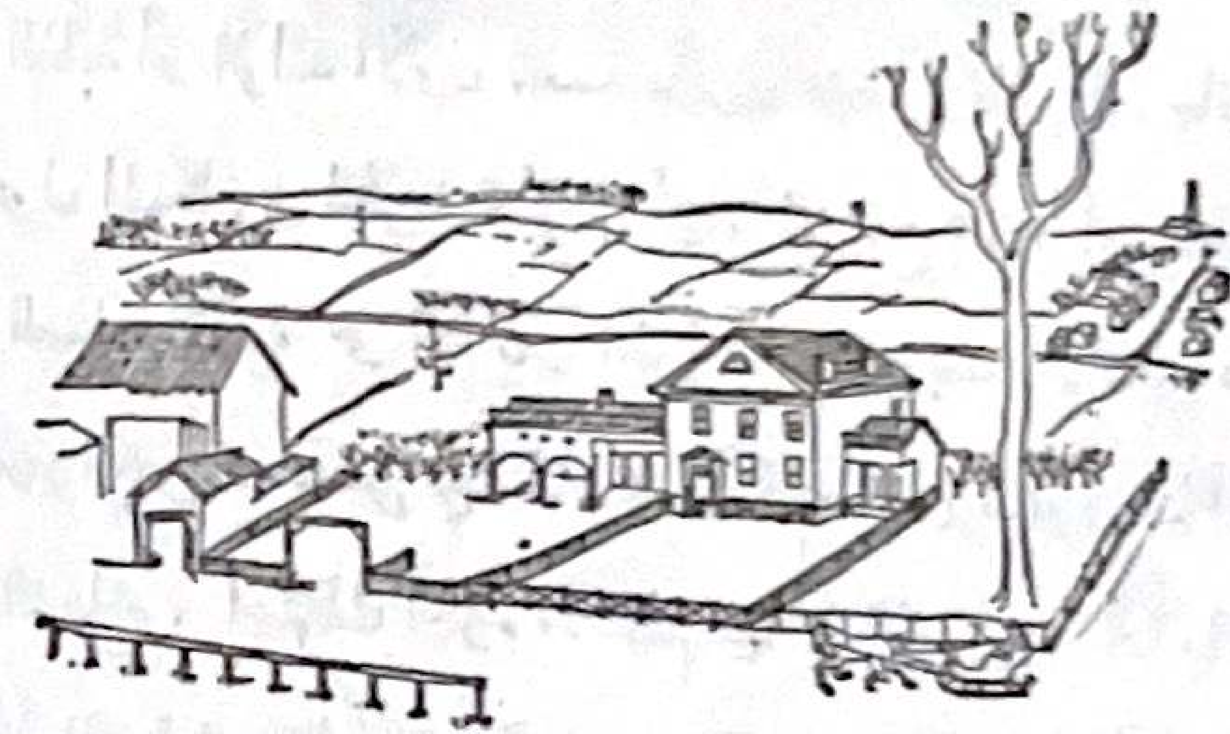
تطور التطهير . . . . المرحلة الثانية

وأردف « وتتجلى حقيقة ذلك عندما يقع عبء العمل على عاتق رجل واحد كما هى الحال عادة ، وخصوصاً إذا كان ذاك الرجل فقيراً ومضطراً للنضال ضد متاعب أخرى مثبطة للهمم » . كم تكشف هذه السطور من تركتنا . . . لقد بنى ساكن الغابة أو الرائد الأول لنفسه مأوى مؤقتاً وعاش إلى جانب غدارته . ثم سعى حول المكان فى الخريف أو فى أول الربيع يحزم أو يقطع أشجارا . وأصبحت العملية الثانية هى الأكثر اطراداً . « وبعد أن تمضى على الأشجار فترة كافية من الزمن ، يشعل فيها النار فى المكان الذى تكون قد أسقطت فيه ، فإذا حالفه النجاح ، استهلك الجزء الأعظم منها فى الحريق . أما ما يتبقى فيقطعه ببلطة قطعاً مناسبة يحزمها فى ربطات ويشعل فيها النار مرة أخرى ، ثم يترك الرماد لإخصاب التربة أو يجمعه ويبيعه إلى منتجى (البوتاس) فيحصل على ما يكفى للصرف على تكاليف التطهير . « وبعد أن تم عملية حريق المزرعة يتلخص عمله الثانى فى التكسير ، والآلة المستعملة فى هذا الغرض عبارة عن مشط كبير قوى ذى أسنان حديدية بالغة الصلابة ، ويشبه فى الشكل حرف A الكبير ـ يمرر المشط على السطح مرات كافية لتصبح الأرض مستوية ، وبعدئذ تغطى الأرض



تطور التطهير . . . . المرحلة الثالثة

بالتقاوى . وليست ثمة فائدة للمحراث هنا ، إذ أنه سرعان ماينكسر من مقاومة جذور الأشجار له » .



تطور التطهير — المرحلة الرابعة . . . . تبين انتعاش الطراز اليونانى عام ١٨٣٠

لاعجب إذن ، وهو يجابه مثل هذا العمل الذى يقصم الظهر ، إن لم ينظر الرائد إلى الشجرة فى عميق من الحب ، لقد لاحظ دوايت أن كثيرين منهم « قطعوا الأشجار التى بغاباتهم بيد لا تعرف الرحمة » . ولو تركت بعض الأشجار فإنها

تكون منفصلة عن البيت ، كما لو كانت تلقت إنذاراً ضد الاقتراب . وما كانت النباتات السياجية ولا الجدران لتقترب من المنزل إلا لكى تكون عند الحاجة سياجاً حامياً ، ومع أن الغابات أعدمت ، فإن أحفاد المستوطنين الأوائل لم ينكروا الخسارة ، وبدافع من الولاء غرسوا الأشجار على طول الطرقات ببلدانهم .

ولقد بدأت التجربة فى الجزء الأخير من القرن السابع عشر بأشجار الدرداء الضخمة وأشجار الأسفندان لتملأ الفراغ . وقد كان فى يوم من الأيام مطلوباً بشدة — وهذا وصف لمدينة نيوهافن فى السنين الأولى للجمهورية : « كان لكل فرد تقريباً صف أنيق من الأشجار ، وكان لعديد من المنازل حدائق متصلة بها وحقول من الخضرة الهندية مما يضفى على البلدة مظهر المجموعة الكبيرة من المنازل وسط البساتين الرائعة . » تكون هذا المجتمع الأمريكى المورق ، والذى يشاهد الآن فى كل مكان ، وخصوصاً فى ضواحى مدننا الكبرى منذ مولد الأمة .

٢ — الحكمة والقرية الخضرة

كان المظهر الممتاز لبلدة نيوإنجلاند يتمثل فى الأرض المشاع أو الخضراء . واتخذت هذه المساحات من الأرض أشكالاً متعددة ، فتارة هى شريط عريض خضر على طول جانب واحد من شارع رئيسى ، كما هو الحال فى إيستهامبتون بلونج أيلاند ، أو مثلث من الأرض يتكون من تقاطع الطرق كما فى ليكسنجتون بماساشوستس حول تمثالها الحديث Minute man لهنرى هدسون كيتسون ، أو على شكل بيضاوى ساحر ، كالموجود فى وودستوك ، أشهر أرض خضراء بفيرمونت . كان أول مثل لتخطيط المدينة فى المستعمرات هو الذى تم فى عام ١٦٣٨ بمستعمرة نيوهافن ، حين خططت على شكل ساحات أربعة ، احتفظ بالمتوسطة منها لتكون الأرض المشاع الخضراء ولتضم السوق والمرعى . وعلى الرغم من أن إقامة المبانى المرتفعة على الجوانب الثلاثة أتى منذ ذلك الحين على النمط

القديم فإن أرض نيوهافن الخضراء ما زالت كما هى . كان هذا المربع من الأرض الخضراء هو الذى أصبح من بعد أهم معين فى نيو إنجلاند يستفاد منه فى تخطيط المدن ، إذ كان أبناؤها وبناتها ينتقلون عبر الهدسون داخل ولاية نيويورك والغرب الأوسط فى السنين التى تلت الحرب الثورية ، فيؤسسون المقر بعد الآخر فى «الوسترن ريزيرف» وبعيداً إلى الغرب من إيلينوى وويسكونسين ،حيث كان لكل بلدة ساحة غالباً ما تظللها أشجار الدرداء على طريقة نيو إنجلاند،مما كانت تعتز به البلدة أيما اعتزاز .

تعتبر أرض نيو إنجلاند الخضراء مساهمة لا جدال فيها فى المنظر الأمريكى للبلدة ، ولكنها دون شك ليست المساهمة الوحيدة أو الأكثر أهمية . ومن المؤكد أن هذا الاختلاف بين الجاليات الأخرى التى تحتفى فيها الأرض الخضراء على الرغم مما كان يوفره من متعة ،كان يفتقد صفة هامة تكسب هذه الجاليات شخصيته صفة التجمع المعمارى اللائق ، فالمساحة المفتوحة وحدها لا تكفى لإرضاء العين . إن جهد العصور الوسطى القوى تجاه المستعمرات الأولى الذى يشاهد فى المبانى نصف الخشبية ، واستعمال القش للأسقف ، والطابق الثانى المعلق فوق الأول ، قلما عمل على خلق ساحة السوق ذات البواكى الموجودة فى أوروبا ، ثم إنه لا ينتظر وجود المحيط المعمارى فى البلدان المفتوحة حيث يعتد بالفرد لا بالجماعة ، كتب بيتر كالم ، من الطبيعيين السويديين فى ألبانى بنيويورك عام ١٧٥٠ ، «لا توجد هنا أبواب ولكن ثغرات يمر منها الناس غالباً إلى داخل وخارج المدينة وسوقان اثنتان بالبلدة التى كانت تتألف من شوارع غاية فى الاتساع» .

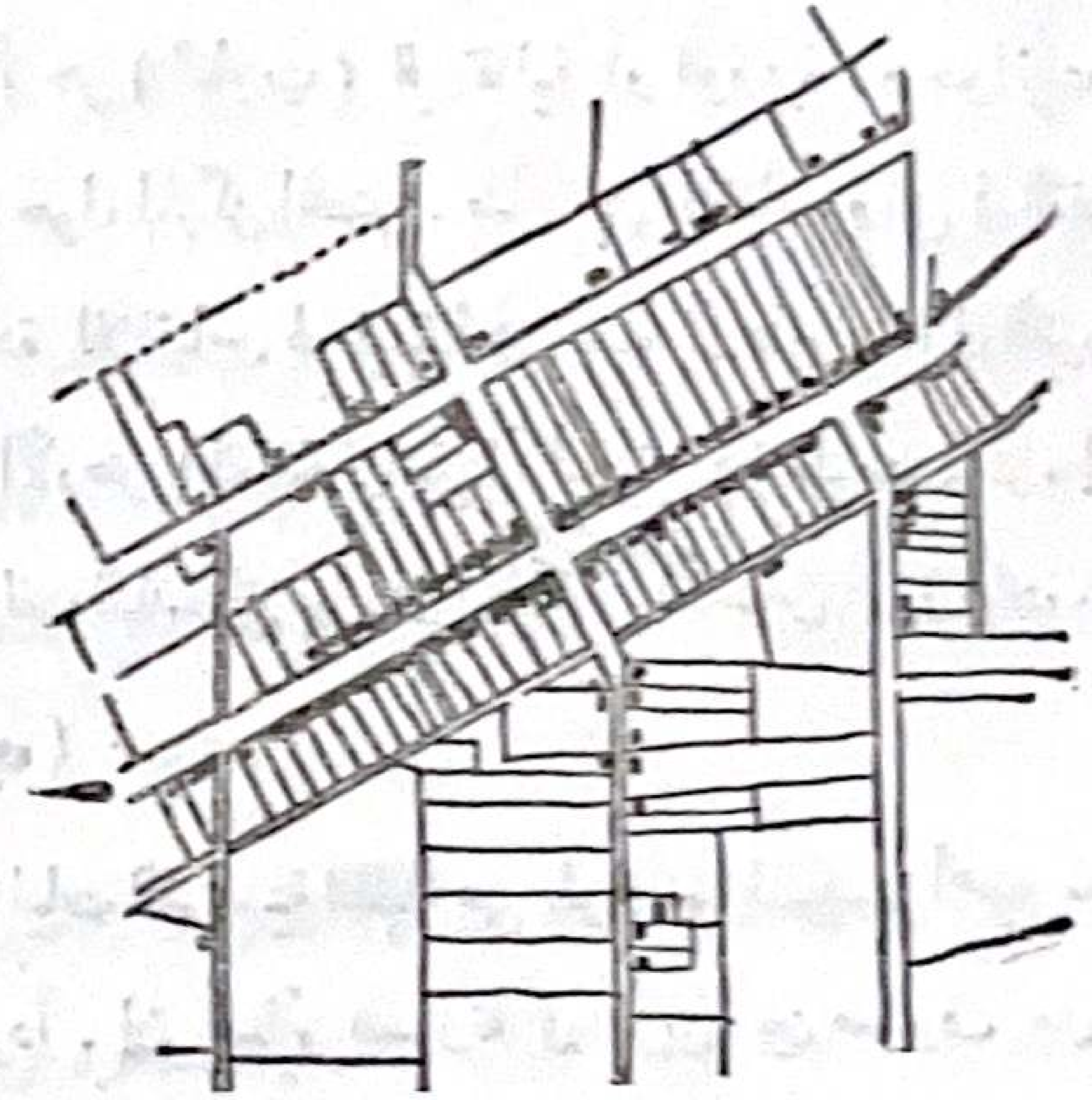
إن الميدان المعمارى فى الولايات المتحدة ، شأنه شأن بلازا مايور بأسبانيا ، لم ينشأ عن التجارة وإنما عن الحكومة ، وأول ما كان فى مستعمرة فرجينيا . وفى نيو إنجلاند حيث كانت البلدية هى الوحدة الحكومية الرئيسية لا يوجد مثل هذا الميدان ، فهو لا يساعد إلا عندما تظهر الولاية بقوة فى الصورة . لقد تطلبت

حكومة الولاية وضعاً هاماً ، ففى عام ١٩٣٤ أنشأت حكومة فرجينيا تسع مقاطعات (تغير الاسم إلى ولاية فيما بعد) وثبتتها كوحدات حكومية محلية . ولم تقم عواصم المقاطعات فجأة ، وإنما عقدت اجتماعات المحاكم فى الدور أو الحانات حول الولاية . ومع ظهور البلدة عام ١٧٠٠ بنى الكثير من دور المحاكم وما تزال قائمة : فالأميرجورج اسم عاصمة المقاطعة التى تدعى بهذا الاسم ويرجع تاريخها إلى عام ١٧٠٢ ، وهانوفر منذ حوالى ١٧٣٣ فى موقع من أرض فضاء وجدران من الطوب ، وجلوستر (١٧٦٦) وهى من أجملها ويحيطها سور من الجدران . أما مبنى المحكمة القديم بيوركتون فلم يعد له أثر ، ولا ذلك الذى صممه جيفرسون لمحكمة مقاطعة بكنجهام والذى أتت عليه النيران عام ١٧٦٩ ، كانت البلدة ذات مبنى المحكمة فى الأيام الأولى لفيرجينيا ، وما تزال حتى الآن فى طول البلاد وعرضها ، مركزاً اجتماعياً وسياسياً وتجارياً ، مكاناً للاجتماع بالنسبة للمقاطعات المجاورة ، هذه هى مساهمة فيرجينيا — الميدان الصغير وبه مبنى المحكمة الجميل ، وقد توجد مكتبة ، عدد من الكنائس ، مكتب محام ومجموعة من البيوت المبنية من قوالب الآجر (الطوب) البرتقالية أو الوردية ، وحوانيت تصطف إلى جانب بعضها حول المركز المخضر ، ضآلة فى المقياس وغنى فى التفاصيل . ولقد كان فى ذلك مادة للاقتباس لها قيمتها فى ريف أوهايو وخلال الغرب عندما أنشأ الفيرجينيون الأرض الخصبة فيما يلى الأليجينيز (أبعد من ذلك ، إلى الجنوب فى ميسيسبى ، تؤلف البلدة التى بها دار المحكمة ، الأساس فى روايات ويليم فولكنر ويودورا ويلتى) .

كانت للجاليات الفرنسية القليلة على طول نهر المسيسبى أهمية معمارية وبعضها ما زال موجوداً . إن السائر بسيارته فى طريق بين صفوف من المنازل ذات الطابق أو الطابقين والأبواب ذات الطنف والأسقف المائلة المنخفضة ليجد نفسه فى سانت جنفييف بميسورى ، وهى بلدة تجارية أسست فى عام ١٧٥٠ ، وكانت

بيوتها أصلاً مبنية من أعمدة من الطين ، مثبتة فى الأرض ، يملأ ما بينها بالطين والحجارة الصغيرة ، وهذه طريقة بناء لم تشاهد فى هذه البلاد سوى فى البلدان الفرنسية ، ولكن الطنف أو المعابر فى عديد من الحالات هى التى أكسبت المحلية لهذا الطراز من البناء ، فإذا توغلنا على طول النهر ، ناتشيز بمسيسبى ، وهانفيل بلويزيانا ، وجدنا منازل أخرى تذكرنا بالوقت الذى كان فيه الوادى بأكمله جزءاً من مملكة فرنسا .

ولكن الأكثر شيوعاً هى تلك الجاليات التى أسسها الألمان . ففى عام ١٦٨٣ قاد فرنسيس دانيل باستوريوس عصبة من أهالى الراين كانت طليعة التدفق الهائل لهجرة الألمان ، وقادهم إلى أطراف فيلادلفيا . وهنا بنى البلدة الألمانية ، أول مجمع تخطيطى فى شرق بنسلفانيا يتألف من صفين من المنازل المبنية من الأحجار الرمادية اللون على جانبى الشارع الرئيسى ترتبط ببعضها وتواجه الشارع مباشرة ،



كوتزتان ، بنسلفانيا ، أسست عام ١٧٧١ . شبكة من بيوت ألمان بنسلفانيا صممت على طريقة الخطوط .

تعرض وحدة معمارية قلما كانت تشاهد فى أمريكا . كرر هذا الطراز من البناء آخرون من مهاجرى الراين (ألمان بنسلفانيا) ناقلين عن قرى وطنهم الأصلى . ومع أن آثار هذه المنازل ما زالت باقية بالبلدان الألمانية وغيرها ، فإن النموذج قد اختفى قبل ظهور الجبهة التجارية والأرض المفتوحة .

ومن بين الأمثلة القليلة للساحات والمجمعات التعميرية المعمارية تبرز تلك الخاصة ببعثات وحاميات كاليفورنيا والجنوب . فالكنيسة الملحق بها دير أنيق مبنى غالباً بجوار بهو يبين عمل رهبان الفرنسيسكان ، أما برج وواجهة الكنيسة ونوع الزخارف بداخل المبنى فتكشف عن أن الإنجليز السكسونيين كان أمامهم تعلم الكثير مما يتصل بالفنون . لقد حاول الفرنسيسكان فى هذه الجاليات أن ينقلوا أسلوب الحياة المسيحية إلى الهنود الذين لم تكن تهمهم هذه الحياة تماماً كما فعل جيزويت باراجوى فى عملية « الإخضاع » المعروفة مع شىء من النجاح ، إن البعثات مازالت موجودة على حين اختفى الخاضعون تقريباً («والخاضعون» هم عبارة عن الجاليات التى أسست فى مستهل القرن الثامن عشر بواسطة الآباء الجزويت لمساعدة الهنود فى حماية أنفسهم ضد المستعمرين البرتغاليين والأسبان . وتظهر هذه المستعمرات الفريدة فى موضوع لفولتير فى روايته « كانديد ») . ومن أحسن المستعمرات سان كزافيير دى باك (١٧٨٤ — ٩٧) بتوكسون بأريزونا ، وبعثة سانتا باربارا (١٧٨٦) بكاليفورنيا التى جاءت بطراز الباروك الأسبانى — المكسيكى إلى حدود البلاد .

إن فخامة واجهة سان كزافيير بكواتها المسدودة الحلزونية ، وكتاباتها وزخرفها العربى وتماثيلها ، فضلا عن بهاء الزينات الداخلية ، ليثير فى نفوسنا الأسى لأن الفرنسيسكان لم يبنوا مستعمرات أكثر ويضفوا الشكل على بلدان أكبر . كانت الحاميات والبلدان المدنية فى كاليفورنيا التى أسسها حكام الأسبان

والمكسيكيون من بعدهم تتألف من طابق واحد من مبانى اللبن حول ساحة . ولم يبق من هذه المبانى المتواضعة سوى القليل فيما عدا الاسم ، وأهم ساحة ورثناها هى تلك التى تدعى لارينا دى لوس أنجيلوس ، وما زالت باقية وسط تلك العاصمة المترامية الأطراف رغم تعديلها تعديلاً جوهرياً .

٣ ــ طراز الباروك الأمريكى :

جاء القرن الثامن عشر بتغيير شامل لمظهر المدن الاستعمارية الصغيرة . لم يكن مفر من الانتقال إلى الآجر ، إذ أن الخشب كان ينطوى على خطر الحريق وكان هذا هو أول التغيرات . والثانى هو استعمال طلاء الرصاص وهو مظهر من مظاهر الانتعاش . أما ثالث الخطوات التقدمية فقد تمثل فى الشوارع ذات الزوايا القائمة المعبدة والمغروسة بها الأشجار صفوفاً ، أما الأهم فهو أن خط السماء كان قد بدأ يتكون ولم يكن له وجود من قبل . كانت هناك أبراج ولكن لم يظهر برج من طراز الباروك Baroque على النمط المنسوب إلى « سير كريستوفر رن » الا فى عام ١٧٤٠ ، حين رفع فوق كنيسة المسيح (أولد نورث) فى بوسطن . لقد قابلت الكنائس الكالفينية تحدى الكنائس الأنجليكانية بما يناسب المقام، ولكن فى روية . وكان أول ظهور البرج الأبيض، وهو اليوم رمز لنيوإنجلاند ، عندما تحول دار الاجتماع إلى كنيسة .

إننا نتعرف على مدى تأثير «رن» فى هذه البلاد بما له من أبراج فى كل مكان، وعنه وعن أتباعه نشأ الفن الإنجليزى المستوى من الكنائس والقصور والفيلات الفرنسية والإيطالية . وبينما كان معظم العمل ينفذ فى أوروبا بالأحجار ، اقتبسنا نحن الطراز لعمارتنا الخشبية ، فنجد لمداخل ويستوفر المشهورة بفرجينيا (حوالى ١٧٣٠ ـــ ٣٤) كرانيش بزخارف حلزونية فخمة تعكس ظلال روما . وكذلك الحال بالنسبة لمدخل « وتوورث ـــ جاردنر

هاوس » (١٧٦٠) فى بورتسموث بنيو هامبشير ، فله تركيبات زخرفية متقنة كثيرة كالتى تشاهد بفيليب مانور ، بيونكرز ، بنيويورك (١٧٢٠) ففيها تعبير آخر عن هذا الطراز البالغ الروعة الذى شاع على طول الشاطىء .

لم يدع المستعمر ، وقد اقتصر على الخشب والآجر ، نقص المواد يعوق ميله إلى الأناقة ، فإذا افتقد الرخام لداخل الأبنية استعاض عنه بتقليد شكل الحجر بالطلاء والخشب ، وتبعاً لطرازنا المألوف ـــ الذى يتميز بالبساطة والتجريد ـــ فإننا نتقبل فى كثير من طيبة الخاطر الفكرة التى كانت نموذجية بالمستعمرات ، فكرة اللون الواحد سواء كان أبيض أو غيره . وفى هذا تقليل من شأن ذوق أجدادنا الفنى . وتعادل النقش الفاخر مع أعمال الرخام عندما قلد الرخام على الخشب أو المصيص أو بالتعريق ، وذلك بأن تقلد تعريقات الخشب الفاخر على الخشب العادى . ولدينا فى متحف المتروبوليتان بنيويورك مثل من مارميون ، بمقاطعة الملك جورج بفيرجينيا ، فنقوشه الرخامية والمذهبة مما يدعو إلى الفخر . ويقدم مبنى هنترهاوس الذى تم ترميمه أخيراً وهو الآن مفتوح للجمهور ، نيوبورت ، برود أيلاند ، الأمثلة على التعريق على خشب الصنوبر لمحاكاة خشب الأرز .

كانت أكثر عمليات المحاكاة فاعلية تتمثل فى داخل المنازل ، فالجدران الخشبية حاكت قطع الأحجار كما فى « مونت فيرنون » منزل جورج واشنطن بفيرجينيا ومكتبة رد وود بنيوبورت . أما فى البيوت الأكثر تواضعاً فقد تركز التقليد فى الواجهة فقط حتى أطلق عليها بحق اسم « الزائفة » . لقد انبثقت الواجهة الزائفة التى شاعت بالشرق فى يوم من الأيام مقتبسة عن الباروك الأمريكى . ففى عام ١٧٥٠ لاحظ « كالم » أثناء تجواله بنيو برانسويك ، بنيوجرسى ، أن المنازل المبنية من الخشب وقوالب الطوب قد بنى جدارها الذى يطل على الشارع وحده من الطوب ، أما جميع الجوانب الأخرى فكانت من الألواح الخشبية ، وإن فى

هذا المظهر الفريد مايدفع المسافر الذى يكون فى عجلة من أمره مخترقاً البلدة ، إلى الاعتقاد بأن معظم البيوت قد بنيت من قوالب الطوب » .

وهناك أمثلة على هذا المظهر مازالت باقية ، وهى عبارة عن عدة منازل قديمة بشارع جروف بقرية جرينتش النيويوركية وفى غيرها من الجاليات . ولقد أوضح جورج سانتيانا هذا الباطل الفكه المألوف لدى الإيطاليين الذين كان المستعمرون يقلدونهم على مستوى ريفى . كتب يقول عن القصر الرومانى « ليست تثير إعجابنا الواجهة بقدر ماتفعل بوابة القصر المقامة أمام الدار لتكون سفيراً لها إلى العالم يلبس حتماً حلة أفخر مما فى مقدور سيده أن يلبس فى بيته » . كانت هذه هى روح الباروك الأمريكى ، لقد وضعت تقليداً ما زال يتردد صداه حتى هذا العصر ، عصر الكفاية والعمل ، على واجهات الحوانيت البديعة أو داخل الردهات الفاخرة الزينة بمبانى المكاتب والفنادق العظيمة .

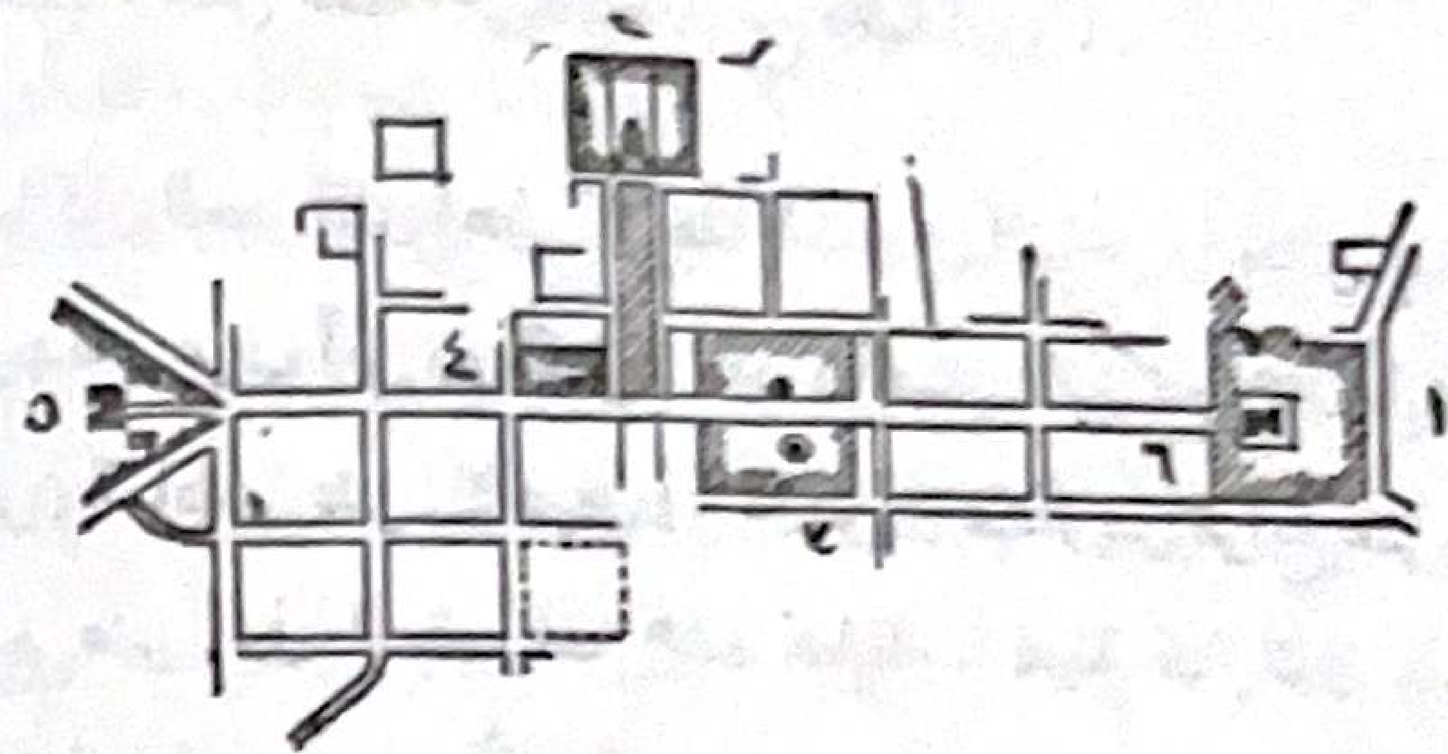
كانت الحدائق المتشابكة شكلا آخر من أشكال الفن الذى يعشقه المستعمرون . الطراز هو نفس الطراز التقليدى للحديقة الفرنسية الذى حافظ عليه الباروك الإنجليزى . الحديقة على الطريقة الفرنسية ، طريقة لونوتر Le Nôtre بدلا من الحديقة على الطريقة الإنجليزية لويليم كنت . كان هذا طراز المستعمرات خلال القرن الثامن عشر . وفى الجنوب ، بخاصة ، كان للدوار الريفى شكل ممتاز وبيت رائع للربيع ، واسطبلات وبيارة حيث كانت تخزن فى الشتاء النباتات المجلوبة من الخارج ولقد دخلت علينا إحدى هذه البيارات فى هيئة بناء صغير بديع فى «واى هاوس» على الشاطىء الشرقى لميريلاند . ومن يسعده الحظ بزيارة ميدلتون بليس بأطراف تشارلستون سوف يعلم معنى الأناقة من أساليب حديقة الباروك الأمريكية ، فلا شىء فى هذه البلاد يعدلها بهجة ، وهى فى ذات الوقت حديقة الباروك الوحيدة التى بقيت على حالتها ، ولو أن البيت ، للأسف ، قد زال من الوجود فهى بقناتها

العظمية ، وزهور الكاميليا والأضاليا على جانبيها ، والشرفات الفخمة تنساب نحو نهر أشلى ، والبرك على هيئة أجنحة الفراشات ، وأشجار البلوط الزاهية المغطاة بالطحلب ، تجعل عظمة أمريكا تتعادل مع عظمة أوروبا .

ما كان العصر الذى أعطى كل هذا السمو إلى الداخل والحدائق ليهمل شأن مظهر مدنه . عرف أهل روما تخطيط المدن والتصميم المدنى مع أعمال مايكل أنجيلو فى القرن السادس عشر . كما عرف فى باريس فى عهد لويس الرابع عشر فى القرن السابع عشر . وفى المستعمرات عملت تخطيطات لمدينة تشارلتون (١٦٨٠) ولفيلادلفيا (١٦٦٢) ولأنابوليس (١٦٩٤) على هدى تخطيط « رن » لمدينة لندن عام ١٦٦٦ ، ولكن هذه التخطيطات حجبتها تخطيطات وليمزبورج عام ١٦٩٩ . ففى العاصمة الجديدة لمستعمرات فيرجينيا اتخذ التصميم المدنى مكانه اللائق إلى جانب تخطيط المدينة — فصمم ثيودوريك بلاند البلدة بما يسمح بظهور المبانى ، فيشمل شارع دوق أوف جلوستر وعرضه تسعة وتسعون قدماً ، المحور الرئيسى فيما بين الكابيتول وكلية وليم ومارى حيث ينكسر إلى عدة شوارع على هيئة أرجل الأوز ، وهو نظام غالباً ما كان يستعمل فى التخطيطات المدنية على نمط الباروك . وكان مبنى بالاس جرين الفسيح يمثل محوراً قاطعاً صغيراً يقود إلى قصر الحاكم ويظهره . أما المبانى الرئيسية فعلى الرغم من بساطة مظهرها الخارجى وافتقارها إلى الزخرف بما يبرر نقد جيفرسون أن القصر « لم يكن جميلا » ، وأن الكلية والمستشفى عبارة عن أكوام خشنة من المسخ التى لو لم تكن لها أسقف لبدت كقمائن الطوب » ، بالرغم من ذلك فإن فى الحدائق والبوابات الحديدية المطلية والمذهبة ، وما ينطوى عليه داخل هذه المبانى من فخامة ، التعويض الكافى .

والقصر نفسه الذى أعيد بناؤه اليوم ، كان يعتبر أروع مقام فى المستعمرات.

فأعمال التجارة والأثاث ، والمعلقات ، والفضية ، وحتى زخرفة الجدران إالعينيه كانت تنطق بأن الروعة والجمال كانا فى محلها من أمريكا عام ١٧٥٠ .



١ — ميدان الكابيتول   ٢ — قصر
٣ — ميدان السوق   ٤ — كنيسة
٥ — كلية   ٦ — شارع دوق أوف جلوستر

وليمزبورج ، فيرجينيا — مثل من تخطيط المدينه على نمط الباروك الأمريكى

إن المبانى العامة الأنيقة التى لم يعرفها القرن الماضى كتلك التى نجدها فى وليمزبورج أو فى بوسطن ممثلة فى الأولد ستيت هاوس وفانويل هول ، ما كانت إلا إنذاراً بسفسطة جديدة ، وتستطيع نيوبورت أن تتباهى بأولى معمارى متخصص فى البلاد فى شخص بيتر هاريسون الذى يعتبر بناؤه مكتبة رد وود (١٧٤٨ — ٥٠) أثراً لطراز بالاديو . وكنيس تورو (١٧٥٩ — ٦٣) والبريك ماركت (١٧٦١ — ٧٢) فى نفس المدينة هما بناءان مشهوران آخران من تصميمة . كانت نيويورك حيث جلب الهولنديون والفلنك عمارتهم الوطنية من قوالب الطوب من أولى المدن التى استخدمت هذا النوع من البناء . ولم يبق الآن سوى قليل من مبانى القرن الثامن عشر بجزيرة مانهاتان . وأجملهادون ريب هى كنيسة سان بول (١٧٦٤) لجيمس ماكبين على نمط كنيسة «سان مارتينز إن — ذى — فيلدز» ، الكنيسة الإنجليزية المشهورة بلندن لجيمس جبز .

وإذا كان قد قدر لبوسطن أن تقدم أهم الأبنية العامة بالمستعمرات ، ولنيويورك أن تقدم أجمل الكنائس ، ولتشارلستون تلك الأبنية الثقافية كالمتحف والمسرح ، ولسفانا أن تقدم كفاية من الميادين. فلقد قدر أيضاً أن تتقدم فيلادلفيا عليهم جميعاً فى نهاية الفترة ، فما وافت سنة ١٧٧٦ حتى قدر تعداد مدينة بن Penn بأربعين ألف نسمة ، فكان أوفر تعداد بعد مدينة لندن بالإمبراطورية البريطانية . وعلى العكس من الآخرين الذين مروا بفترة طويلة من التطور من الكوخ المظلم ، إلى الكوخ النصف الخشبى ذى السقف القش ، إلى قوالب الطوب ، وثبت فيلادلفيا لجأة تقريباً إلى الأحجار وقوالب الطوب عقب نزوح الرواد الفيلادلفيين عن مساكنهم المؤقتة بالكهوف على شواطىء ديلاوير .

«كان «بن» قد أسس البلدة فى عام ١٦٨٢ ، وبعد ثلاثة أعوام كان يكتب إلى لندن عن قوالب الطوب العجيبة الرخيصة التى يمكن صناعتها فى العاصمة المقبلة . وتدفق الناس على المدينة الحديثة المولد بسرعة ، حتى إن العمارات (كانت كل عمارة حينئذ تعنى مساكن متعددة لا بناء واحداً مكتظاً بالسكان) كانت تقام جنباً إلى جنب مع منازل العائلة الواحدة .

إن تخطيط المدينة ، فضلا عن المساكن البسيطة المبنية من الطوب ، قد أظهر «حلم «بن» فى الأخذ عن باروك لندن ، تماماً كما كانت شوارع بوسطن الملتوية تعيد إلى الذاكرة لندن فى القرون الوسطى . هنا كانت خطة شبكية ، خطة التاجر التقليدية لذاك العصر ، الشوارع مخططة بزوايا قائمة تقسم المدينة إلى مجموعات من القطاعات المستطيلة ، ولاحتوائها على خمسة ميادين كانت بدعة بين المستعمرات . فالميدان الرئيسى ، الذى يقوم عليه اليوم مبنى البلدية ، كان عبارة عن عشرة أفدنة تقريباً ،أعدت للتجارة وللأغراض الدينية والمدنية ، كان مركزاً مدنياً للمستقبل ثبت بعده عن البلدة لدرجة انعدام فائدته فى القرن الثامن عشر . أما الميادين الأربعة الأخرى ، ريتنهاوس وواشنطن ولوجان وفرانكلين،فكانت

عبارة عن مساحات من الأرض للهو فحسب .وكان هناك شارع عرضه مائة قدم ، سمى فى بادىء الأمر هاى ستريت طبقاً للأسلوب الإنجليزى. كان يمتد إلى ديلاوير. استخدم هذا الشارع كمكان للسوق ولم يتغير اسمه إلى ماركت ستريت (شارع السوق) إلا فى عام ١٨٥٩ عندما أزيلت سقيفات السوق أو السلخانة كما كانت تسمى وقتئذ . وعلى طول الشوارع السكنية التى بلغ عرضها ٥٠ قدماً غرست الأشجار بعد عام ١٧٠٠ . وبعد عشرين عاماً عبدت وتبع ذلك ظهور أول أرصفة من قوالب الطوب والبلاط ، وزودت بأعمدة لحماية المشاة من الخيل والعجلات . كانت « إندبندانس هول » وما جاورها من الأبنية فى فيلادلفيا أول مركز مدنى بالبلاد .فنى عام ١٧٣٠ أصدر المجمع الإقليمى لبنسلفانيا أمراً ببناء دار للدولة لها جناحان متاخمان . وكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو إنشاء أبهج المظاهر الحضرية بأمريكا ، هذا على الرغم من أن إندبندانس هول يتضاءل فى المقياس بعض الشىء بفعل ناطحات السحاب التى تجاورها .

ومن مستحدثات ذلك العصر ،ولكنها تبدو عادية فى نظرنا ،الشارع المستقيم المخطط بالأشجار . ومرة بعد مرة كان المسافرون يعلقون على التناسق الأنيق للمدينة ، أول مثال هام فى أمريكا للنظام الذى طالما تاق إليه التاجر والصانع . كل هذا الرخاء الذى جعل منها المركز التجارى لأمريكا التعميرية والميناء الرئيسى للمهاجرين أضفى عليها مظهراً هاماً فى حوالى عام ١٧٥٠ ، ولم يخطىء بنيامين فرانكلين عندما تخلى عن مسقط رأسه بوسطن عام ١٧٢٣ فى سبيل مستقبل أعظم بالديلاوير.

بهيجة كأحسن ما تكون البهجة كانت المدينة فى عام ١٧٧٦ بشوارعها المعبدة وطلبات مياهها الحسانة التى كانت أهم ما تزهو به ، ومع كل فلا ينبغى لنا أن ندع الماضى يبالغ فى عرض صورته الوردية أو تباينه الكبير مع مدينة الحاضر. قال المؤرخ كارل بريدنبو « عشية الثورة كانت فيلاديلفيا قد اتخذت المظهر وبعض القبح الذى تتميز به أية مدينة ناجحة عاجلة النمو » .

الجزء الثانى
الجمهورية الفتية
١٧٧٦ — ١٨٢٥

نجد جميع البلاد المستعمرة نشاطاً جديداً لدى تحولها إلى شعوب مستقلة — إن الميوعة التى نشاهدها فى الهند الحديثة والباكستان وفى بورما وإندونسيا لم تكن أقل منها ظهوراً تلك الميوعة التى تفشت فى الجمهورية الأمريكية فى أعقاب الحرب الثورية . فسرعان ما تحولت الحدود إلى الغرب ، إذ سارع المحاربون والمهاجرون فى طلب الأرض فيما وراء الأليجنير بالويسترن دريزيرف وتينيسى . أما ولاية نيويورك العليا التى لم تكن قد مست نسبيا فقد أغارت عليها عصابات من مستوطنى نيوإنجلاند مما أزعج الوطنيين « اليوركيين » . ولم يكن النقل قد تقدم كثيراً عما كان عليه فى عهد الاستعمار . وعلى الرغم من ظهور الحواجز الجمركية والسفن البخارية الأولى ، كانت أمريكا الحديثة ماتزال تتحرك وتجرب. وأصدر اسكندر هاملتون تقريره المشهور عن الصناعة فى عام ١٧٩١ ، بل بذل محاولة نحو التخطيط الصناعى لبلدة صناعة النسيج فى باترسون ، بنيوجيرسى التى كانت بعد قاصراً . ولم تقم الصناعة على المستوى العالى تماماً إلا بعد حرب عام ١٨١٢ ، عند نهاية العصر .

وخلقت الروح المظفرة الدستور وجعلته كعبة فى العاصمة الاتحادية . وكان الوقت يتطلب خططاً جريئة وكان الرجال اللازمون لوضعها متوافرين . والعمارة أيضاً على هدى من إلهام جفرسون ، جاهدت لتقابل مستويات جديدة بتفسيرات أكثر تخففاً للتقاليد الكلاسيكية ، ولكن الحقيقة الواقعة وهى أن واحدا فقط من كل عشرة أشخاص كان يسكن البلدة ذات الألف نسمة وأكثر ، وضعت حدوداً لأى امتداد تخطيطى على مستوى كبير . وتحولت الجهود إلى اتجاهات أخرى بالبلدة ، البناء للحاجة السريعة ، وانساقت تخطيطات المدينة دون ثمة استثناء تقريباً وراء نموذج واحد : الشبكة. ونبذت محاولات الاستئجار الطويلة

المدى وأصبح التملك الحر هو القاعدة . وبنفس الروح أنشئت مساكن البلدة ذات التصميم المميز فى صفوف لبساطة العملية . وقد تظهر ضاحية فى أطراف المدن الأكبر إذا ما توفرت سبل المواصلات .

وفى مركز المدينة ارتفعت أبراج أكثر فوق الأسقف إذ استخدمت مساهمة «رن» على أوسع نطاق ، ورحب المذهبيون بمعتقدات جديدة مع قدوم جماعة النظاميين والمعمدانيين والتوحيديين وبرز التجار من بين الأعيان — وأثبت الدور الذى لعبه كل من جون جاكوب أستور من نيويورك وستيفن جيرارد من فيلادلفيا فى تمويل حرب عام ١٨١٢ ، أننا كنا نخرج رجال أعمال ذوى قوة وجوهر . إن رجل الأعمال الأمريكى ، وقد تحرر من ربقة بن عمه البريطانى، أخذ يبنى لنفسه المصارف التجارية الواسعة ، ظهرت كرانيشها وقبابها فى الأفق مبدلة خط السماء لمدينة التاجر . وفى الصيف كان رجل الأعمال يحمل نفسه إلى فيلا ريفية بينما كان الصانع وعائلته يلجأ إلى « حدائق النزهة » .

وإلى الداخل من المدن الساحلية كانت البلدان تبنى على ضفاف الأنهار والبحيرات ، وظلت المتاعب كما هى . ولكن الأمريكى كان قد اعتاد البرية وعرف كيف يقاتلها . ووجدت أرض نيوإنجلاند الخضراء ومحكمة فيرجينيا وطناً جديداً ، غالباً ما كانا يعثران عليه معاً فى ريف أوهايو وبعيداً إلى الغرب . وفى الجنوب نمت جاليات جديدة فى عاصمة الولاية وبلدة الجامعة وكانت كلتاهما بدعة العصر .

١ — الطراز الرومانى الأمريكى :

وفى مساء العاشر من مايو عام ١٧٨٤ ،تدفق أهل فيلادلفيا جميعاً إلى ماركت ستريت للاستماع إلى المأمور وهو يعلن توقيع الهدنة بفرساى منهية الحرب الثورية رسمياً . كان هذا هو السبب الأول فى التجمع ، ولكن كان هناك آخر : أن يشاهدوا قوس النصر للرسام تشارلس ولسون بيل الذى أقيم تمجيداً للمناسبة.

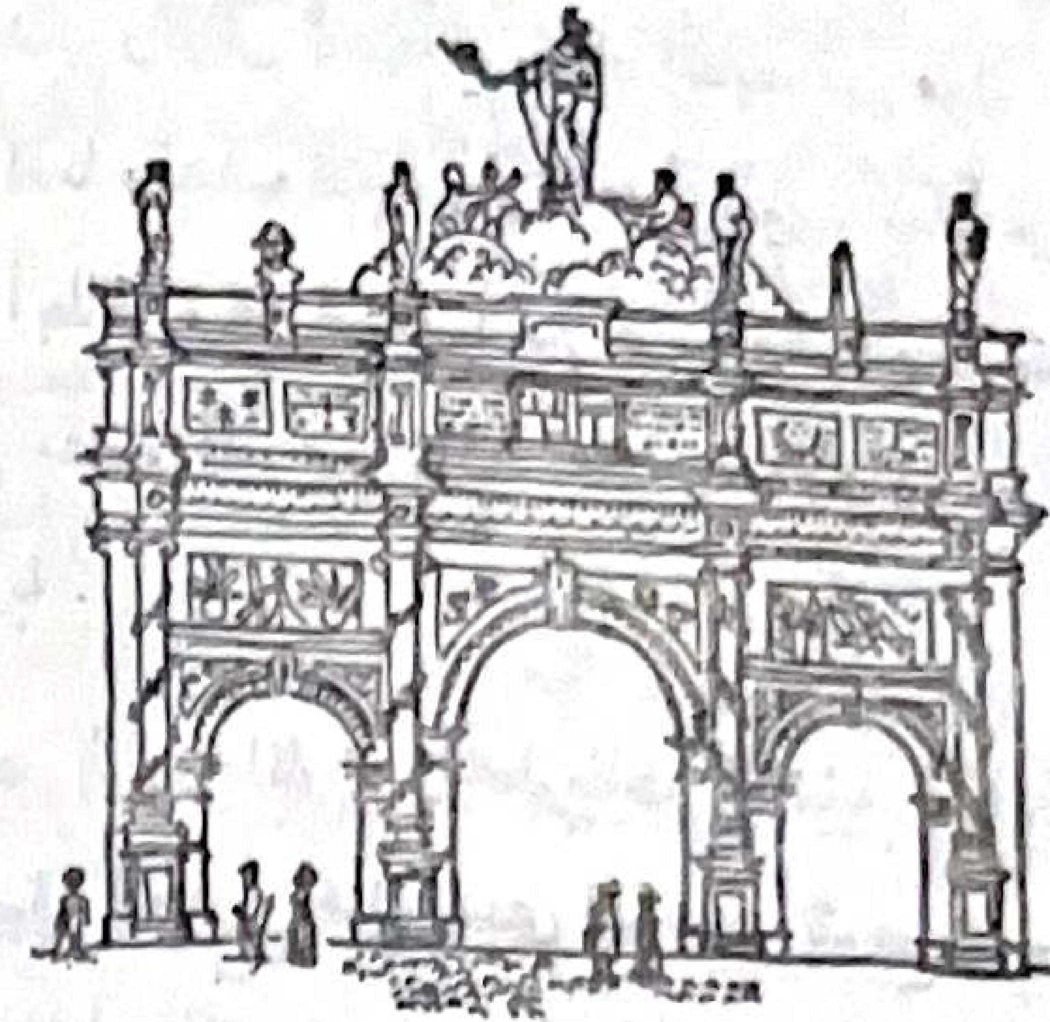
وتميز الاحتفال بالمواكب والموسيقى والكلمات المألوفة . وتوج هذا المنظر ذلك الصرح من الخشب والقماش الذى أقيم جوار إندبندانس هول . كان من القوس خمسة وخمسين قدما ونصف قدم ، وارتفاعه أربعين ، معلناً عن قوى الجمهورية الحديثة ومجد أبطالها ، عن صداقتنا مع فرنسا والسلام المرتقب . كان تمثال الحرية يرفع مشعله المتوهج عالياً تحف به الأمجاد من كل جانب وسط السحب السماوية .

أما النحت البارز الملون والمخطوطات اللاتينية فكانت تستعيد الماضى وتتنبأ بالمستقبل المجيد . فعلى إحدى اللوحات تتوهج شمس فرنسا والنجوم الثلاثة عشر للولايات المتحدة ، نقشت تحتها عبارة باللاتينية «لقاء فى السموات». وعلى لوحة أخرى يتمثل واشنطن عائداً إلى محراثه رمزاً «للفضيلة الظافرة». وفى ثقة ما بعدها ثقة يحمل المثلث الذى يتوسط القوس الحروف الكبيرة.

S.P P. Senatus Populusque pennsylvanianus

أى النائب الشعبي البسلفانى . . . وهكذا تم تقديم الطراز الرومانى الأمريكى .

كان قوس بيل هو الإنتاج المشترك للتمويل الخاص وخيال الفنان ، ولكن سفارة الجيل التالى ، الذى كان يعرف أيضاً بالجيل الفيدرالى ، لزم أن تكون عمارة حكومية . كان الرجل الذى حدد الطراز زعيماً شعبياً هو توماس جيفرسون . لقد حتم الاستقلال الحاجة إلى عديد من المبانى العامة إلى حد ضرورة بناء مدينة جديدة للعاصمة . وبالنسبة لجفرسون كان التحدى يعنى إطلاع العالم على أننا نستطيع البناء بقـــدر ما نستطيع التشريع . ولذا كتب إلى جيمس ماديسون عام ١٧٨٥ يقول « إننى من المتحمسين لموضوع الفنون ولكنه حماس لا أخجل منه ، إذ أن هدفه النهوض بذوق مواطنى ، ولرفع قدرهم ليكسبوا احترام العالم وإعجابه » كان حماسه يتماثل مع معرفة بالعمارة ممتازة حتى بالنسبة لعهود قريبة . وباعتباره وزيرنا لدى فرنسا عام



قوس تذكارى للرسام تشارلس ولسون بيل أقيم بالقرب من إند بندالس هول عام ١٧٨٤ (الرسم عن إعادة التشييد بمعرفة ليستر هودل سيلرز) .

١٧٨٠ ، صرف كل لحظة فراغ فى مشاهدة المبانى ، والتماثيل ، واللوحات ، دارساً دراسة عميقة أعظم آثار باريس . لم يكن ثمة ما يدانى مكتبته المعمارية بأمريكا ،كانت تضم مؤلفات فيتروفيوس ليبرولت ، وبلاديو من عدة طبعات، وسكاموتزى ، وسيرليو ، وألبرتى ، وإنيجوجونز ، وكثير غيرهم من الثقاة . لم تكن إذن قيادته للذوق الفنى للأمة الفتية بالأمر الشاذ .

كان جفرسون يضيق بالباروك الأمريكى كما يتضح من ملاحظاته عن وليمز بورج . فالطراز القديم يفتقر إلى الاتساع والتناسب والفخامة التى كان يراها لازمة للتعبير عن جلال وعظمة جمهورية عظيمة . إن ما كان يريده ليس أقل من ربط التصميم العظيم للمبانى بالأرض،وتخطيط البلدة بالتقليد الكلاسيكى قارن بين أى بناء كبير من الطراز الرومانى الأمريكى وبين الباروك الأمريكى (الكابيتول ذو الأعمدة بريتشموند ، بفيرجينيا ، والكابيتول الأكثر تواضعاً

فى وليمزبورج على سبيل المثال) وسرعان مايلمس المشاهد الهدف الذى كان يسعى إليه جيفرسون ، ولم يكن يقنع بأى طراز ، ما لم يكن قد مر باختبار الزمن . فكتب إلى الميجور لانفان عام ١٧٩١ الذى كان يخطط المدينة الفيدرالية : « عند الشروع فى الإعداد لتصميمات الكابيتول أفضل التمسك بواحد من النماذج القديمة التى نالت استحسان آلاف السنين » ، مخالفاً واقعية جون أدمز ، المأثور عنه أنه قال : « إننى لاتحرج من دفع ستة بنسات نظير تمثال لفيدياس أو لوحة لرفاييل » ، كان جفرسون يهتم عاطفياً بكل ما يمس الفنون التشكيلية .

كان بفرنسا عندما أثيرت مسألة مبنى الكابيتول الجديد لفيرجينيا ، فبادر بالعمل محتجزاً خدمات المعمارى الفرنسى تشارلس لويس كليرينسو . وفى عام ١٧٨٥ وضع الاثنان تصميم البناء الذى نشاهده اليوم بريتشموند،وكان أول بناء ثابت على النمط الجديد (ألحقت الأجنحة ومجموعة الدرج فى ١٩٠٤ — ٥) . وكان النموذج الذى أخذ عنه البناء هو المعبد الرومانى المشهور فى نيمز .

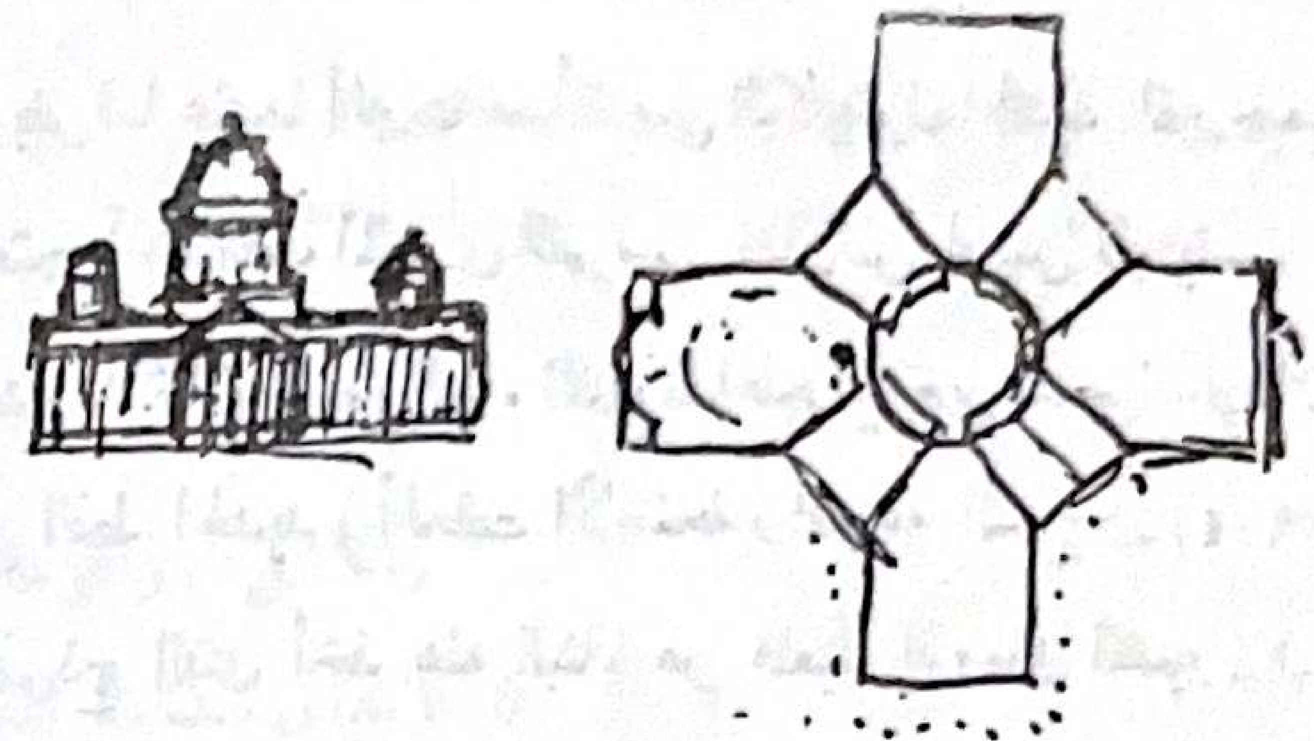
وعلى الرغم من نفوذ جيفرسون فقد كان حله سيتلاشى لو لم يمس وتراً عاطفياً لدى جورج واشنطن . إننا ندرك اهتمام الرئيس الأول بالعمارة الحدائق من الحب والاهتمام اللذين كان يبديهما نحو مونت فيرنون . كان على وفاق تام عندما خطط «لانفان» فى حماس مايمكن عمله نحو المدينة الفيدرالية.

فما كاد المؤتمر الدستورى يقر الموقع عام ١٧٨٩ حتى بعث المهندس الفنان برسالة إلى قائده السابق طالباً الإذن « لإرساء أساس مدينة فيدرالية لتصبح عاصمة لهذه الإمبراطورية الواسعة » ، وأعقب ذلك تعيينه ، ولو أنه فصل بعد سنتين ، فقد بقى جورج واشنطن دائماً عارفاً بالجميل نحو خياله والتصميم الذى وضعه .

كانت مسألة مبنى الكابيتول هى المسألة التالية فى جدول الأعمال . هنا أبان

جورج واشنطن مزاجه اتجاه القديم باختياره التصميم الذى وضعه الدكتور وليم ثورنتون بجناحيه الكبيرين ورواقه الشامخ والقبة التى تتوسط البناء .

ولقد أدلى جيفرسون ، بطبيعة الحال ، برأيه فى الموضوع . كان تخطيطه للكابيتول يضع القبة فوق دعامة أسطوانية (أشبه بالرميل) كما تشاهد الآن ، ومع أنه كان لآخرين مثل ستيفن هالت وجورج هادلفيد أياد فى التصميم الأخير ، إلا أن الفضل يرجع إلى ثورنتون . ويأتى بعد ثورنتون اسم بنيامين هنرى لاتروب الذى أشرف على إقامة البناء من عام ١٨٠٣



تخطيط جفرسون للكابيتول بواشنطن المسقط الرأسى والتصميم . (الأصل موجود لدى جمعية ماساشوستس التاريخية) .

إلى ١٨١٧ ، حين تم داخل الجزء الأوسط . هنا وضع لاتروب أنفس ما عنده ، القاعة القديمة لمجلس النواب Statuary Hall وقاعة مجلس الشيوخ السابقة وفوق كل : بهو القبة العظيم . لم يتح للاتروب أن يرى نهاية تصميماته ولكن الحظ أنصفه بأن خلفه تشارلس بولفنش ، معمارى بوسطن العظيم فى ذاك العهد ، الذى أتم العمل بالكابيتول القديم عند نهاية خدمته عام ١٨٢٩ ، أما القبة والأجنحة فقد ألحقها بالبناء فيما بعد توماس ولتر .

وإلى جيفرسون أيضاً يرجع الفضل فى التعاقد مع المثالين الإيطاليين

المتواليين من جيوسبى فرانزونى إلى جيوسبى فالا برتى ، وكانوا فى ذاك الوقت مسئولين عن معظم أعمال النحت الزخرفى والتماثيل . وحتى عندما تقاعد بمونتيشيلو ساعد الكولونيل جون تيرنبول فى الحصول على تكليف باللوحات التاريخية الموجودة حالياً ببهو القبة : « إعلان الاستقلال » و « استسلام كورنووالز » و « استقالة واشنطن » ، وهى من أولى اللوحات التى زين بها البناء .
لقد استطاع جفرسون قبل أن تحين منيته فى عام ١٨٢٦ أن يشير إلى الكابيتول لا كهيكل للحكومة فحسب ولكن كهيكل للفنون أيضاً .

٢ — تخطيط المدينة فى الوطن الجديد .

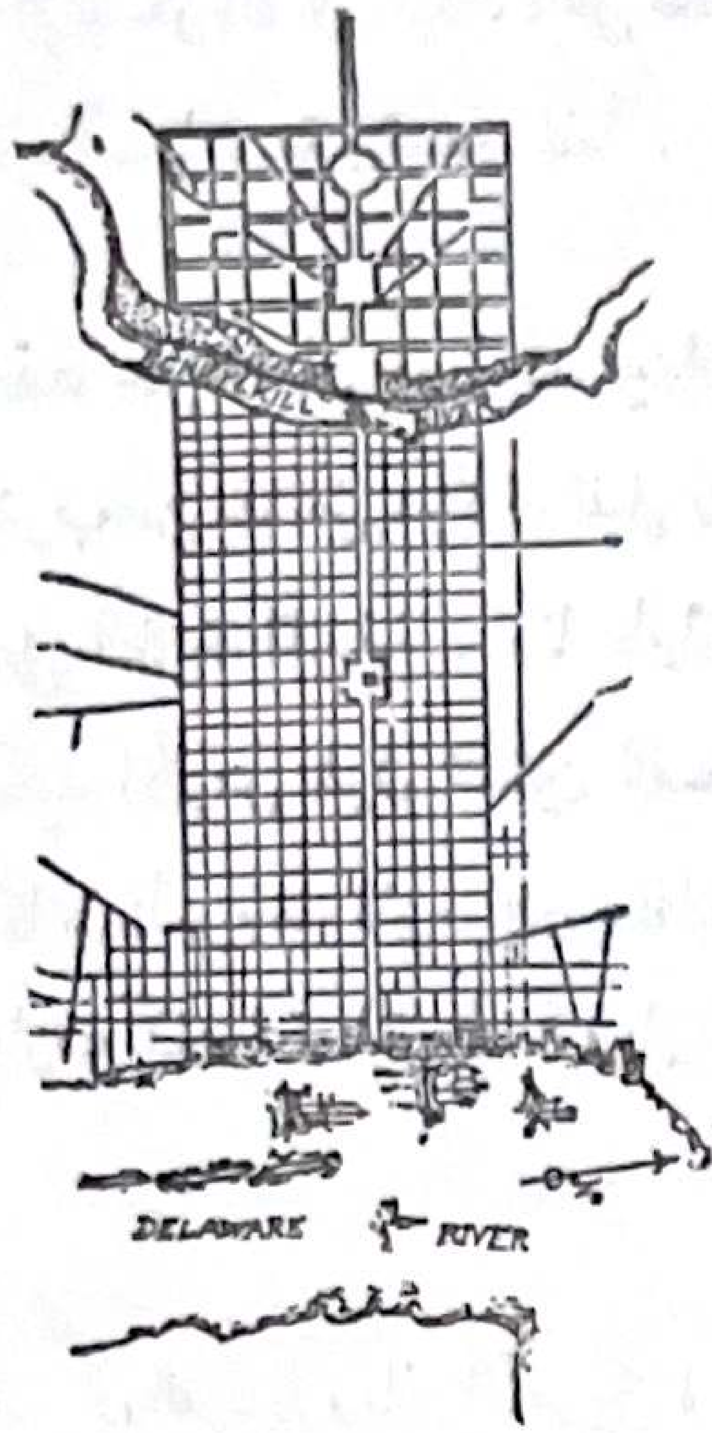
كما تصدمنا اليوم البدائية المطلقة لمدينة الرواد (Pioneer Village) التى أعيد إقامتها فى سالم أو الأكواخ الدقيقة من كتل الخشب بفالى فورج ، كذلك تأخذنا الدهشة وغالباً ما نشعر بالاغتباط للمقياس المتواضع والتفصيل الدقيق للمبانى الاستعمارية . ولم يظهر المقياس الجديد إلا بعد الثورة وظهور رأس المال التجارى الوطنى . وفيما بين عام ١٧٨٦ وعام ١٨٢٥ قامت أبنية للمحاكم ، وللبلديات ، ودور للحكومة والجمارك ، وكانت نصباً ترسم انتصارات الماضى وتبشر بانتصارات أعظم فى المستقبل ، كانت تتطلب ترتيباً أسمى ولذا فقد بدأت محاولات مختلفة للانفصال عن شبكة التجارة .

اختار لانفان عند تخطيطه لواشنطن خليطاً من الخطوط المتوازية والشعاعية لتنفيذ مشروعات العمارة التذكارية . قام « ست بنز » بمسح كليفلاند عام ١٧٩٧ ورسم ثلاثة شوارع متشعبة من الميدان العام ، أحدها شارع يوكليد المعروف . وصمم جوزيف ، « بافالو » على نفس النمط بعد ذلك بعامين . وعلى طراز لانفان أيضاً سار جورج أوجستوس وودوورد الذى ابتكر تصميم « الحلية » على شاطئ ديترويت عام ١٨٠٥ . وذاع شأن التخطيط العظيم ، مما حفز فيرتى

عندما وضع خريطة فيلادلفيا عام ١٨٠٢ ، إلى أن يقترح تخطيطاً للجزء الغربى من المدينة ، حيث تقوم الآن جامعة فيلادلفيا فى سلسلة من الميادين الواسعة والشوارع المتشعبة .

كانت الميادين المستديرة ، والشوارع ، وميادين عام ١٨٠٠ قد أنشئت متباعدة، ولم يتح لهذه الطريقة أبداً أن تستخدم على صورة عامة ، أما الميدان السكنى ، وهو من مظاهر لندن الهامة فى هذا العهد ، فقلما كان يشاهد فى المدينة الأمريكية النامية . وعلى الأرجح فإن التخطيط الذى يناسب بلداً له مستوياته الاجتماعية الثابتة كانجلترا ، قد يكون عائقاً بالنسبة للتجارة والعائلات الثرية التى تنتمى إلى مجتمع يمتلىء سريعاً بأناس من بلاد عديدة وكلهم متلهف إلى جمع المال بسرعة . وكذلك كان إستثمار المال فى الأرض الحضرية ما زال له خطره ، ولم تتكون الثروات الكبرى بالأرض الحضرية إلا بعد العهد التالى . وفى مضاربات عام ١٧٩٠ العقارية الحضرية حلت الكارثة بروبرت موريس الجرىء ، وكان قد حاول كسب الثروة من وراء أراضى واشنطن حين انتهى به المطاف إلى سجن المدينين . وشكا تاجر بوسطن هاريسون جراى أوتيس من أن مضاربته على بيكون هيل عام ١٨٠٠ كانت مغامرة باهظة الثمن ومن « بطء البيع وطول المدة بين كل صفقة » .

فلما زاول الناس نظام استئجار الأرض الشائع فى انجلترا والذى كان يحتمل أن يعمل على تشجيع البناء فى الميادين السكنية (فى نظام استئجار الأرض كان المالك يؤجر ملكه بمقتضى عقد طويل الأجل يخول استئجاره لجميع الأغراض العملية وكافة حقوق الملكية بالنسبة للأرض المؤجرة) ولكن استثناء ظهر فى بالتيمور بسبب الوضع الخاص للملكية بها ، فكان النظام يقضى بالإبقاء على منزل الصف فقط . إن العقد الطويل الأجل بأمريكا من خصائص التصوير .



من اليسار — مشروع توسع إلى الغرب على النمط العظيم لتخطيط وليم بن لفيلادلفيا من عمل رسام الخرائط فيرلى عام ١٨٠٢

فابتداء من عام ١٧٥٠ أجر توماس هاريسون الذى ينتسب إليه شارع هاريسون ، وعائلة فل Fell التى أعطت اسمها لفل بوينت أرضهم على غرار أسلوب لندن ، بإيجار أرضى لمدة تسعة وتسعين عاماً . أما جون إيجر هوارد ، المواطن الثورى الذى أعطى الأرض للكاتدرائية الرومانية الكاثوليكية ولميدان مونت فيرنون ، فقد قدم قدراً كبيراً من أملاكه بهذه الطريقة . وحتى الآن تدفع البلدية ستة وخمسين دولاراً فى العام إيجاراً لجزء من الأرض التى يقوم عليها مبناها . ومع قدوم التطور الحضرى اشترت المدينة حق كثير من إيجارات الأرض . ولكنها مع ذلك تستمر فى الظهور بالضواحى ، ولو أن لوائح مناريلاند تسمح السكان فى بعض الظروف ، بشراء الأرض التى يمضى على استئجارهم لها خمس سنوات ، وفى القرن الثامن عشر حصلت كنيسة ترينتى بنيويورك ،

وهى من أغنى أبرشيات الإبيسكوبال فى البلاد ، على عدد من المزارع حولتها إلى ملكيات إيجارية بعقود أمدها تسعة وتسعين عاماً .

وفى عام ١٨٠٣ أنشئت حديقة سان جون أو ميدان هدسون ، الذى كان موجوداً مباشرة إلى الجنوب من مداخل هولاند تنيل وهو من الأمثلة النادرة على التخطيط السكنى على الطريقة اللندنية . هنا حاولت الأبرشية بناء منطقة عصرية بالاحتفاظ بملكية الأرض طول السنين التسعة والتسعين للإيجار . وحوالى عام ١٨٢٠ شكا مستأجروها الموسرون مطالبين بملكية الأرض على الطريقة الأمريكية ، فاضطرت كنيسة ترينيتى إلى تحويل الإيجارات إلى ملكيات وبيعها إليهم .

ومما يدعو إلى الأسف أن العهد الرومانى الأمريكى لم يستطع أن يجعل مبانيه تتلاءم مع تخطيطات المدينة . لقد أتيحت الفرصة للمنظور وحده ، وهو وحده الذى قابل التحدى ، وكان تيموثى دوايت بيل من أصرح من تكلم فى الموضوع . ففى زيارة له لبوسطن عام ١٧٩٦ قال : « لو أن عشرة ميادين مفتوحة كونت فى نقط التقاطع الملائمة للشوارع الرئيسية مساحة أكبرها عشرة أفدنة وأصغرها خمسة أفدنة تقريباً ، جميلة كلها بما حوته من زينة منتقاة ، أو لو أن هناك تخطيطاً آخر يشابه فى جوهره التخطيط الأول ، ولكن تتحكم فى توجيهه طبيعة الأرض ، لكانت بوسطن الآن أجمل مدينة شاهدها العالم » . إن الأمريكين بإغفالهم اعتراض الميادين والمساحات المفتوحة لشبكات الطرق (السفانا من تخطيط الجنرل أو جلثورب عام ١٧٣٣ يعتبر استثناء لذلك) ، وبتجاهلهم مزايا المناظر الطبيعية البديعة ، قد جعلوا فرصاً كثيرة تفلت من أيديهم . لقد ظهرت الميادين فى الطرف الجنوبى من بوسطن فى عام ١٨٥٠ ولكنها كانت خارج المنطقة المركزية ، وجاءت استغاثة تيموثى دوايت لإنقاذ الحال بعد فوات الوقت .

إن المحاولات نحو الأبهة ، رغم قلتها وبعدها عن بعضها البعض ، سرعان ماطرحت جانباً بفعل نمو شبكات الطرق . كانت هناك ضروب من النماذج للاقتباس منها : المخطط الطولى للبلدة الألمانية ، الشوارع الملتوية لبوسطن ، وتصميمات الباووك من وليمزبورج وسفانا ، ولكن الشبكات سيطرت على كل هذا . وفى الأيام الأولى للجمهورية طبق رجال البلدية نموذج شبكات الطرق على كافة المدن ، وكما كانت الأرض البور غرب الأليجينين تتحول إلى قطاعات هائلة فإن بلتيمور التى اتسعت سريعاً بعد عام ١٧٧٦ ، رفعت إلى درجة المدينة فى عام ١٧٩٦ ، وقام المسئولون عن شوارعها من تلقاء أنفسهم بتخطيطها بزوايا قائمة . أما فيلادلفيا (مع إغفال حلم فيرلى) ، بريتشموند فى فيرجينيا وريدنج بينسلفانيا وكثير غيرها فقد وضعوا خرائطهم للقطاعات المستطيلة لاستقبال المنازل والناس ، ولكن ما أن أقرت نيويورك تخطيطها المشهور ، حتى أصبح له الاحترام العميق .

بعد سنى الحرب الثورية المدمرة التى ظلت نيويورك أثناءها فى أيدى الأعداء ، اتسعت المدينة بصورة تكاد تكون أسرع من بلتيمور ، وتجاوزت فيلادلفيا وبوسطن فى السباق على لقب أكبر مدينة . وفى ١٨٠٧ شكل قانون الولاية الذى كان وما زال يلعب دوراً هاماً فى حياة المدينة ، لجنة من ثلاثة لوضع خطة تغطى جميع جزيرة مانهاتان . وبعد أربع سنوات قدم أعضاء اللجنة الثلاثة ، الحاكم موريس ، وسيميون دى وايت ، وجون روذرفورد ، الحل المشهور الذى نشاهد آثاره اليوم . ومع الخطة صدر استدراك يقول « كان الشكل وطريقة التنفيذ من ضمن الأهداف التى وجهوا إليها اهتمامهم ، هل يقتصرون على المستطيلات والشوارع المستطيلة أو يأخذون من التحسينات المقترحة ، باستعمال الدوائر ، والبيضاويات ، أو شكل النجمة التى تجمل التخطيط دون شك ، بغض النظر عما قد يكون لها من تأثير على الراحة والمنفعة .

ويستطرد التقرير الهام «واعتباراً لهذا الموضوع ، لم يكن فى وسعهم سوى أن يضعوا نصب أعينهم أن المدينة تتألف من سكان من الناس ، وأن المنازل المستقيمة الجوانب ذات الزوايا القائمة هى أرخصها فى تكاليف البناء ، وأكثرها تهيئة للحياة المريحة . وكان تأثير هذه الانعكاسات الصريحة البسيطة قاطعاً » .

وتوضح الوثيقة فى قلق «إذا حدث أن سئل لم فضلت الخطة الحالية عن غيرها ؟ فالجواب هو ، لأنه بعد اعتبار كافة الظروف ظهر أنها أحسنها أو بعبارة أخرى أوضح ، كان طابعها أقل صعوبة» . وصفت إديث وارتون وهى نيويوركية من جيل أحدث،وممن زودونا بجانب من أعظم التحليلات المنطوية على الإدراك العميق للمدينة فى رواياتها ، وصفت التخطيط والتقرير «بالسذاجة» وأنه من إنتاج «مجتمع من رجال الأعمال الموسرين الذين يرغبون عن الوقوف ضد التيار» . ومنذ ذاك الوقت ارتبطت المدينة بشبكات الطرق لغاية حركة تجميل المدينة عام ١٨٩٠ .

وبما كان له نفس الأهمية تقسيم المستطيلات (٢٠٠ × ٨٠٠ قدم أو ٢٠٠ × ٤٢٥ قدم) إلى قطع مساحتها ٢٥ × ١٠٠ قدم . وقد حدد هذا مساحة المنزل آلياً . وأحياناً كان المنزل يبنى أصغر من عرض قطعة الأرض ، فكان مقاول البناء يقيم أربعة منازل عرضها ١٨,٧ قدماً على ثلاثة قطع من الأرض . وكانت مساحة المستطيل وتقسيماته تختلف من مدينة إلى أخرى ولكن النموذج كان واحداً . وهكذا كانت الترتيبات تعمل لانتشار منازل الصفوف .

٣ — مدينة التاجر :

على الرغم من قيام حركة لتوحيد المنازل قبيل عام ١٧٧٦ ، إلا أنه كان خلال العهد بالجمهورية الفتية أن تقبلت مختلف المدن المنزل اللندنى الصغير كنموذج ، ولكل مدينة اختيارها الخاص ، قال فيسك كيمبال «كان المجمع الذى يتألف

من عدة منازل ذات التصميم الموحد تطوراً جديداً فى عهد الثورة لم تعهده أمريكا من قبل . » وتعوقد مع المعماريين لعمل تخطيطات لشوارع بأكملها — وكان أول المكلفين بمثل هذا العمل هو تشارلس بولفنس ، الذى صمم صليب فرانكلين ببوسطن عام ١٧٩٣ والذى أزيل لسوء الحظ . ولا تزال باقية عدة مبان من العمارة المتقدمة لهذا المعمار العظيم الشأن ، منها بناء تيكنور هاوس المعدل فى الطرف الأعلى من بارك ستريت . وبفيلادلفيا بقيت عدة صفوف قديمة منها صف شارع سانسون (١٨٠٠ — ١٨٠١) من عمل توماس كارستيرز ، وصف فرانكلين (١٨٠٩) من عمل روبرت ميلز . أما بلتيمور ، موطن منزل الصف ، فما زال لديهما مثل أو اثنان يرجع تاريخهما الى انصرام القرن وتسعة منازل بشارع اليسيانا (١٨٠٠) ، وأحسن المعروف منها هى ما كان بصف وترلو بشمال شارع كالفرت (١٨١٥) من عمل ميلز . تراءى لهنرى جيمس أن هؤلاء وخلفاؤهم «عبروا بمبتكرات من المنظور لمنازل ذات واجهات من الآجر وأبواب بارزة لها عقبات ، عن صفوف من السيدات المسنات الجالسات فى سكينة وأصابع أقدامهن فوق وسادات متجانسة ، تحت ظلال الشموع فى حفلات على النمط القديم» . نشاهد ترجمة للقديم من منازل الصف حتى الآن بالقرب من إنديبندانس هول ، أو فى ظلال ناطحات السحاب على شاطىء نيويورك بشارع جرينتش وفى «القربة» المشهورة ، أو أيضاً على بيكون هيل وفى الطرف الشمالى لبوسطن . واليوم اختفى الكثير منها بتأثير توسيع الطرق ومشروعات الطرق الطـــويلة والتطورات المهملة من جانب ملاك العقارات .

كان لبتيمور وفيلادلفيا دَرَجها الرخامى ، أما نيويورك فقد استمسكت بشرفة المدخل Stoop كما لو كان الغرض منها الإعلان عن تراثها الهولندى (لشرفة المدخل أصل هولندى هو كلمة stoep) . كانت تتكون من ست



منازل مصفوفة تقليدية ببالتيمور لها درج من الرخام الأبيض

درجات أو تزيد وبسطة أعلى كثيراً عن رصيف الشارع ، ووراء ذلك كانت المنطقة والدرج الذى يوصل إلى البدروم ، وفى بوسطن كان الدرج بداخل المنزل ، ولم تغز الشرفة شوارع بوسطن إلا فى عام ١٨٥٠ وتبنت جميع المدن هذه العادة الخاصة التى بدأها بولفنسن بدهان الآجر (غالباً ماكان مسامياً فى تلك الأيام) فى محاكاة أكثر بهاء للآجر نفسه . إن جمال تلك الصفوف القديمة كان يعتمد شيئاً ما على محاولات مثل تلك التى بذلت فى سبيل اللون أو الزينة ، وفى سبيل دواخل تلك البيوت بما فى ذلك الأثاث من أعمال دنكان فايف وآخرين فى ذلك العهــد العظيم لصناعة الأثاث الأمريكى . إن اللون الأبيض المستخدم فى طلاء المنازل ومصاريع النوافذ الخضراء ، والحديد المطروق يدوياً ، خصوصاً فى نيويورك ، والسقاطات المطلية بالفضة ولوحات

الأسماء لتكاد تنطق بعبارات الترحيب .

لم تبذل سوى مجهودات ضعيفة فى سبيل إنشاء مبان خاصة لمختلف المنافع . حوّل منزل الصف إلى مخزن ، أو مستودع أو مأوى مشترك وتؤخذ نافذة العرض الحديثة بالحوانيت عن باريس فى الحكم الإدارى فى أواخر عام ١٧٩٠ . ولكن أمريكيى بداية العهد التاسع عشر ساروا على المنوال الذى كان متبعاً بانجلترا حين ذاك،من تركيب نافذة مسطحة ذات ألواح زجاجية عديدة أو مساحة زجاجية كبيرة بمنزل الصف . وكان الدور الأول يخصص للتجارة ، والثانى والثالث للعائلة والكتبة . وقد يوجد طابق رابع يخصص للتخزين . كان الناس يعيشون ويعملون بنفس المنزل أو على الأقل فى نفس الجيرة .

وفى بعض المدن كان يعلو البرج حصن كبير حيث كان الرصاص المنصهر يرفع ثم يسقط نقطاً تتكور أثناء سقوطها وتتجمد متحوله إلى طلقات . ومازال هناك أحد هذه الحصون ببالتيمور . ويظهر أول تحد للبرج مع عظم شأنه فى عمارة التجارة لهذا العصر .

كانت هناك بورصة للتجار فى عهود الاستعمار . كانت هناك واحدة فى تشارلستون وما زالت قائمة ، وهى من تصميم بيتروجون ا . هورلبك (١٧٦٧ — ٧١) ولكن غالباً ماكان التجار يستخدمون الحانة أو المقهى كمراكز للتجارة . وفى عام ١٨١٥ وضع بنيامين لا تروب ومكسميليان جودفرى تصميم البورصة ، التى كان مقدراً لها أن تصبح من المستلزمات الثابتة لخط السماء ببالتيمور لخمسة وسبعين عاماً . وبنيت دار جميلة للبورصة بشارع وول بنيورك ، أتت عليها النيران عدة مرات وأعيد بناؤها . وآخر هذه المتتابعات صممه إيزايا روجرز عقب حريق عام ١٨٣٥ ، وهو الآن داخل ضمن البناء الرئيسى للناشيونال سيتى بانك . وقد يكون أجمل ما بقى لدينا من أمثلة العمارة هو من

تصميم وليم ستركلاند بفيلادلفيا ، بنى عام ١٨٣٢ .

ظل المجتمع الأمريكى يحوم حول الكنيسة ، التى استحوذت على كل لحظات فراغه . وحتى دور الحرف ، ملاذ الرجل العامل والميكانيكى وجدت نفسها فى سباق مع كنائس التابعين والمعمدانيين . وأغفل تصميم الكنيسة ، تحت تأثير الطراز الرومانى الأمريكى ، شأن البرج ، كما يشاهد فى كاتدرائية بلتيمور من عمل لاتروب . وقابلت المذاهب الجديدة ، المعمدانية والنظامية والتوحيدية ، هذا العرض بالوجوم . ومن المظاهر التقليدية الكنيسة الصغيرة لذاك العهد تلك الكنيسة الجيلة ذات القبة للتوحيديين الأول فى بلتيمور (١٨١٧ — ١٨) لجودفرى . وفى نيو إنجلاند والغرب الأوسط لم يهمل البرج فى سبيل القبة ، فالأبراج تتوج كنيسة ستر (١٨١٢ — ١٤) من عمل إيثل تاون والكنيسة المتحدة (يونايتد تشيرش) (١٨١٣ — ١٥) من تصميم دافيد هودلى ، والاثنتان فى مرج نيوهافن تحكيان ولعاً خالداً بالباروك الأمريكى .

وبدأت الملاهى كالمسرح تزاول سحرها . وشكلت حديقة النزهه نوعاً جديداً من المتنوعات يحتمل أن يكون قد أحضرها الفرنسيون إلى أمريكا . ولتسلية العائلة جميعها كانت تقدم أنواع من الفودفيل ، واللوحات الحية ، والتمثيليات والموسيقى ، والألعاب النارية . وكان لنيويورك حديقة قديمة للنزهة فى عام ١٧٩٦ ، هذا مع أن فيلادلفيا كانت تتمتع بأوفر الأشياء عجباً ممثلة فى المعبد الصينى (تشاينيز باجودا) الذى أقامه جون هافيلاند عام ١٨٢٨ .

شاهدت الأيام الأولى للجمهورية أيضاً تأسيس عدة مؤسسات زراعية ، البعض منها وجد قبيل عام ١٧٧٦ ، ولكن دفعة جديدة منها سارعت الآن بالظهور . أكاديمية بنسلفانيا للفنون الجيلة وأكاديمية العلوم الطبيعية بفيلادلفيا ، والأكاديمية الأمريكية للفنون الجيلة بنيويورك ، ومتحف بيل ، وأكاديمية

ماريلاند للعلوم ببلتيمور ، كل هذه المؤسسات يرجع تاريخها إلى ذاك العهد . وكان العديد من الجمعيات العلمية وقاعات المحاضرات ومكتبات الإعارة يدعو الجميع إلى العلم بينما كان الأمريكيون يكرمون الفنون والعلوم ، وكانت معظم هذه المؤسسات فى بداية الأمر تتخذ لها مكاناً متواضعاً فى منزل الصف أو أحياناً فى بناء عام يضيق بالغرض الأصلى منه . لقد بقى متحف تشارلس ولسون بيل الخاص ، عدة سنوات فى إندبنداس هول .

تحولت المدينة الاستعمارية عندما أعلن بناء « إيرى كنال » مولدَ عهد جديد . ومن المؤكد أن خط السماء تغير قليلا ؛ فازداد ارتفاعه شيئاً ما ، وهنا وهناك كان يظهر سقف لبناء بورصة أو مبنى عام يكشف عن شكل جديد للأبراج . وكان الشارع أعظم قسط من التغيير ، بواجهات منازل الصف المتينة على الجانبين



أحد مصانع النسيج الأولى ، مصنع صمويل سلاتر
فى بوتا كيت برود أيلاند ، بنى عام ١٧٩٣

تشهد بمستوى أعلى من المادة والترف . أما فى المدن الأقدم فكان المنزل الأبيض المقام من الألواح ذات الإطارات مازال موجوداً هنا وهناك ، ولكنه كطراز حضرى كان فى سبيله إلى الزوال . كانت المساحة المميزة لذاك العهد

تمثل فى الأبنية التذكارية والأبنية العامة ، التى أقيمت طبقاً للطراز الرومانى الأمريكى . ولعل لبلتيمور أن تدعى أكبر الفخر فى هذا المضمار ، فهذه المدينة التجارية الكثيرة الحركة ، حيث وضع « فرنسيس سكوت كى » النشيد الوطنى إبان حرب عام ١٨١٢ ، تستطيع أن تشير بالفخر إلى كاتدرائيتها وإلى النصب التذكارى للمعركة (الجودفرى) وإلى تمثال واشنطن (لميلز) بمونت فرنون . لقد استحقت عن جدارة اسم (مدينة النصب التذكارية) .

٤ — عاصمة الولاية وبلدة الجامعة .

عملت التحسينات الأولى فى النقل على تيسير ظهور نماذج مبكرة للضواحى ، وهى منشآت أكثر شيوعاً اليوم . ولعل أول السكان على الأرجح هم سكان تشارلستون الذين عبروا نهر تشارلس إلى بوسطن أو غيرهم من سوسايتى هيل ، وكانت فيما مضى خارج فيلادلفيا وهى الآن مغطاة بمنازل الصف ، وكانت معظم المساكن بأطراف المراكز الحضرية المتواضعة من طراز القرن الثامن عشر ، فإن لم تكن منازل مزارع ، فهى فيلات ريفية كان الثرى يجد فيها ملاذاً من قيظ الصيف .

كانت أولى الضواحى بالمعنى الحديث للكلمة بالقرب من قرية بروكلين عبر الماء من شاطىء مانهاتان . وفى إعلان عن قطع الأراضى ببروكلين هايتس عام ١٨١٩ قرأ الناس « الأسر التى قد ترغب فى المساهمة فى إنشاء جيرة ممتازة ودائرة اجتماعية ، أو ترغب فى مسكن صيفى أو للعام بطوله لن تستطيع أن تجد أفضل من هذه البقاع » . وانصب المديح على الموقع والسكن الصحى وبصفة خاصة ، على القرب من مركز العمل . وعندما حصل روبرت فلتون ، مخترع المركب البخارى على امتياز المعدية البخارية عام ١٨١٤ ، قام صديقه « هيزيكيا بيرز » ، التاجر النيويوركى وسمسار العقار ، باستثمار حوالى ستين فداناً بجهة

هايتس . كان يأمل أن يؤسس ضاحية جميلة من البيوت الواسعة كما كان يرغب أن يكون له حول سفح التل متنزه عام يناسب المقام . ولكن خاب أمله بالنسبة للهدفين . فقد ارتكب الخطأ المدمر باتخاذ خطة عام ١٨١١ للشبكات عن رجال البلدية لمدينة مانهاتان ، بل إنه طبق حتى نموذج تقسيم الأراضى إلى ٢٥ × ١٠٠ قدم ولم يترك أرضاً للمتنزه . وفتحت الشبكة ومساحة القطع الباب للمضاربة ، وعلى الرغم من بناء قليل من المنازل الواسعة فإن النمو السريع لبروكلين ، وحمداً لمعدية فلتون ، جعل التقسيم ذا الشكل غير المنتظم لقطع الأرض مربحاً . أما بالنسبة للمتنزه ، فقد كان يأمل فى تعاون الملاك الجدد بأن يدعوا جانباً جزءاً من الأرض للاستعمال العام ، ولم يعق هذا سوى أحد الجيران الذى لم يجد من الأسباب مايبرر تضحيته بجزء من أرضه للجمهور . ولم يكن قبل عام ١٩٥٠ أن حصلت هايتس على طريق تشرف منه على أبدع مناظر نيويورك ، ومن ثم فقد تم التنفيذ بقليل من الدقة مما لايسمح بإبراز المحيط الرحب بما يتناسب مع ملامحه المعمارية الرئيسية .

وعلى الرغم من أن الوقت كان جد مبكر لانتشار الضاحية الممتازة ، فقد كان يتمين بمنازله الريفية خارج مدينة التاجر . وفيما بين عام ١٧٩٢) تاريخ طريق لانكاستر) ونهاية عام ١٨٢٠ حدث توسع فى بناء مراكز المكوس ، وبدأت المنازل الريفية على النمط الرومانى فى الظهور على طول الطرقات الرئيسية ، وهو انعكاس للمكاسب الجديدة من التبغ والتصدير أو التجارة . ومن النماذج الجيدة ، « وودلون » ، التى بناها عام ١٨٠٥ الدكتور وليم ثورنتون غير بعيد من مونت فرنون ، والدار الجميلة من الآجر ذات الواجهة المقوسة بجهة جور بليس فى والتام بالقرب من بوسطن — التى أنقذت بالأمس من التدمير ؛ وقام بترميمها أصدقاء من ذوى النخوة — ولعل أشهر درة معمارية لذاك العهد هى مونتيشيلو التى أضفى عليها جفرسون شكلها الحالى من ١٧٩٦ إلى ١٨٠٩ .

ولكن لا ينبغى أن تتصور أن الطقس والريف قد تم غزوهما مبكراً فى الصراع مع الطبيعة . يصف جيمس فينيمور كوبر دار أبيه ، وهى محاولة تجاه جلال البرية ، كما كانت عام ١٨٠٣ ، يطنفها المتساقطة أجزاء من حدة الجو ، بينما يزودنا مظهر المستعمرة ، كوبرزتاون ، من إنشاء والد الروائى أيضاً ، بلمحة عن خشونة الحياة الريفية بعدة من البلدان الجديدة ذاك الوقت — يقول الوصف كما ورد فى « البيونيرز » :

« على ضفاف البحيرة مباشرة قامت البلدة . . . كانت تتألف من حوالى خمسين بناء من كل صنف ، مبنية أساساً من الخشب وكانت فنيتها المعمارية لاتحمل علامات قوية على فقدان الذوق فحسب بل إن انعدام هندمتها والمظهر الغريب غير الكامل لمعظم مساكنها كان يشير إلى الطريقة العاجلة لإقامتها . وكانت تعرض على العين مصنفات عديدة من الألوان ، كان القليل ذا لون أبيض للواجهة والخلفية ، ولكن أكثرها طليت واجهاته فقط بذلك اللون الغالى ، بينما قام أصحابها المتقدمون والطموحون بطلاء الجوانب الباقية باللون الأحمر المغبر » .

وعلى الرغم من المحاولات الأكثر بدائية تجاه بناء البلد ، فقد كانت هناك مساهمات معينة ثابتة وأكثر عدداً ، بعيداً عن المدن الحالية فى مراكز الولايات المنشأة حديثاً ، وبعض السبب فى ذلك يرجع إلى أن صعوبة المواصلات كانت تتحكم فى الموقع والبعض الآخر مرجعه ، إلى الخوف الدائم من « فساد » العاصمة ، وأقيمت بلدان جديدة مكان الغابات لتستخدم مراكزاً لحكومة الولاية منها مونبلييه ، عاصمة فيرمونت . ولدينا وصف لتطهير الغابة وإنشاء الطرق قبل شغل أول منزل ولاية عام ١٨٠٩ . كانت الغابة تغطى معظم مساحة كولومبيا ، بجنوب كارولينا ، عندما أقرها قانون الولاية لتكون العاصمة

فى عام ١٧٨٦ وأقيمت بلدة فى نفس العام . وخططت كولومبس بأوهايو على هيئة الشبكة عام ١٧١٢ ، على الرغم من أن مبنى كابيتول الولاية الذى تعلوه دعامة القبة الأسطوانية لم يتم قبل عام ١٨٦١ . والواقع أنه ليس تخطيط الطرق بعواصم الولايات المبكرة هذه هو الذى أضفى عليها الأهمية ، ولكنها أبنية الحكومة الجميلة ذات القباب كدور المحاكم ، وهى التى تشهد بأن كل مستويات الحكومة الأمريكية قد أفسحت مكاناً للفن فى مدن كانت تتخلف فى الزخرفة والرسم والنحت لولا معونة الحكومة هذه .



تصميم جوزيف جاك رامى ليونيون ، كوليدج بشنكتادى بنيويورك سابق لتاريخ تصميم جفرسون لجامعة فرجنيا .

ومرة أخرى كانت خرافة فضائل البلدة الصغيرة هى التى تتحكم فى مواقع المؤسسات الأكثر تعليما ، وكما هى الحال فى بلدة الحكومة ، كانت بلدة التعليم تبدو كأنها ظاهرة أخرى من ظواهر أمريكا يمكن أن تعكس خصائص معينة من القرون الوسطى ، عندما كانت كامبردج ، وبادوا ، وبولونيا مراكز للتعليم ، ولم تكن هناك جامعة بانجلترا أو ميلان أو البندقية . وكمثيلاتها الأوربية تكون ساحات الجامعات الأمريكية غالباً مراكز للنظام والجمال فى جاليات صغيرة لا تتميز به . وأحسن ما نعرفه من هذا العهد « القريه الأكاديمية »

جفرسون التى بنيت عام ١٨١٩ ، وجامعة فيرجينيا فى كارلوتسفيل ، نقل مبناها الرئيسى عن البانثيون بروما ، ولكنه مجمع يتميز بأمريكيته ، بالآجر الأحمر وأروقته البيضاء التى تظلل الأساتذة والطلاب المهرولين فيما بين الفصول الدراسية . إن يونيون كوليدج فى شنكتادى بنيويورك التى تأسست عام ١٧٩٥ أقل شهرة وأقدم بعض الشىء ، وكان الأصل فى تصميمها أن تكون « داراً للقضاء » ، وقد صممها المعمارى الفرنسى جوزيف جاك راميه عام ١٨١٣ ، وهى من نتاج عصر التثقيف أنشئت نتيجة الالتماس ، وأسست لتفادى سيطرة الطائفية . وقلب راميه الساحة رأساً على عقب ، وأنشأها مفتوحة ومختلفة تماماً عن الساحة المربعة المنعزلة لأديرة القرون الوسطى . وكأنما كان يوضح سياسة الرئيس الشاب « إليفالت نوت » من أن التعليم لم يعد وقفاً على القلة المختارة ، لقد فتح الساحة لكل من يعنيه الدخول ، وزودها بفناء مستطيل وهيكل مركزى بالجزء الخلفى ، يشطر هذا صف من الأعمدة على ما للعلم من اعتبار ، وهذا سابق لاستعمال جفرسون لهذه العناصر فى جامعة فيرجينيا . ولسوء الحظ كانت الكليات الشمالية والجنوبية فقط هى التى سارت على توجيه « راميه » ، فالهيكل الدائرى وصف الأعمدة التى أقيمت بعد ذلك بكثير ، على النمط الروسكينى القوطى . ومن الأمثلة الأخرى لنفس العهد بودوان (١٧٩٤) ، ووليمز (١٧٩٣) ، ودارتموث (صممت مبكراً ولكن أقيم مبناها الأول فى ١٧٨٤ — ٩١) ، وجامعة نورث كارولينا (افتتحت عام ١٧٩٥ وهى من أقدم جامعات الحكومة فى الولايات المتحدة) .

كان من المناسب أن العهد الذى بدأ باحتفال كبير فى فيلادلفيا لتكريم واشنطن ومن أجل انتصار أمريكا ، يختتم فى عام ١٨٢٤ باحتفال لتكريم زميله فى السلاح الضيف الماركيز دى لا فاييت . وفى تكريم الرجل الفرنسى الذى مثل الصداقة بين الأمتين أقيم عـــدد أكبر من الأقواس ، وشقت

لتخليد الانتصار طرق أكثر عدداً من أى وقت منذ مرور لويس الرابع عشر وعروسه الأسبانية مجتازين فرنسا عام ١٦٦٠ . وفى فيلادلفيا يوجد مالا يقل عن ثلاثة عشر قوساً ترمز إلى الثلاثة عشر ولاية الأصلية ، وقد أقامها المعمارى وليم ستركلاند ، بمساعدة المثال وليم روش والرسام توماس سلى (« الحكمة » و « العدالة » ، تمثالا روش من أضخم قوس ، هما الآن فى متحف فيلادلفيا للفنون) كافت هذه الأقواس نهاية القرن . إن العهد الذى افتتح بقوس نصر قد انتهى بآخر .

الجزء الثالث
العصر الرومانتيكي
١٨٢٥ - ١٨٥٠

جاءت المدينة الأمريكية فى العصر الرومانتيكى بتغييرات معينة هامة لم يكن الافتعال من صفاتها ، وما برح البرج يتحكم فى خط السماء ، ولكنهم تداولوه عندئذ فيما بين المصارف اليونانية الناهضة والفنادق الجديدة ومبانى البورصة وحصن الرصاص . وفى الشارع ازدادت مساحة نوافذ الحوانيت ، ولكن الحوانيت نفسها لم تكن واسعة بالقدر الذى يقف تدفق البضائع على الأفاريز . ولبست مبان جديدة حللا رومانتيكية.وجرى تغير هام فى المواصلات مع استعمال الباخرة استعمالا عاماً هى والقناة والسكك الحديدية الأولى والأمينوس الذى يجره الجياد . كل هذه مهدت لإمكانية إنشاء المدن والبلدان الجديدة بعيداً عن المناطق الساحلية كما أنها مهدت للمراكز القديمة أن تتسع . كانت أزهى أيام مدن النهر والقناة العظيمة — سنسناتى على نهر أوهايو ، وسالا لويس ونيو أورلينز على المسيسبى ، وألبانى وسيراكيوز ، روما وبافالو على قناة إيرى . وظهرت المدينة الصناعية بتوسع كبير لأول مرة .

كان تعداد جميع المدن الأمريكية يزداد بنفس سرعة العهد الذى مضى . فقفز تعداد مدينة نيويورك من ١٢٣,٠٠٠ نسمة فى عام ١٨٢٠ إلى ٥١٥,٠٠٠ نسمة فى عام ١٨٥٠ ، وزادت الأمة السريعة النمو إنتاجها من البضائع ، وخصوصاً النسيج . قامت مؤسستا لوويل ولورنس (فى ماساشوستس) وكذلك ناشوا ومانشستر من ميريماك (فى نيوهامبشاير) ، ومانايونك فى شويلكل ، وكانت حينئذ خارج فيلادلفيا ، وطروى على نهر الهدسون ، للنهوض بمدن ميدلاند الإنجليزية إنتاج المنسوجات القطنية ، والتيلية ، والصوفية اللازمة . وسبقت سنسناتى شيكاغو بمدة طويلة ، وأصبحت أعظم مركز لحفظ اللحوم فى العالم . وفى المراكز الأقـــدم ، ازدهرت صناعة بناء السفن وسباكة الحديد والمصانع الآلية واتسعت . ومع نمو عدد السكان والتحسن فى

وسائل النقل ذاعت المضاربة على العقار الحضرى ، وفى مستهل عام ١٨٣٠ ظهرت أول فورة مالية على مستوى الأمة . لم تقتصر المضاربة أبداً على مزاولة نشاطها فى المدن بل كان الريف ، وبخاصة فى الغرب الأوسط قد أصابته عدوى الحمى ، وكان لمسطحات الأرض أنصبة خيالية . كان كل ذلك مدفوعاً بالسياسة المصرفية للرئيس أندرو جاكسون ، ونضاله فى سبيل الأراضى العامة الرخيصة ، وعدائه لأية إصلاحات داخلية على حساب الفيدرالية . كان الاقتصاد المبنى على حرية التصرف والتفاؤل وفردية الفلسفة الإيمرسونية ... كل ذلك يسيطر على العصر . وفى نفس الوقت ترعرعت بلدة من شكل آخر ، بلدة المجتمع الخيالى المتفائل . فإلى جانب تصميمات بلدان المصانع خططت هذه المراكز بعيداً عن نطاق المضاربة بالأرض . وشاهد العصر أيضاً بداءة المستعمرات الصيفية حول الفنادق الكبيرة ذات الأعمدة ، وداومت الضواحى المتواضعة على الظهور ، واختار المصممون الفيلات على النمط الرومانتيكى البهيج من طراز النموذج الذى يتكون من حديقة تزخرف الأرض الفضاء . وعم الجو الريفى كل مكان ، على الرغم من نمو المدينة وعن اقتطاع السكك الحديدية الجديدة لأطرافها . كانت الأشجار تترك المناطق الساحلية لتعود إلى الظهور بطرقات الضواحى . ولكن حوالى عام ١٨٥٠ قرب نهاية العصر ، ازدادت ظلمة السماء فوق المدينة وانتشرت فى الجو رائحة دخان الفحم .

١ — نموذج المضاربة :

كان تنازل كنيسة ترينتى بنيويورك عن عقدها الذى كانت مدته تسعة وتسعين عاماً ، علامة على بداءة العصر الذى توفرت فيه جميع التأكيدات الفردية بالنسبة لتطور الأرض وبناء المدينة . وكانت الصعوبات التى عانتها الترينتى مع مستأجريها الذين كانوا يفضلون نظام الملكية مما يبين طبيعة ملكية الأرض

فى نيويورك وغيرها من المدن الأمريكية ــ باستثناء بعض أجزاء بلتيمور . وتثبت العقد الطويل الأجل بملكيات منعزلة مثل سيلارز سنج هاربور بميدان واشنطن ، ولكن فى غير إسراف .

يمتاز جون جاكوب أستور ، الذى جمع أول ثروة كبيرة من وراء الأرض الحضرية ، بأن كان أيضاً أول من اكتشف القيمة الكامنة وراء أراضى نيويورك الصخرية . أتيح له ذلك عام ١٨٢٠ فى بلاد كانت تضارب فى « الأرض الفقراء » منذ البداية ، ولكنها حتى ذلك الحين لم تسنح لها الفرصة لتطوير الأرض الحضرية للاستثمار .

كان أستور صاحب مشروعات ألمانيا ، قد جاء إلى أمريكا وهو شاب وجمع المال من التجارة ، فى الفراء أولا ثم فى الصينى ثانياً . كان يلعب بالأرض فى مستهل عام ١٨٠٠ ، ولكن دخله من العقار لم يعادل مكاسبه من التجارة إلا فى مستهل عام ١٨٢٠ . وحوالى عام ١٨٢٥ تخلص من آخر سفينة له ، وكرس نفسه كلية لاستثمار الأرض . بدأ أولا بشراء قطع ليبيعها بمكسب سريع ، أو ، اتباعاً للشكل الذى ضربته ترينتى ، كان يتعاقد لآجال طويلة . ومع ذلك ، ففى حوالى عام ١٨٣٠ كان يبيع ، وتعاونه فى ذلك رهنيات مدتها خمس سنوات بمقدار ٧ فى المائة ، أو كان يؤجر على أساس سنوى . وعندما وافته منيته عام ١٨٤٨ ترك ثروة تقدر بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار . كانت جملتها عقار بمانهاتان . وكانت آخر عباراته « إذا قدر لى أن أحيا من جديد وأنا أعرف ما أعرفه الآن ، لاشتريت كل قدم من الأرض بمانهاتان » .

إذا كان أستور قد مثل العنصر الرشيد لاستغلال العقار ، فقد كان فى مكان آخر جانب طائش ، وبخاصة فى مدن الغرب الجديدة . ازدهرت شيكاغو عام

١٨٣٣ وهى مازالت براري . وتوقعاً لإنشاء قناة لم يتم حفرها إلا بعد خمسة عشر عاماً . اشترى العقار وبيع وتهوفد على قطع الأرض لمليون من السكان . كانت قطعة الأرض تنتقل من يد إلى يد عشر مرات فى اليوم الواحد . ومما مكن لقفزات الأسعار نظام البيع الذى كان يقضى بدفعة فورية مقدارها عشرة فى المائة فقط على أن يعتبر الباقى رهناً . وبينما تصعد الأسعار أخذت العشرة فى المائة فى استيعاب كل أقساط المشترى ، فكان أمله الوحيد فى التخلص من الأرض بالبيع السريع . وفى آخر المطاف كانت الأرض تعود إلى مالكها الأصلى . كان هذا هو نموذج « غلاء الأرض » الذى استمر دون تغيير حتى يومنا هذا ، والغلاء الذى حدث بفلوريدا عام ١٩٢٠ كان أساساً على نهج نفس الأسلوب ، بزيادة أساليب بيعية جديدة أضفت على الأمر نكهة معاصرة .

ومن شواطئ « مين » إلى صفاف ميسورى كان المضارب يسعى وراء الأرض جماعات .

ساعد على تفشى جنون السمسرة البلدية اختراع بسيط ، جعل البناء أكثر سهولة وسرعة . فقد نبذ الغربيون الكوخ المبنى من كتل الخشب واتخذوا عوضاً عنه منزل نيوإنجلاند ذا الإطار بأعمدته ودعاماته الثقيلة . ومع أن التبسيط استحدث على البناء ، إلا أنه ثبت أن الثقل يعرقله ، فالروابط والألواح كان يجب أن تقطع وتقشر ، ثم تنقر وتلسن قبل تركيبها ، وكانت المسامير باهظة التكاليف مما يحد من الاتساع فى استخدامها . وهى لم تنتج بالجملة حتى عام ١٨١٧ ، مع ظهور الآلات التى تنتجها ، وعندئذ تأخر استعمالها بسبب التقاليد — فقد خشى أنها قد لا تفيد فى الاحتفاظ بالخوابير والألواح فى مكانها . وهكذا قفز البناء قفزته العظيمة إلى الأمام باختراع الإطار البالونى Balloon Frame ولو أن الاسم قد أطلق سخرية فقد كان لهذا الإطار الفضل فى إمكان إقامة بيوت

ريفية جديدة ، وأخرى بالمدن ومدن بأكملها . ومن المسلم به عموماً أن أول بناء تم طبقاً للطريقة الجديدة كان كنيسة سانت مارى ، أقدم كنيسة رومانية كاثوليكية بشيكاغو وهى التى بناها عام ١٨٣٣ معمارى المبانى الخشبية « أوجستين ديودات تيلور » . وكان الفرق بين طريقة تيلور والطريقة التقليدية يتركز فى الاستعاضة بالألواح الرقيقة والخوابير (٢ × ٤ بوصة عادة) المركبة فى بعضها بواسطة اللسان والمنقور عن كتل الخشب الكبيرة والأعمدة المركبة فى بعضها بواسطة اللسان والمنقور . وحل القدوم وحفنة من المسامير محل صندوق عدة النجار . كانت الطريقة القديمة تستلزم نجاراً دقيقاً وجيشاً من المساعدين لحمل الأخشاب الثقيلة إلى أمكنتها . ولكن بالطريقة الجديدة ، « كان أى فلاح يقدر على استعمال المنشار والزاوية الحديدية والقدوم — وبمساعدة أولاده — يستطيع أن يباشر العمل فيصنع الهيكل أو الإطار الخارجى ويقوم على تشطيبه بنفسه » . هذا ما عنّ لسولون روبنصون « ملك واضعى اليد » ومن الرواد المزارعين بإنديانا أن يقوله مخاطباً جماعة من النيويوركيين عام ١٨٥٥ « ولو لم تعرف الإطارات البالونية ، لما تحولت شيكاغو ولا سان فرنسسكو ، كما هى الآن ، من قرى صغيرة إلى مدن عظيمة فى عام واحد . ليس الأمر أمر بناء مدن تسند بعضها البعض فحسب ، ولكن تلك التى تقام على البرارى المكشوفة حيث تهب الرياح من ماكيناو إلى المسيسبى ، هناك تبنى البيوت وتقوم ثابتة كبيوت نيوإنجلاند على أعمدة ودعامات مربعها عشرة بوصة » .

وبمساعدة طريقة البناء الجديدة هذه ، حاول المضاربون من بنائى البلدان اختيار موقع ممتاز بحيث تقوم العاصمة فى الحال . وما أن اقتنعوا بحكمة اختيارهم ، حتى دعموا مشروعات البلدة المستقبلة ، بأن توسلوا لجعل الاختيار يقع عليها لتكون مقراً نيابياً أو عاصمة أو مقراً لكلية . ولم يكن للموقع فى معظم

الحالات تأثير على التخطيط الذى لم يكن سوى الشبكة المألوفة حول ميدان أو على جانبى شارع رئيسى .

وتسللت الاستثناءات إلى البلدان التى بنيت فوق ما يسمى الآن بنقط الاستراحة للمواصلات ، حيث كانت البضائع والركاب تنقل من السفينة إلى الشاطىء أو من القناة إلى السكة الحديد ، وهنا تلمس تقليداً أكثر وضوحاً . إن علامة البلدة النهرية هى عبارة عن شارع عريض يمتد نحو المرفأ أو الرصيف على حافة النهر . ولنوع العمارة المستقرة أثر فيما نحسه اليوم من سعادة . لقد احتفظوا بالمظهر الذى وصلوا إليه فى الفترة القصيرة من الفورة الانتعاشية التى تمتعوا بها قبل الاستسلام إلى النعاس . إن ماركت ستريت (شارع السوق) ويدعى الآن برودواى الذى يشطر هانيبال وميسورى ، يجرى على طول جرف النهر ، وعند سفح برودواى المعروف بأنه أوسع شوارع ميسورى . كانت تصل مرة كل يوم باخرة رخيصة مزخرفة من سان لويس وأخرى من كيوبك ، ويصرخ أحدهم « البواخر قادمة » ، ويستيقظ البلد من إغفاءة الصيف القصيرة . منظر أفرد له مارك توين فصلا من أحسن فصوله فى كتابه (الحياة على المسيسبى).

إن وجود هذه المواقع النادرة جعل البلدان تستمتع بالمنظر.. ولبارادايز هيل بهدسون فى نيويورك سطح يطل على منظر شامل للنهر. وفى نيو ريتشموند بأوهيو تخوم للنزهة تدعى أوهيو أيضاً ، وعندما يعلو ماء النهر يدلى هؤلاء الذين يميلون إلى ذلك بأقدامهم فى الماء . وتطل كيوكوك بأيبوا على بحيرة كوبر الصناعية التى تكونت نتيجة لحبس مياه المسيسبى ، منظر توقظ فيه الزوارق البيضاء الصغيرة المياه الزرقاء فى يوم صيف . وفى بلشيو على نهر الميسورى أول مستعمرة فى نبراسكا ، نقبع ساكنين لأن الزمن قد توقف ، هناك يبهرنا المقياس المعمارى ، واستخدام الأشجار والميدان الذى لم يمس ، كما أننا نقف فى نيوريتشموند لأن

ضفاف النهر حولت إلى أماكن للترفيه ، ونعجب لماذا ينقصنا الإدراك اليوم ، ولم لا نستطيع مجاراة مثل هذه المناظر الممتعة !.

وفى الغالب تبدو صورة البلدان الجديدة قاتمة . كان العصر الأول للصناعة بأمريكا كما فى أوربا ، لا يلتفت إلا قليلا إلى نداء البهجة والمسرة . كانت الصرخة من أجل الذهب ، الذهب الأسود . وفى عام ١٨٢٠ ربطت القنوات بين المناجم الجديدة لفحم الانثراسيت بشرق بنسلفانيا وبين تلك التى بفيلادلفيا ، داعية للمضاربة الوحشية . وقد تعتبر بوتسفيل ، بشرق بنسلفانيا أول مدينة ناجحة فى تاريخنا . كان الناس يحفرون فى كل مكان بحثاً عن الأنثراسيت ، وغالباً ما كانوا يحفرون قبوراً لهم بدلا من هذا كله . ورحب المضاربون بالخرائط المتفائلة الأنيقة الطباعة ، وكانوا يبذلون الجهد لبيان الموقع الصحيح الذى ستظهر فيه العاصمة المقبلة . وأنشأ تدفق السكان سوقاً هائلة للمنازل . كانت الأخشاب تُبروز فى فيلادلفيا وتنقل إلى مدينة الفحم عن طريق القناة ، جاهزة للتركيب، ولاستبدال الغابة الفطرية ببلدة ناجحة ، وهكذا تنقل مدينة على السفن بالقنال على هيئة أطوال مقطعة من الأخشاب — مثال مبكر لفكرة التجهيز السابق وتطبيقها على المبانى .

وكانت المضاربة نشطة كعادتها حول المدن المختارة لتكون عاصمة للولاية أو مركزاً للمقاطعة ، فاختيرت سبرنجفيلد إيلينوى التى أسست عام ١٨٢١ ، لتكون مركزاً للمقاطعة ، لأن المجلس التشريعى الذى اجتمع فى فانداليا قد احتيل عليه لاختيارها بدلا من منافستها المنسية الآن . ومع افتتاح قناة إيرى عام ١٨٢٥ ، تزايد عدد السكان لدرجة أنه تقرر أن فانداليا كانت تبعد كثيراً إلى الجنوب مما يجعلها لا تصلح لأن تكون عاصمة ، وإن من الأوفق أن تكون البقعة التى تقام عليها المدينة أكثر توسطاً . وقام جماعة من المشرعين

بقيادة أبراهام لنكولن يعرفون باسم « التسعة العمالقة » نسبة إلى طول قامتهم بتدبير اختيار سبرنجفيلد عام ١٨٣٧ . وبالنسبة لميسورى ، اختار المجلس التشريعى أول الأمر قرية تدعى كوت صان ديسان (ومعناه شاطىء بدون تصميم) وهو اسم على مسمى كما تبين النتيجة ، فما كاد الخبر عن الاختيار ينتقل إلى الخارج ، حتى تدفق المضاربون بين الجمهور ، انتظاراً للمكسب من وراء ارتفاع أسعار الأرض ، مما أغضب المجلس التشريعى فتحول إلى مدينة جفرسون ، التى بقيت عاصمة لميسورى منذ ذاك الحين . إن أقل البلدان ذكراً بين بلدان نموذج المضاربة لهذا العصر هى « مزارع الطريق » وبلدان القناة وقد ساعد على نسيانها أن وسائل المواصلات التى عملت على إنشائها قد اختفت . وربطت طرق المكوس وأبوابها ، وطرق البريد ، كثيراً من هذه الأراضى بعضها البعض فى مستهل عام ١٨٢٥ . وفى أوهيو ، وإنديانا ، حيث أكمل الطريق الوطنى (ناشيونال روود) طريق كمبرلاند القديم بالقرب من خط فيرجينيا ، نهضت بوابات المكوس والخانات بالمدن . قال أحد المؤرخين « لقد أمكن عد قرابة أربع وعشرين عربة تجرها الخيل فى خط واحد ودفعة واحدة بالطريق ، وكانت العربات الواسعة ذات العجلات الكبيرة ، والمغطاة بالقماش الأبيض الذى يمتد حتى المقدمة ، والمشحونة بالبضائع تجرها ستة من خيل كونستوجا ، تشاهد طوال النهار مراراً فى كل مكان حتى المساء ، هذا إلى جانب قوافل الخيل والبغال ، والماشية ، والخنازير والأغنام . كان المنظر أشبه ما يكون بشارع رئيسى بمدينة ضخمة منه ، بشارع يخترق مناطق قروية . » لقد انبثقت « نيو كونكورد » بأوهيو عن خان على الطريق ، وكذلك « لافايت » التى كان خانها المبنى من الأجر واحداً من عدة محطات . وفى إنديانا ، كانت سنترفيل تتألف من حائطين من المنازل على جانبى الطريق : تخطيط طولى صادق مطابق « لمزرعة الطريق » كما عرفت فيما بعد . وبالقرب من ميسورى حيث بقيت

البرارى لمدة طويلة دون أن تمسها السكك الحديد ، كانت الطرق تؤدى إلى محطات السكك الحديدية أو مرافىء الأنهار مما دفع إلى إقامة مزارع الطريق على طول الطرق السفرية الرئيسية . وسرعان ما توسعت هذه حتى غدت بلداناً صغيرة تخدم المسافرين ، ولكنها زالت من المنظر بظهور السكك الحديدية .

وفى عصر القناة من ١٨٢٠ إلى ١٨٣٠ ، اعترضت نيوجيرسى ، ونيويورك ، وبنسلفانيا وأوهيو ، وإنديانا مجار مائية صناعية جذبت مرافئها المستوطنون . لقد أقيمت أبرهيو التى تشتهر اليوم بأنها موطن الشركة المعروفة باسم « ذى أميريكان رولنج ميل كومبانى » التى طورت صناعة سحب الصلب بالسرعة العالية .



بلدة على قناة . منظر لدايتون ، بأوهيو حوالى عام ١٨٣٠ .

حول ميناء على قناة ميامى وإيرى ، فى منتصف الطريق بين سنسناتى ودايتون ، ومن هنا جاءت التسمية « ميدلتون » ومعناها مدينة المنتصف . أما بلاد مثل ليتل فولز وفرنكفورد ، بنيويورك فما زالت تحتفظ بشذا القناة — قناة إيرى الهادئة ، التى كانت من أسباب انتعاش موهوك فالى . وتشاهد العين الآن الأهوسة المهجورة ، وامتدادات من القنوات ذات المياه الراكدة أو الجافة ، والممرات المعشوشبة ، خلال الشرق والغرب الأوسط . ومنذ عهد قريب قام القاضى وليم . و . دوجلاس من المحكمة العليا للولايات المتحدة برحلة على

الأقدام لمدة ثلاثة أيام ،يصحبه جماعة من الصحفيين على طول قناة تشيسابيك وأوهيو ، التى تنتهى عند عاصمة البلاد . كان غرضه من ذلك — وقد نجح فيما كان يهدف إليه — الحفاظ على المجرى المائى القديم واستخدامه كحديقة عامة ، ومنع تدنيسه بطريق سفرى . إن القنوات المهجورة تضفى نغماً بهيجاً على الريف ، وهى آثار عبث بها الزمن بالنسبة للسكك الحديدية فى عصر البخار والحديد .

٢ — التيه وحزان المصنع :

شكلان من أشكال المجتمع بعيدان عن نموذج المضاربة — يتمثلان فى البلدان التى خططت بتعقل فى ذاك العصر — وهما عبارة عن رفقاء غرباء فى تاريخ الحضارة الأمريكية . الشكلان هما المستعمرات التى أقامها ذوو المثل العليا ، من رجال الدين والاجتماع ، وتصميات بلدان المصانع لشركاء بوسطن ، وهم جماعة من رجال الأعمال المتحررين الذى قاموا فى العهد الذى كانت مهمة الولاية فيه تقتصر على حماية الملكية ، بإلقاء سدود خاصة على طول الأنهار ، ورسموا الخطط العملية للبلدان الصناعية .

إن أعجب نموذج فى تاريخ البلدان الأمريكية هو تلك المجتمعات ذات الطوائف والخيالات المتعددة : تسبح متغلغلة فى بحر المضاربات فى محاولة لنقل الجنة إلى هذه الأرض . من السهل أن ننبذ ونسخر من طوائف المهتزين Shakers والرابيين Rappites وأتباع فوريه Fourier وغيرهم ، لأنهم بنوا قليلا من المدن التى امتازت بالدوام والحسن . ومع كل فهناك حول تجاربهم مايجلب البهجة ... بهجة ملاحظة الإنسان فى محاولته الوصول إلى أرض الميعاد ، كالنمل إذ يلتمس الخلاص فوق القشة . وللنظر فى الولايات المتحدة لون ، فهنا يخرج عن نطاق الكتب وهنا يتشكل على أنواع عدة ، أكثر من مائة مجتمع ، وتعداد يزيد على مائة ألف نسمة ، فى محاولة لحياة خيالية ، بعضها استمر

لفترات يثير طولها الدهشة . وترجع التقاليد إلى القرن السابع عشر وقت تأسيس نيو إنجلاند ذات القوة الدينية ، ولكن استئصال طوائف الزندقة فى القرن الثامن عشر جعل أوروبا ترسل آخرين إلى الوطن الجديد . كانت افراتا ، وذى وومان بويلدرنس ، وبنسلفانيا ، وونستون سالم بشمال كارولينا ، وبيت لحم ، بنسلفانيا — والاثنتان الأخيرتان من المجتمعات الموراوية — قرى متواضعة ، حقيرة الشأن مبنية فى بساطة من الحجارة ، وكان التباين فيها هو الموسيقى . واليوم فى بيت لحم ، على التلال فوق منشأة اتحاد بيت لحم للصلب ، تحيى مجموعة من عازفى الأبواق عيد الفصح ، امتداداً لتقليد موراوى قديم انتهج أول ما انتهج عام ١٧٥٤ .

ومن بين جميع الجماعات الدينية كان المهتزون أكثرهم ابتكاراً ، إذ ابتكروا طابعهم الخاص من الفن الشعبى وخصوصاً فيما يتعلق بالأثاث . كان لهذه الطائفة التى فقدت شعبيتها فى يوم من الأيام والتى أسستها الأم « آن لى » فى ووترفيت بنيويورك ، مستعمرات تمتد حتى إنديانا وكنتوكى . وكانت خشونة ملبسهم وفنهم ودينهم وطريقتهم فى الحياة ودفاعهم عن مبدأ العزوبة ، مما دفعهم إلى أن يهبوا أنفسهم للعمل فى الفلاحة والصناعات اليدوية . وحيثما كان يمتنع اللهو ، كان الفرح يتخذ صورة مذهلة من الخدمات الدينية ، تنتهى غالباً بالرقص الاهتزازى العجيب ، ومنه اشتق اسم الطائفة . ثم يرتلون : « فى كنيسة المسيح والأم ليس ثمة مكان للمشاعر الشهوانية ، هنا يحب البسطاء بعضهم بعضاً متخلصين من كل ماهو دنىء » . أما أثاثهم فله اليوم جاذبية خاصة ، إذ أنه يشبه فى بساطته الأثاث الذى نسميه « عملى » . وبهذه المناسبة من المهم أن نعلم أن صانعى الأثاث الدانمركى المعاصر قد استوحوه فى بادئ الأمر من كتاب لنماذج أثاث المهتزين ، كان قد وقع فى أيديهم .

هناك مجتمع طائفى آخر كان يتمثل فى المستعمرة التى أسسها جورج وفردريك راب ، فى إيكونومى ببنسلفانيا عام ١٩٢٥ ، إذ قاد جماعة من الألمان المنشقين من هارمونى ، بإنديانا ، إلى ضفاف نهر أوهيو حيث بنوا مقراً جميلاً . وكان له متحف (من ضمن لوحاته « المسيح يشفى المريض » من عمل بنيامين وست) ، وحديقة جبلاية ومتاهة ، وكان هذا من الزخرف النادر فى أمريكا ، وكان « الرابيون » على أعلى درجة من الانتعاش ودام مجتمعهم حتى نهاية القرن حين نُبذت الرابيَّة نهائياً ، ومما يثلج الصدر أن إيكونومى اليوم — وهى جزء من أمبردج ببنسلفانيا — قد احتفظ بها بفضل الترميمات التى أجرتها إدارة سير الأعمال عام ١٩٣٠ ، وهى الآن من الآثار التاريخية لولاية بنسلفانيا .

وحجب المورمون[١] جميع الطوائف الدينية بتجاربهم المقدسة ، التى حولت الصحراء إلى بساتين ، وشادت واحدة من أعظم مدن الغرب الأمريكى . وقد احتلت كنيسة ملائكة اليوم الآخر ، من إنشاء جوزيف سميث عام ١٨٣٠ ، عدة ارتدادات (إلى الدين القديم) وكانت شعبيتها مثاراً للغيرة . وفى عام ١٨٤٤ تحول الغيظ من النبى سميث وأتباعه إلى تحرك للغوغاء ، واغتيل سميث ، وهددت مدينة المورمون (نوفو nauvoo) بإيلينوى . وقامت الطائفة تحت قيادة خلفه برجهام يونج بالزحف كتلة واحدة على « يوتاه » بعيداً عن عنف جيرانهم السابقين ، واستقروا بمدينه صولت ليك . وعندما كان يتوفر للمجتمعات الدينية قادة ذوو إدراك عملى قوى ، كان يغلب أن يضعوا علامتهم على العلم الخارجى ، ولكن إذا كانت القيادة نابليونية كما تمثلت فى شخصية يونج ، فإن المجتمع يصبح إمبراطورية لها صفوف من البيوت والمزارع الخصبة .

كانت هذه ، مجتمعات إنجيلية تأسيسية ، أما المجتمعات السفسطائية اللادينية

(١) « المورمون » هى طائفة دينية أمريكية تجيز تعدد الزوجات (المترجم)

الشيوعية فكان متوسط استمرارها سنتين فقط ، ولم تخلف وراءها سوى قليلا من المبانى الدائمة . وبمقارنتها بالمجتمعات الطائفية نجد أنها قدمت ما يملأ رواقاً من الشخصيات اللامعة : روبرت أوين فى نيوهارمونى بإنديانا (وهى هارمونى التى كانت للرابيين وابتاعها أوين)، وفرنسيس رايت فى ناشوبا بتينيسى ، وبرونسون الكوت ببروك فارم بمساشوستس ، وجون همفرى نويس بأونيدا بنيويورك ، وحتى هوراس جريلى وزمرته الذين أطلق عليهم اسم « أتباع فورييه » .

اهتم جريلى ناشر « النيويورك تريبيون » بمذهب فورييه واعتنقه ، وساعد هو وألبرت بريزبين فى تأسيس زمرة شمال أمريكا بالقرب من رد بانك بنيوجيرسى ، وفى نيوهارمونى جمع أوين حوله عام ١٨٢٠ توماس ساى الجيولوجى الممتاز ، وتشارلس لزور عالم التاريخ الطبيعى الفرنسى وغيرهم ، وكان قد أتى معه بولديه دافيد ديل أوين ، وهو عالم مثقف آخر أصبح بعد جيولوجى الولايات المتحدة ، وروبرت ديل أوين وهو الذى تزعم وضع نظام المدارس العامة فى الغرب الأوسط . وعند زيارة البلدة الموحشة على نهر واباش يتساءل المرء عن الإثارة التى بعثها أوين . ولكن ظهور « بوت لواوف نولدج » أى (شحنه سفينة من المعلومات) بالنهر عام ١٨٢٦ لم يكن بالأمر الهين فى أيام الحدود . كان أوين وولداه سابقين لعصرهم . والفيلا القوطية هى الشىء المعمارى الوحيد الذى انبثق عن المجتمع ، ومن حسن الحظ أن الخلف المباشر للمؤسس روبرت أوين الحالى وزوجته يرممون نيوهارمونى تدريجياً ، وعلى هذا سوف نراها قريباً مدة أخرى كما رآها العالم مدة من قبل ، عندما كان ينتظر فى فضول نتائج التجربة وتقريرات علمائها .

أما أعجب المجتمعات التجريبية — خليط من المظاهر الطائفية والخيالية — فكان ذاك الذى ينتسب إلى جون همفرى نويس ، الذى أسس مجتمع أونيدا ،

بأونيدا من أعمال نيويورك عام ١٨٤٧ (والاسم مألوف عن طريق الإعلانات عن الكوميونيتى بليت ، الصناعة الفضية التى ما زالت تنتج فى نويس ماشون القديمة) ولقد أشار همفرى بالحد من النسل الجزافى الذى لا مفر منه فى نظام الزواج ، والاستعاضة عنه بالنسل المتعقل المنظم . ولتنظيم النسل أشار بتطبيق نظرية الزواج المركب . يستطيع أى رجل وامرأة أن يعيشا معاً فى المجتمع ولو أن طول الارتباط كان يقاوم بالنقد المتبادل من جانب الأعضاء . أما من جهة إنجاب الأطفال فكان تحت رقابة أعضاء المجتمع الأكثر تقدماً فى السن ، والذين ربطوا الزوجين ببعضهما ، بعد أن قضى نويس على الزواج الرسمى . وعلى الرغم من أنه قد تتصور أن نويس قد أنشأ جحيما بدلا من جنة على الأرض ، فقد لاقت التجربة شعبية واستحساناً . وهيأت الصناعات اليدوية للمجتمع استقراراً مالياً ، ولو أن الضمان التام لم يكتمل إلا حين اخترع أحد الأعضاء فخاً من الصلب للحيوان ، حقق إنتاجه أرباحاً ضخمة . ومع تطور المجتمع واتساعه ، أقيمت دار واسعة لتضمهم جميعاً . وفى أحد أجنحتها كان بيت الأطفال حيث كان الأطفال ينزعون تماماً عن أمهاتهم حتى أثناء الليل . وكان للوالدين أن يزورا ذريتهما عندما يحلو لهما ذلك . ولكن قدوم الجيل الثانى ، وازدياد الانتقاد الآتى من الخارج ، واستقالة نويس ، وضع فيما بعد نهاية للتجربة فى عام ١٨٧٩ .

فإذا كانت « أونيدا » قد تمتعت بالنجاح طوال تلك الفترة ، فقد كان مرجع الاستقرار جزئياً إلى الأساس الاقتصادى ، تماماً كما حقق الأساس الاقتصادى السليم النصر لأهم ألوان المجتمعات فى ذاك العصر ، وهو مجتمع البلدة الصناعية بنيو إنجلاند . فى نوفمبر عام ١٨٢١ قرر تجار بوسطن الممتازون بعد اختبارهم لشلالات بوتوكت على الميريماك ، أن يقيموا سداً على النهر ويبنوا بلدة لوويل بمساشوستس . وبعد عامين أنشئت القنوات التى تدير الدواليب ،

والمصانع ومساكن العمال ، ودارت أولى العجلات . لقد نشأ نموذج البلدة الصناعية لنيو إنجلاند وتحدد .

وإذا سرنا على طول نهر ميريماك أو كونكتيكت أو غيرها من أنهار نيو إنجلاند ، فإننا نلاحظ فى سهولة ويسر المدن المبنية من الآجر الداكن . فعلى طول ضفة النهر تمتد المصانع العظيمة مرتفعة إلى أربعة أو خمسة طوابق ، وبجوارها يقوم البناء المنفصل . المكاتب ومساكن الملاحظين ، وفيما يلى ذلك بالشوارع الممتدة فى زوايا قائمة إلى المصانع ، أقيمت عنابر نوم العمال الذى يضم غير المتزوجين ، ومجموعات منازل العمال ذوى العائلات . تم كل ذلك طبقاً



لورنس ، بمساشوستس . بلدة صناعية تقليدية عام ١٨٣٠ .

لتصميات على الورق — الشريط الأخضر على طول القناة ، ومنظور المصنع فى النهاية بين جدران من منازل الصف متلاصقة ، وعلى تل يعلو المياه والمروج ، مجموعة الهياكل اليونانية الحية ، سمة منازل الرؤساء والتجار . كانت منازل البلدان الصناعية لنيو إنجلاند هذه تضفى جواً من الصلابة ومتانة البناء ، وكانت تختلف تماماً عن بوتسفيل ، أو عن البلدان الخشبية بالبرارى .

وإلى هذه المدن ، مدن المغازل والأنوال تدفقت بنات ريف نيوإنجلاند ، ريفيات من نيوهامبشاير وفيرمونت . يحملن أسماء أولى غريبة مثل ساماثا وتريفينا وبلومى . ويقابلن بالترحيب من « الأمهات » راعيات بيوت النزلاء ، ورعاة الكنيسة ، فتتأكد لهن الرعاية بعيداً عن الوطن . وكالعادة دائماً فى المنظر الأمريكى ، كانت النغمة الدينية شاملة دون أن تكون ظاهرة . كان نزلاء أحد بيوت « لويل » يمثلون مالا يقل عن ثمانى طوائف ، وكما كان الأمر على الحدود تماماً ثبت أن الدين هو الشغل الرئيسى لوقت الفراغ . وإلى فرنسيس كابوت لويل ، الذى سميت المدينة النموذجية باسمه ، يرجع الفضل فى إتقان طريقة تحويل القطن إلى قماش تحت سقف واحد وتحسين أسباب المعيشة لعمال المصانع . لقد زار المدن الصناعية بانجلترا واسكتلندا . وبينما روبرت أوين ، ولما يزل مجهولا ، يجرى تجاربه فى نيولانارك باسكتلندا ، كان لويل قد وضع الخطة السكنية للموظفين العزاب بوالتهام فى ماساشوستس . ولم يقدر له أن يعيش ليرى وصول الخطة إلى الكمال فى مدينة المغازل ، ولكن الزائرين من تشارلس ديكنز إلى الرئيس جاكسون حجوا إلى المدينة التى أنشأها ، حيث كانت للفتيات من عاملات المصانع ، على الرغم من طول يومهن العملى ، نواديهن الثقافية ، والمجلة الخاصة بهن كذلك ، وذلك أثر من مكرمات « لوويل » . كانت عقلية المرأة الأمريكية العاملة دائمة التطور نحو الأحسن .

وحوالى عام ١٨٥٠ انقطع قدوم الريفيات إلى « لويل » و « ناشوا » ، و « مانشستر » و « تشيكوبى » و « هافرهيل » وحيثما تجمعت المصانع القائمة جوار نهر من أنهار نيوإنجلاند . وبدلا منهن تحرك الآن من استبعدوا مرة من للإيرلنديين والفرنسيين الكنديين إلى الوديان ليحلوا محل فتيات اليانكى . وكان للإيرلنديين يد فى بناء البلدان الصناعية حيث قاموا بأعمال التكسير الخلفية كحفر القنوات وإقامة السدود الحجرية ، ليجدوا أنفسهم وقد حملتهم الأسوار فى قرى

من الأكواخ تدعى « باديتاون » أو « نيودبلن » ، بعيداً عن الوطنيين البروتستانتيين . وبنمو الأمة دعى الأيرلنديون فيما بعد إلى القدوم إلى المصانع ، ولكنهم لم يكونوا ذوى تصور صناعى . وكانت بلدان نيو إنجلاند الصناعية ، — إذا استثنينا ترتيب تخطيطها ونظافتها — تتشابه فيما عدا ذلك مع جميع البلدان الأخرى .

٣ — ظهور البهجة .

لم تغفل الثورة الصناعية شأن المدينة النامية فى سبيل المرح بجوار الشلالات ، وزحفت المصانع (غير مصانع النسيج التى كانت تعتمد على القوى المائية الرخيصة التكاليف على جميع البلدان الكبيرة الموجودة ، فمن مصانع السفن والمسابك والورش الآلية إلى سائر أشكال الصناعة ، كل هذا أتى بدور الأعمال إلى المنظر الحضرى . وتغير مظهر المدينة بظهور المستودعات الكبيرة وإنشاء منطقة المستودعات ، التى ما زالت تشاهد منفصلة عن قلب المنطقة من بوسطن ، أو بروفيدنس أو بلتيمور أو ريتشموند بسنسناتى وغيرها من المراكز التجارية . ويقال . إن « إيثيل تاون » أحد المعماريين الذين أقاموا بناء وكالة الخزانة بنيويورك هو الذى صمم أول مستودع كبير أقيم على ركيزات من الحجر بمانهاتان السفلى حوالى عام ١٨٣٠ . وما زالت بعض هذه المستودعات باقية بتلك المنطقة ، ففى ووترستريت وفى بلتيمور يقوم مستودع السكر المبنى من الآجر (١٨٤٩) ، ومع أن تلك الأبنية كانت تتسم بالضخامة خصوصاً تلك التى كانت ببوسطن ، وكانت تبنى غالباً من كتل الجرانيت ، فإنها لم تغير من منظر الشارع بقدر ما فعل شكل معمارى آخر ، وهو البنك الذى على شكل المعبد . لاحظ سائح فرنسى ، يدعى ميشيل شفالييه ، فى عام ١٨٣٠ أن البنك كان يزاحم الكنيسة فى مجدها كآخر بناء فى البلدة . وبينما كان للكنيسة

برج « رن » من طراز الباروك كرمز رئيسى ، اختار البنك الأمريكى الطنف اليونانى ذا الأعمدة . وعندما صمم صمويل بلوجت بناء البنك الأول للولايات المتحدة بفيلادلفيا عام ١٧٩٦ ، الذى ما زال قائماً ، لم يكن يعلم أنه قد أنشأ أول هيكل للتجارة جدير بهذه التسمية فهو أصل لكل بنك ذى أعمدة بالبلاد . وسرى الإعجاب بطيئاً لما بعد عام ١٨٢٥ حين أصبح لكل مجتمع مصرف يعتز به . والأمثلة على ذلك موجودة فى شريوك بنك أوف لويزفيل (١٨٣٧) بلويزفيل فى كنتوكى ، والبنك اليونانى بشونيتون فى إيلينوى (١٨٣٦) ، وبنك وليم كيلنى بإيرى فى بنسلفانيا (١٨٣٩) الذى يضم اليوم الجمعية التاريخية لمقاطعة إيرى .

كان القادم الجديد ، الفندق ، من أكثر هذه الأبنية استرعاء للأنظار على الرغم من عدم انتشاره مثلما انتشر مبنى البنك . وقبل بناء تريمونت هاوس المشهور (١٨٢٨ — ١٨٢٩) فى بوسطن من تصميم إيزايا روجرز ، كان المسافر هنا وفى الخارج يؤمل فى وسائل الراحة بالخان التى كانت متواضعة حتى فى أحسن الظروف . وهناك عدة أسباب توضح لماذا كان ينبغى نجاح الفندق فى أمريكا... إننا كشعب كنا وما زلنا فى حركة دائمة . ولم يكن هناك شىء من أسباب الراحة كالمنزل ذى الشقق ولا حتى محلات الإقامة على الطريقة الإنجليزية . وقدم الفندق إلى النزيل العابر والمقيم على السواء معظم وسائل الراحة المنزلية ، بدون التكاليف والأعباء اللازمة لإقامة المسكن الخاص . ولعل أهم ما فى الموضوع هو الحاجة إلى مكان للمقابلات والاستضافة فى المدينة . هذا ، وعلى الرغم من أن أبنية حكومتنا ، وأبنية التجار ، كانت مفتوحة دائماً للشعب ، فقد كانت بالكاد مجهزة لتكفل الراحة والتسلية . وبما أن الأمريكيين قوم ديمقراطيون ، ليس لهم قصور ولا بلاط ، فقد كانوا مضطرين لإنشاء « قصور الشعب » كما كان يطلق على الفنادق ، وبقيت نسبياً المراكز الاجتماعية لمدننا .

كان لفندق تريمونت هاوس ، وهو من مفاخر بوسطن ، حجرات عديدة وشقق منبثقة عن طرقات مستقيمة ، وبئر واسعة للسلم ، وبهو يتوسط البناء ، وصف من الغرف العامة الفخمة وقاعة للطعام فاخرة ذات أعمدة ، وزود كل باب بقفل ، ووضعت قطع الصابون مجاناً فى كل حجرة ، وحازت دورات المياه والحمامات إعجاب الجميع . وسارع الخدم يحملون متاع المسافرين . إن بوجوز الذى ذهب إلى نيويورك لتصميم أستورهاوس (١٨٣٦) وبورنت هاوس الشهير بسنسناتى (١٨٥٠) يسمى بحق (أبو الفنادق الحديثة) .

كان هناك أسباب إضافية للراحة بمدينة العصر الرومانتيكى . فالتحسينات التى أدخلت على نظام توزيع المياه أتاحت وصول الماء إلى جميع الطوابق ، كما ساعدت على الارتفاع بالأبنية . وحوالى عام ١٨٤٠ شاع تركيب دورات المياه فى داخل المبانى وذلك بسبب التوسع فى توزيع المياه . واستبدلت فيلادلفيا مياه الآبار بمياه من نهر شكويكيل فى مستهل عام ١٨٠١ ، بايعاز من المعمارى « لاتروب » . ووسعت المدينة نطاق هذا النظام فيما بين عام ١٨١١ وعام ١٨١٩ ، مهيئة الفرصة لصانع روبرت كى تنشىء مقراً من أبهى المقار المعمارية بمحطة المياه المعروفة بفيلادلفيا (معرض الأحياء المائية الآن) .

وكان أجدر بالمشاهدة مجموعة كروتون Croton System التى تمت عام ١٨٤١ ، بعد أن تقوض جزء من المدينة بفعل النيران . وكانت الحاجة إلى كمية هائلة من المياه تشكل مأساة ، واتبعت بوسطن نفس الطريق عام ١٩٤٨ . أما بلتيمور وكانت قد أسست نواة لنظام عام ١٨٠٤ ، توسعت فيه ببناء خزان بحيرة رولاند عام ١٩٤٨ ، وتدل أعمال الحفر التى تمت فى ذاك الوقت على أن الناس كانوا يؤمنون بالنعم التى يسبغها عليهم التموين الجيد بالمياه ، مما حقق لهم صحة أحسن ونظاماً أسلم للمجارى ، وتوسعاً حضريا أسرع ، ومظهراً لا يهمله كثيرون وهو زيادة المضاربة فى العقار .

ومن أهم البدع فى ذلك العصر ، الذى شاهد انتصار الباخرة ، ظهور الأمنيبوس الذى يجره الخيل ، والذى شوهد لأول مرة فى شوارع نيويورك عام ١٨٣٠ . وقرابة عام ١٨٤٠ كانت عربات قطع الأخشاب تحمل ما يقرب من ثلاثين راكباً . ولم يغفل من عَمِلَ على نشرها ما لها من فاعلية ، فقد كان يعرف قيمة الأرض القريبة من طرق المواصلات . كانت أعمال البناء تميل إلى التركز على طول مداخل المدينة ، حيث وسائل الموصلات والأجزاء المبنية من الأطراف الحضرية تبدو وكأنها أصابع تتفرع عن يد بشرية، ولإدخال البهجة على نفوس المسافرين كانت أضواء الغاز التى عرفت بنيويورك عام ١٨٢٧ ، وبفيلاديلفيا و بوسطن بعد ذلك بعشر سنوات ، تضئ الطريق .



جبانة حديثة بنيو أورليانز تبين تأثير الطراز اليونانى الناهض

وطرأت التغييرات أيضاً على المنزل الأمريكى الحضرى . فنى الغرب كانت المدينة تتألف من البيوت ذات الإطار على قطع مفتوحة من الأرض ، وفى الشرق كان منزل الصف يوالى انتصاراته مع قدوم قدر أكبر من رؤوس الأموال وظهور عدد أكبر من العملاء . كانت الزيادة فى رأس المال تعنى استثماراً

أكبر فى تحسين الأرض ، وبالتالى كان ذلك يعنى أن الأرض أصبحت أكثر ازدحاماً ، وزاد ارتفاع المبانى ، واختفت الأسقف الجالونية والنوافذ ذات الجالون التى كانت معروفة فى مستهل العهد بالجمهورية ، كما أضيف طابق ثالث وطابق رابع وسقف مسطح . وفى أواخر عام ١٨٢٠ بدأت الصفوف الممتدة تعكس طرازاً جديداً ليس فى الجسم الرئيسى للمبنى الذى ظل بلا تغيير ، ولكن فى الزخرفة ، إذ أن الأعمدة الدورية أو الأيونية البيضاء والتفصيلات الكلاسيكية حولت المنزل إلى معبد يونانى ناهض ، كما حولت شكل مبنى البنك . ويمكن العثور على أمثلة للطنف أو المداخل ذى الأعمدة فى بلتيمومور فى كاتيدرال ستريت أو مونت فيرنون بليس ، وبوسع فيلادلفيا أن تفخر بالعديد منها كتلك التى بميدان فرانكلين . وفى نيوأورلينز امتد الطراز الجديد حتى المنطقة الفرنسية ، وأرسى قواعد طراز الجبانات التى أنشئت حيث كانت المعابد الصغيرة للموتى تكون مدناً مصغرة .

وعلى الرغم من تغير الذوق المعمارى ، استمر نظام العهد الذى مضى ، نظام بناء منازل البلدة فى صفوف حتى عام ١٨٨٠ ، وخلف الواجهة المميزة كانت التصميمات المميزة . وبدأ التباين البسيط يظهر فى مدينة بعد أخرى ، كل لها منزل الصف الخاص وواجهته الخاصة وتصميمه المميز ، قال كوبر فى عام ١٨٣٠ عما أسماه نوع المنازل المهذبة من الدرجة الثانية : « المبانى من الآجر مدهونة ومخططة . . . . ومزخرفة فى بساطة فى ذوق سليم جداً ، ولها قمم وجلسات للنوافذ وكرانيش الخ الخ . . . بين آجر البلاد الرخو القاتم » ، كان يصف منزل نيويورك ذا الطوابق الأربعة . يظهر أولا البدروم الغاطس فى الأرض إلى النصف ثم الطابق الرئيسى للمنزل توصل إليه شرفة . أما المدخل فكان على جانب من الواجهة كما يقول لنا كوبر ، ويقود الداخل إلى دهليز ، ينفتح بدوره على ردهة طويلة . وفى نهاية هذه الردهة الدرج المؤدى إلى الطابق الثانى . ويتفرع من

الردهة بالطابق الأول حجرتان متماثلتان واسعتان ، الحجرة الأمامية للجلوس والثانية للمائدة تفصلهما أبواب منزلقة ، وهذا مثال مبكر للتصميم « المفتوح » الذى أصبح منذ ذلك الحين مظهراً مميزاً للبيت الأمريكى . كانت حجرات النوم الرئيسية بالطابق الثانى ، وتلك التى للأطفال والخدم بالطابقين الثالث والأعلى . وبالبدروم يوجد المطبخ فى الخلف وغرفة لعب الأطفال أو « الكرار » إلى الأمام . قال كوبر « كان البناء بأكمله يجهز فى أناقة فائقة وفى متانة وإتقان للصنعة ، قلما نجدها فى أوروبا فى غير انجلترا ، فأبواب الحجرات الرئيسية من الخشب الماهوجانى المصمت وحينما كان يستخدم الخشب كان يستخدم فى ذوق عظيم وفى مهارة » . وإن « أولد ميرشنت هاوس » وهو الآن متحف فى ٢٩ إيست فورث ستريت بمدينة نيويورك ، يتبع وصف كوبر تماما . وفى المنازل المبنية من الآجر الأحمر — التى قسمت الآن إلى شقق ، والتى يشاهدها كل سائح إلى نيويورك فى الجانب الشمالى من ميدان واشنطن — احتلت حجرة المائدة مكان الكرار بالبدروم . والحجرة التى خصصت للمائدة بالأولد ميرشانتس هاوس كونت حجرة جلوس إضافية بمنازل ميدان واشنطن . هكذا كان طراز المنزل الذى وصفته إديث ورتون فى كتابها (عادات البلاد) وهنرى جيمس فى كتابة (ميدان واشنطن) . إن قطعة الأرض المستطيلة الضيقة التى يبلغ عرضها من عشرين إلى خمسة وعشرين قدماً ، هى التى أملت نماذج مشابهة بمعظم بلاد الشاطىء الشرقى . إن منازل بلدان نيوأورلينز فقط هى التى اختلفت اختلافاً جوهرياً . دوّن المعمارى لاتروب ضمن يومياته :

« ولو أن المنزل الذى بناه هنا الفرنسيون ليس نموذجاً للنظام الفرنسى فإنه فى رأيى يمتاز امتيازاً لا حد له عن النظام الذى ورثناه عن الإنجليز ، ولكن تأصل العادة الراسخ ، جعل التجار من الولايات المتحدة القديمة ، الذين كانت تقوى فى نفوسهم باستمرار الأساليب والعادات والآراء والأنظمة

المنزلية للفرنسين ، يبدأون فعلا فى تقديم الطراز البغيض الغير المتوارى الجانبين لمنزل لندن الذى يؤدى فيه الممر العام والدرج عمل « المجارى » لكافة ضروريات المسكن . . . » .

إن تشهيره بطراز منزل الشرق ينتهى فى صورة ابتهال يائس إلى المبانى الفرنسية لنيو أورلينز . ولكن ينبغى أن نذكر أن الساحة المفتوحة والجناح الخلفى لمنزل نيو أورلينز . كانت تناسب جو ووفرة الخدم ، مما كان يسمح بمزيد من الترتيبات السخية للاتساع .

لم يكن المصمم يعرف طرازاً سوى ذلك البيت الذى يأوى عائلة واحدة والذى نقل بدقة تامة عن نموذج لندن . وعلى العكس من ذلك أصبح هناك منازل تسمح بإيواء عائلات متعددة : بمجرد الانتهاء منها ، عائلات يائسة من الحصول على بيت خاص ، اتخذت لها سكناً فيها نظير إيجار حسب ملاحظة تيموثى دوايت عن دور النزلاء بنيويورك وفيلادلفيا عام ١٨٠٠ . وبعد ثلاثين عاماً كتب جيمس سلك بكنجهام وكان ما كتبه ينطبق أيضاً على مدن أمريكية أخرى « إن الإقامة فى دور النزلاء (بنسيونات) بدلا من شغل منزل أو سكن خاص هى من أقوى مظاهر المجتمع فى نيويورك » . وكان للمسافر الإنجليزى ثلاثة تفسيرات . المنازل العديدة المبنية على مساحات واسعة جداً ، ومشكلة الخدم ، وكثرة تغيير الأمريكيين لأعمالهم ومساكنهم . ثم بعد ذلك يصف الحياة فى دور النزلاء (البنسيونات) :

« إن الوقت المبكر الذى يغادر فيه الجميع فراشهم عند سماعهم رنين الجرس الكبير ، كما لو كان فى المدرسة ، والسرعة التى يندفع بها الناس إلى الموائد فى تمام الثامنة — واليقين بأنك لو تأخرت خمس دقائق بعد ذلك لوجدت أن نصف الإفطار قد التهم ، وما تبقى قد برد وأصبح غير سائغ —

والسرعة التى ينجز بها كل شىء ، وجو عدم الاكتراث الذى يلازم الجماعات فى نهوضهم وذهابهم إلى أعمالهم ، والتبكير فى تناول وجبة العشاء — الساعة الثالثة — مع تكرار نفس الإسراع والضوضاء مرة أخرى . . . . . وتفضيل المظهر الاستعراضى عن النظافة — كل هذا لايعدو أن يكون جزءاً من مساوىء عديدة للحياة فى دور النزلاء . . . . . . »

لا نعجب إذن بعد قراءة هذا الوصف إذا عرفنا أنه وعائلته لم يعتادوا على الإقامة فى دار النزلاء ، حتى بعد عدة سنوات من الإقامة فى أمريكا .

ولكن دار النزلاء أصرت على البقاء طوال عام ١٨٨٠ ، حتى بالنسبة لمتوسطى الحال .

واليوم أتاح الطبق الساخن ومحل الساندويتش على الناصية والكافتيريا — ما لم يكن يتصور فى العصر الرومانتيكى — الانتشار الواسع للدار ذات الغرف الكثيرة ، حيث لاينبغى للساكن على الأقل أن يقتسم القوت مع المالكة .

٤ — الذوق الرومانتيكى :

جاءت الحركة الرومانتيكية إلى أمريكا متأخرة ، ولو أن الطريق كانت معبدة لها فى روايات تشارلس بروكدن براون ، خصوصاً آرثر ميرفن — أو ذكريات عام ١٧٩٣ . امتدت ميول براون إلى العمارة ، وكان يهتم بها اهتمام الهاوى المولع . ذكر أحد أصدقائه « أنه كان ينغمس لمدة أربع ساعات فى الدراسات المعمارية ، يقيس النسب بالفرجار ، ويرسم تصميمات للمعابد اليونانية أو الكاتدرائيات القوطية ، وللأديرة أو الحصون . . . » وسار الأدب مع الطراز الجديد جنباً إلى جنب . فلما بنى ألكسندر جاكسون دافيز — وكان أنبغ معمارى فى الطراز القوطى الحديث — داراً على الطراز الرومانتيكى الناهض فى أطراف

بليتمور ، اختار عميله للدار اسم « جلن ألن » تقدمة منه إلى زوجته وإلى سير والتر سكوت .

وبدأ تعاقب الطرز المعمارية الرومانتيكية الناهضة مع ماذكر من طرز المعابد اليونانية ، وتأكد هذا بكلمة لعضو الكونجرس جوليان فيربلانك أمام أكاديمة الفنون الجميلة بنيويورك فى مايو من عام ١٨٢٤ . أشار مؤلف (بينات الكشف عن الأديان Evidences of Revealed Religion) إلى أنه « يجب أن نعود إلى تلك الأشكال النقية والنسب العلمية للفن الإغريقى الذى نال الإعجاب لعصور طويلة » ثم استنكر « الصورة الرومانية المشرقة فى إفراط عظيم من الزينة التى لامعنى لها ، مكدسة فصائل بعد الأخرى ، وفى كثرة من الأعمدة التى لافائدة منها ، وأنصاف الأعمدة الحقيرة الشأن التى لا لزوم لها ، وفى العديد من النوافذ المزخرفة فى بذخ » . وضرب مثلا هذا الذوق المزيف فى آخر وأغلى بناء عام بأمريكا وهو كابيتول الولايات المتحدة . إن الطراز المختلط الإغريقى الرومانى الذى ظهر فى مستهل القرن سرعان ماترك الطريق للأشكال النقية التى دافع عنها عضو الكونجرس الديموقراطى ، وتمتع الطراز الإغريقى الناهض بانتشار غير مألوف . وكان انعدام تعقيد الباروك الأمريكى . وجلال الطراز الرومانى الأمريكى ، من الأسباب التى سهلت اقتباسه فى أى نوع من المبانى .

أحب صخورك وجداولك
غاباتك وتلالك ذات المعابد

هكذا غنت أمريكا عام ١٨٣٢ مع صمويل فرنسيس سميث . القسيس المعمدانى الذى ألف كلمات « بلدى ، إنه منك » . ازدحمت مدينة سيراكيوز بالهياكل الإغريقية وكذلك البلدان الجديدة الأخرى . ووجد جيمس فينيور كوبر — الذى كان يكره الطراز — وجد لدى عودته من أوروبا أن تلال

هدسون مليئة بهذا الطراز . كانت الأعمدة الإغريقية تلق ظلالها على الطنف كما فى كاتسكيل موتتين هاوس ، وكان الطراز يشاهد بالقرب من ينابيع المياه بفرجينيا وبنسلفانيا الغربية ، إذ كان الأثرياء يتركون المدينة ويلوذون بتلك الأمكنة يرتشفون ماء الربيع ويزوجون بناتهم . وقد يكون أهم مثال معمارى هو كلية جيرارد التى بناها فى فيلادلفيا عام ١٨٣٣ توماس . ى وولتر المعمارى المعروف للطراز الإغريقى الناهض ، والذى أكمل كابيتول واشنطن . وليست العمارة المنزلية أيضاً ثوباً إغريقياً من مين إلى لويزيانا فى الجنوب مؤثرة بصورة على منزل الزراعة بطنفه الضخمة ذات الأعمدة وكرانيشه الإغريقية البسيطة . وعلى الرغم من البساطة والجمود اللذين يبدوان عليه غالباً ، فإنه يمكن على أى حال وصف الطراز بالرومانتيكى . لقد كانت عمارة مثالية ، تعكس على ستار الماضى الخيالى ما لم يتمكن الأولون من الوصول إليه . لم تكن العمارة الإغريقية أبداً فى قسوة الهياكل الخشبية البيضاء التى ما زالت موجودة حتى فيما وراء المسيسبى . وفى أمريكا اختلطت بأفكار عن الحرية نابعة عن الحرب اليونانية للاستقلال التى انكوى العالم بنارها حين ذاك ، واتفقت قسوتها مع الشعور الدينى البروتستانتى لذاك العصر .

اتبعت الڤيلا القوطية الطريق الوعر للإغريقية الناهضة ، وسرعان ما ظهر العديد من الطرز الرومانتيكية ، حتى إن صانع البيرة أو المصرفى الذى كان يرغب فى بناء منزل على بضعة أفدنة قريباً من المدينة ، كان فى مقدره أن يجيز أى تصور معمارى يختاره . ومع قدوم الأسلوب الجديد وجد « رن » مزاحماً من أقوى المزاحمين . أخذ البرج القوطى ذو القمة المدببة مكان البرج من طراز الباروك ، ابتداء من كنيسة ترينتى (١٨٣٩ — ٤٦) فى نيويورك لريتشارد أبجون . وإبجون الإنجليزى ، ذو الخبرة بالطراز القوطى الحديث لأوجستس و . ن . بوجن ، هو الذى أتى بالعمارة الجديدة للكنيسة إلى هذه البلاد ، فى ذات الوقت الذى

كانت فيه تجديدات جماعة أكسفورد والكنيسة العليا تجاهد لكى تحيي بها كنيسة الإبسكوبال . واستلزم نمو الشعائر للإبيسكوباليين وجود عمارة أفخر للكنيسة ، وتطلعت الجماعات إلى الطراز الجديد .

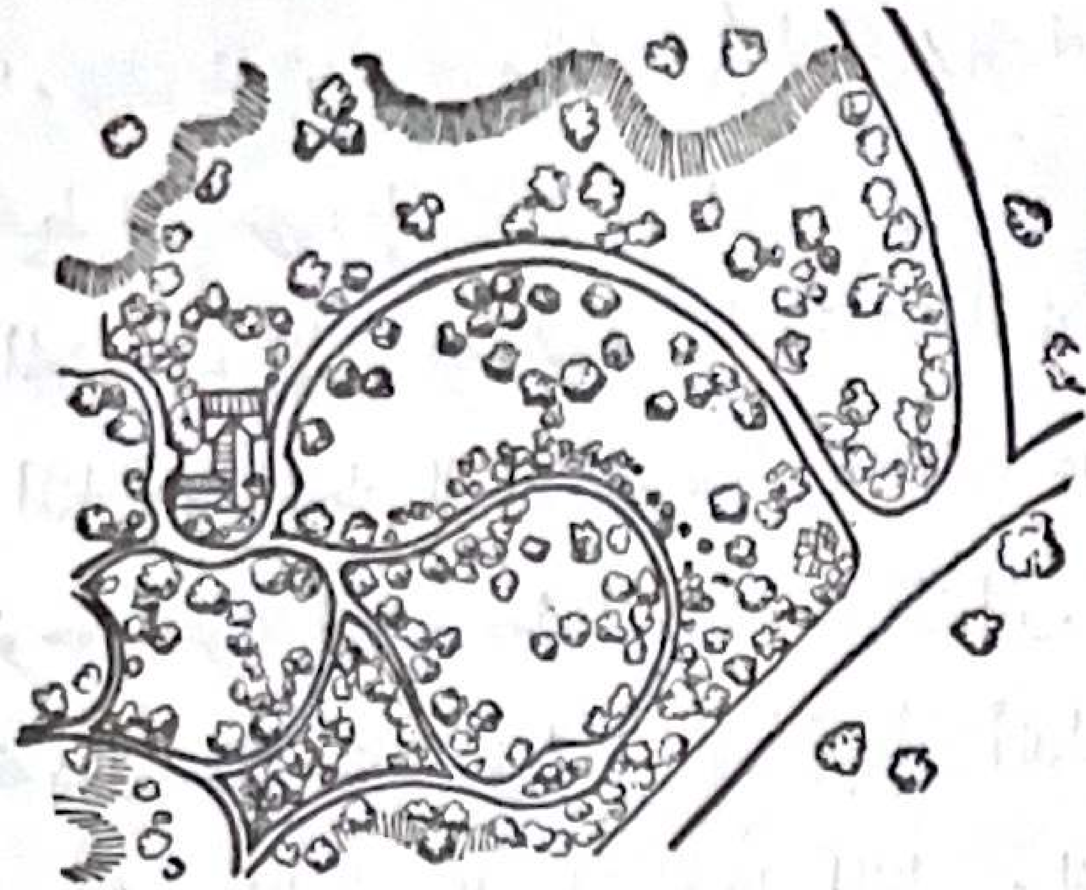
حصر ألكسندر جاكسون دافيز ، كبير المعماريين لذاك العصر الانتعاشى ، بعض الطرز (الكوخ الأمريكى من كتل الخشب ، والبيت ذو الإطار ، ومبانى الكليات ، ودار المقاطعة القوطية ، ومنزل الضاحية الفرنسى ، والكوخ السويسرى ، والطراز اللمباردى الإيطالى ، والتوسكانى عن ڤيلا بليني باوسانيا ، والأتروسكى القديم ، والطراز اليونانى للضواحى ، والطراز الشرقى ، والمراكشى ، وطراز الحصون) وأنشأ دافيز أفضل أعماله فى أبراج قصر بولدنج على نهر الهدسون (تملكه الآن دوقة تاليراند) . ولا شك أن نهر الهدسون هو نهر رمزى بالنسبة للعصر كما هو مركزه الروحى أيضاً . كان الوادى الرومانتيكى موطناً للفنان الرسام توماس كول ولمدرسة نهر الهدسون ، كذلك كان موطناً لواشنطن إيرفنج الذى رمم بيته القوطى « صانى سيد » ، أخيراً جون د . روكفلر الابن . وكانت الرحلة من نيويورك إلى ألبانى بالباخرة شيئاً لابد منه بالنسبة للزائر الأجنبى يستطيع خلالها أن يقارن بينها وبين رحلة على الراين . . .

أحس المنظر بالطراز الجديد ، وكان جفرسون قد صمم جانباً من مونتشيلو بطريق شبه رسمى ، مبيناً تأثير طراز الحديقة « الطبيعى » الإنجليزى . ويتمثل أحد الأشكال المبكرة للمنظر الرومانتيكى فى الجبانة الأمريكية . وجبانة مونت أوبورن بكامبردج بمساشوستس ، التى تشتهر الآن بأنها مثوى مارى بيكر إدى ، مؤسسة العلوم المسيحية ، كانت من تصميم هواة الحدائق فى عام ١٨٣١ . ولأن الأراضى كانت فيما سلف مخصصة للتشجير العلمى ، قامت أول « جبانة ريفية » فى العالم بنوعها الخاص ، وهو تقليد زراعى احتفظ به حتى الآن . وتقوم

«حديقة القبور» The Garden of Graves فى تباين قوى مع جبانات بيرلاشيز فى باريس وسان لويس بنيوأورليز، حيث توحى الهياكل والتوابيت الحجرية بأسلوب معمارى مغاير للجو المورق لمونت أوبورن. وبنيت جبانة جرينوود فى بروكلين وجبانة لوريل هيل بفيلادلفيا بعد ذلك بزمن قصير على نفس الطراز.

والآن ينبغى للرجل الذى أعاد تشكيل المنظر الأمريكى وأسس حديقة الفيلا الإنجليزية بأمريكا أن يظهر للعيان. ففيما يتعلق بالذوق، لم يكن جميع الرسامين والكتاب والمعماريون والعملاء الذين عاشوا فى دورة الهدسون سوى أنصاف آلهة ينتظرون معبود النهر العظيم، أندرو جاكسون داونج. أمضى ابن نيوبورج هذا، الأسمر ذو السحنة الأسبانية والخلق الانطوائى، والعينين العسليتين، أمضى طفولته وشبابه على حافة النهر. وفى مستهل رجولته أسس هو وأخ له بستاناً على أرض قدر لها أن تكون مركزاً لإنماء الفاكهة للشرق. ثم ظهر فى عام ١٨٤١ كتاب نال نجاحاً منقطع النظير بالنسبة لكتاب يحوى كثيراً من المبالغة، وكان يحمل العنوان الجذاب (رسالة نظرية وعملية عن منظر فلاحة البساتين مقتبسة لشمال أمريكا من أجل تحسين المسكن الريفى). وسرعان ما كان الكتاب على كل منضدة فى كل ردهة منزل بالبلاد، وسرعان ما أصبح داونج أعظم ناشر للذوق الرومانتيكى. وكان يرى وهو ينبذ الحديقة القديمة الجامدة أن الفن الجديد يتمثل فى «الجمال الذى يتميز ببساطة ووفرة أشكاله» أو فى التعبير الأمريكى عن الحديقة الطبيعية الإنجليزية. وقد يكون تأثر أيضاً بكتاب إدجار ألان بو (مملكة أرنهيم) أو (منظر الحديقة) التى تتمثل فى جنة من الأدغال والشجيرات والبحيرات يزركش حواشيها الزنبق ومجموعة من العمائر شبه القوطية أو الغريبة تنتصب فى الهواء كما لو كان بفعل معجزة.

هذا وكان داونج يعمد بمجرد تحديد النقاط الرئيسية لقطعة من الأرض



حديقه لفيلا صممها أندرو جاكسون داونج

والكشف عن المناظر إلى غرس الأشجار فى عنايه، إما فرادى أو فى مجموعات لتحديد النقط والمناظر. كانت أشجار الزان وأشجار الشربين والصنوبر وأشجار الخروب والصفصاف من أحب الأشجار إلى نفسه. كان يتساءل «أليس



كوخ من الطراز القوطى الحديث، طراز نهر الهدسون ذى الإطار لأندرو جاكسون داونج.

من أحب ما تراه العين ، منظر شجرة ما تقوم حيث لا يمسها شيء وهى تنمو وتترعرع فى جميع الاتجاهات ، مكونة صورة من أجمل ما تقع عليه العين نسباً وتناسقاً . . ؟ ، وكان يقارن ما تخلفه الطبيعة بأبولو الإغريقى نفسه . ثم يقول ، أما بالنسبة لمحيط الأراضى ، فإن كل بستانى يعرف جيداً أنه ليس يبهج النظر مثل السطح المعشوشب تتماوج فية الأعشاب الرقيقة مختلطة تدريجياً ببعضها . ، كان المرج المتماوج والأشجار الضخمة المنفصلة هما علامتا داوننج . لقد هيأ الأرض المفتوحة المألوفة الآن وجعل لها شكلا ، وكان المرء غالباً ما يجد فى مركز حدائقه دون استثناء منزلا قوطياً أو توسكانيا أو أندلسياً من تصميم دافيز يضفى مزيداً من اللمسات الرومانتيكية على المنظر . ولقد دعى لتصميم أراضى مؤسسة سميثون بواشنطن (التى بناها جيمس رنويك الابن فيما بين عامى ١٨٤٧ ، ١٨٥٥) وهى أهم بناء عام من الطراز القوطى بأمريكا . ويشاهد حتى الآن إناء صخرى كبير الحجم صنع تخليداً لذكراه بالممر العام بواشنطن .

ومع إنشاءات داوننج من الأشجار المنزرعة والمرج الذى يدخل فى تكوين المنظر ، واختراعه لآلة قص الحشائش التى أخذت مكان المنجل فى عام ١٨٥٠ تأسس نموذج حديقة الضاحية المفتوحة بدون سياج . والواقع أن داوننج عمل على التعبير عن أسلوب الحياة الأمريكى عن طريق المنزل المتواضع وحديقته ، فلقد وجد مع شيء قليل من الاستثناء ، أن مؤسساتنا ، وعاداتنا ، وفوق كل شيء التوزيع المستمر لثرواتنا ، وفى إيجاز كل ما عدا ذلك ، قد علمنا فى وضوح جنون تحسين العقار ذى الأراضى الواسعة ، وأدرك أن فى هذا كله يتركز السبب فى ، أن سياسة الحياة فى أمريكا تتمثل فى الرغبات المتواضعة ، والمؤسسة المتواضعة والمصروفات المتواضعة . ،

عَبَّد الذوق الرومانتيكى ، بسحره وبساطته ، الطريق لمزيد من الغرور



منظر ميدان جاكسون بنيو أورلينز ، ميدان السلاح سابقا ، وفى خلفيته كاتدرائية سان لويس

الآخرق وهو طابع عصر الجنرال جرانت ـ ولظهور المعمارى الأمريكى ذى التدريب الأوروبى . ولكن قبل الانتصار الذى أحرزته السكك الحديدية ، كانت الحياة الحضرية رغم سعتها ما زالت بسيطة ، ولعله فى نيوأورلينز فقط ، ملتق السفن العظيم فى الجنوب التى كانت أكثر مدن أمريكا انتعاشاً فى أيام عام ١٨٣٠ ، أن صمم الجمهور من أنصاف الفرنسيين وأنصاف الأمريكيين على اعتبار البذخ جزءاً من الحياة . وفى كريسنت سيتى ، كانت دار الأوبرا الفرنسية والمسارح سواء منها الفرنسية أو الأمريكية ، وفندق سان لويس ، والشارع ذو الأقواس الذى صمم خصيصاً ، ليقود إليه ، والمنازل ذات الجالون بالحى الفرنسى ، والمنازل من الطراز اليونانى الناهض فى منطقة الحدائق الجميلة ، كانت كل هذه خير شاهد على العصر الذى تكونت فيه أهم ملامح تقاليدنا . وفى نهاية العصر عادت إحدى بنات نيوأورلينز إلى مدينتها الأصلية ، بعد زيجة فاشلة وسنين طويلة بأوربا ، وأسبغت على ميدان السلاح شكله الحالى . فقد صممت البارونة بونتالبا ومهندسها ، هنرى هاورد ، فى عام ١٨٤٨ « الشقق » الآجرية التى تحمل اسمها ، ثم حولت فيما بعد مرعى الأغنام بوسط الميدان إلى حديقة جميلة ، كما

ساهمت فى تمثال للجنرال أندرو جاكسون ممتطيا جواده ، وهو يضفى الأناقة على وسط الميدان . ولا زال الميدان تشرف عليه أبراج كاتدرائية سان لويس الثلاثة تحيط بها الكابيلدو Cabildo والبرسبتير Presbytêre أهم ميدان معمارى فى الويات المتحدة . وبما أن معظم أبنيته تمتلكها الآن حكومة ولاية لويزيانا ، فسيبقى إلى الأبد متعة للأجيال القادمة .



الإناء التذكارى لتخليد ذكرى أندرو جاكسون داونتج — صممه شريكه كالفرت فوكس — وهو ملقى فى إهمال معترضا ممر مؤسسة سميشسون بواشنطن .

الجزء الرابع

عصر البخار والحديد

١٨٥٠ – ١٨٨٠

كان أهم حدث فى هذا العصر هو الحرب الأهلية ، التى تركت علامتها على الأمة لأكثر من جيل . إن الجزء الجنوبى من البلاد بأكمله قد عانى من التدهور المالى ، وذبلت أهم مدنه شهرة ، وهى تشارلستون ، وريتشموند ، وسفانا ونيو أورلينز - وعندما كتب المصرفى النيويوركى أوجست بلمونت عام ١٨٦١ إلى فرع لندن لبنك روتشيلد - كان حينئذ أقوى مؤسسة فى العالم - ينبئه بأن الغلبة سوف تكون لا محالة للشمال ، كان قد بنى حجته على تعداد الاتحاد العظيم وتركزه فى المدن الكبرى وثروة صناعاته ومراكزه . وهناك مظهر آخر هو قوة الغرب الأوسط التى أعطت الشمال القادة من الجنرالات فى أشخاص أوليس س . جرانت ، ووليم شيرمان . وشغل المواطنون الجدد من أوهيو وإنديانا ، وميتشيجان وإيلينوى ووسكنسين رتب فرق الغرب الأوسط المشهورة ، مؤكدين تماسك الولايات فيما وراء الأاليجينيز . ويعلو على الجميع شخص أبراهام لنكولن ، ابن الرواد ، وقد أتى إلى البيت الأبيض من كوخ من كتل الخشب بجنوب إيلينوى .

وعاقت الحرب التوسع الصناعى فى بعض الأوساط ، وكذلك فى وسط بناء السفن . ولكنها كانت حافزاً قوياً بالنسبة للبعض الآخر خصوصاً بالنسبة لقطارات السكة الحديدية والآلات الزراعية . وارتفعت تكاليف الصناعة فى شيكاغو عندما أعدت المدينة الحصادين اللازمين للحلول محل العمال الزراعيين الذين ذهبوا إلى الحرب . وانضمت إلى حركة التوسع صناعات جديدة مثل إنتاج البترول وتكريره . حتى إنشاء السكك الحديدية لم يتوقف تماماً . فعندما انتهت المعركة التى كان يقتل فيها الأخ أخاه فى عام ١٨٦٥ ، كانت إنشاءات السكك الحديدية على استعداد لاستيعاب المحاربين العائدين وأمواج المهاجرين

الجدد . وما وافت سنة ١٨٦٩ ، حتى انفسحت القارة واتصلت سان فرنسسكو بالاتحاد عن طريق قضبان السكك الحديدية . . .

إن الطرق الحديدية هى رمز عصر البخار والحديد . لقد تغير المقياس ، فأخذت تبدو لأعيننا مدينة تزداد اتساعاً ، وأكثر مناطقها ازدحاماً ما كان فى الوسط ، حيث توجد كتلة الأعمال الجديدة بواجهتها من الحديد المطروق والارتفاع العام فى بنيانها رغم تواضعه . إن نهايات خطوط السكك الحديدية المبكرة تتيح إنشاء مداخل جديدة للمدينة ، وتبدأ منازل حديثى الثراء من وراء السكك الحديدية ، والصناعة والتجارة تنتظمان على طول الشوارع الكبرى بالمناطق السكنية ، كما تبدأ مستعمرات المقايضين النادرة تتجمع هنا وهناك بجوار محطات السكك الحديديه بالقرب من المدن الكبرى ،وتسابق المدينة الزمن ، ويصور "عصر" المال الكومودور كورنيليوس فاندربلت ، الذى بدأ بالتجارة فى السفن ، ثم أصبح من أقطاب السكك الحديدية . ولم يكن أصحاب الملايين قد بدأوا بعد فى بناء القصور ، ويسير الجاه على خطى أنماط الإمبراطورية الفرنسية الثانية ، خلف واجهات من الصخر الأسمر ، وتحت أسقف جمالونية . وتعكس الأبنية المدنية أيضاً الذوق الفرنسى . وظهرت العمارات بالمعنى الحديث للكلمة بكثرة ، وازداد معها عدد الأحياء المكتظة بالمساكن الحقيرة الشأن .

وليست مدينة العصر البهيج هى أجمل المدن ، فتفصيلها وزخرفها أكثر خشونة ، تمحو كثيراً من المرئيات البهيجة من طرقات العهد الماضى وعمارة الفيلات . فيها ثقل عام بالمبانى القائمة التى اتخذت ماكان داكناً من مواد البناء الجديد من الحجر البنى والآجر المضغوط لا زالت نيورك هى أكبر المدن ، ولكن فيلادلفيا وشيكاغو تمثلان العصر بسبب نشاط السكك الحديدية فى تغيير نماذجها الأولى .

(١) السكك الحديدية :

فى قصة إدجار آلان بو (مملكة أرنهايم) يلهث حصان حديدى . قال الرسام توماس كول وهو يتحدث عن نهر الهدسون فى كتاب أرسله إلى عميل له هو التاجر النيويوركى لومان ريد ، إنهم يقطعون جميع الأشجار بالوادى الجميل . . الأشجار التى طالما نظرت إليها بعين الحب والإعجاب فاشترك معى فى صب اللعنة على النفعيين مؤلهى الدولار ، وعلى الضفة الشرقية من نهر داونتج كان الرأسماليون من أصحاب المشروعات يحثون على إنشاء السكك الحديدية فيما بين نيويورك وألبانى . وفى جميع الأنحاء كانت الآلة الجديدة التى ظهرت فى تواضع بادئ الأمر تستحوذ على أجمل المواقع ، مسئولية على أراضى كانت قد استبقيت مدة لتكون حدائق للنزهة ، لتحولها إلى أحواش بضائع . حتى نمر لانفان بواشنطن لم يسلم من أن يظهر على حدوده مخزن وطرق حوالى عام ١٨٧٠ .

وبالقرب من أنهار أخرى لوحت السكك الحديدية بنفس التهديدات . وقد وصلت سكة حديد بنسلفانيا إلى بتسبورج عام ١٨٥٢ ، كما وصلت فى نفس العام سكة حديد بلتيمور وأوهيو إلى هويلنج بغرب فرجينيا ، مما أدى إلى نتائج مدمرة بالنسبة لحركة مرور النهر . كتب زائر لبتسبرج بعد مرور عام على هذا التاريخ ، (فى كل يوم يبدأ أحدهم فى هدم منزل قديم ويبنى غيره بواجهة حديدية . . . ومع ذلك فإن مرفقاً واحداً قد توقف . . . إنه البواخر . التهمت النيران عشر بواخر وبقى حطامها بالمرفأ قرابة شهر ، مما يدل على مقدار قلة الحاجة إلى المكان بالمرفأ .

السكك الحديدية الآن فى كل مكان من شرق أمريكا ، وفى أجزاء من الغرب الأوسط . وفى عام ١٨٥٧ استطاع إبراهام لنكولن ، وكان قد حصل على معاش

ثابت من عمله كحام للسكة الحديدية ، أن يصل إلى أى جزء من المنطقة الثامنة بإيلينوى ، من سبرنجفليد عن طريق السكة الحديدية ، وهو طريق كان قد قطعه فيما مضى على ظهر جواد . أما فى أوربا حيث قابل الاختراع مدينة قديمة ، فكان عليه أن يخطو فى حذر ، ونجا الكثير من مظاهر المدينة الأوربية ، أما فى أمريكا فقد تجاهلت السكة الحديدية المنظر وأخذت ما يحلو لها . ولكى نقدر قوة السكة الحديدية فى تلك الأيام ما علينا إلا أن ننظر إلى الدور المسيطر الذى يقوم به الطريق السفرى فى يومنا هذا ، إذا اضطلع الاثنان بالسيطرة على المظهر الحضرى . ولا يعدل سيطرة منشىء السكك الحديدية فى عام ١٨٥٠ ، ولمدة جيل أو نحوه ، سوى سيطرة مهندس الطرق السفرية ليومنا هذا .

لقد نالت الجبانات والمنازل القديمة ، والحدائق والمواقع المائية من السكة الحديدية مثلما ينال منها الطريق المجهزة للسرعة الهائلة . وتدفق فحم الأنثراسيت عن طريق فيلادلفيا إلى موانى نهر ديلاوير ، وعلى خطوط سكة حديد ريندج ، وحولت الطرق الحديدية مدينة « بن » إلى لغز ، مكرهة اتساعها على الاتجاه شمالا بدلا من الاتجاه المعقول إلى الجنوب أو إلى الغرب ، وتحولت شيكاغو بين يوم وليلة من بلدة على قناة إلى مدينة على خط حديدى، تتطلع إلى المكان الأول بالغرب . ولم تمض سوى ثمانية أعوام منذ دخل حدودها أول قطار حتى غدت مدينة (البصل البرى) City of the Wild Onion فى عام ١٨٥٦ مركزاً لعشرة خطوط رئيسية ، ولا زالت السكة الحديدية تسيطر على المنظر الطبيعى هناك،على الرغم من توحيد بعض نهايات الخطوط، وفى نيويورك وجدت كنيسة ترينتى أن من الصالح بيع ما تبقى من حديقة سان جون إلى الكومودور فاندربلت لتحويلها إلى حوش للبضائع ، وكان ذلك فى عام ١٨٦٦ . وحدث فى هذا الوقت أن سلمت نيويورك ميناءها وأنهارها إلى السكة الحديدية باعتبارها خط حزام هائلا ، وتحسنت الصنادل والرفاصات القاطرة . وفى عام ١٨٦٦ اخترعت النقالة

العائمة لتنقل قطارات بأكملها من عنابر نيوجرسى إلى الموانى والأحواش بمانهاتان وبروكلين ، ولم يكن هناك مفر من أن تقود السكة الحديدية أقدار مدننا العظمى ، تماماً كما كانت تسيطر على الريف . وجنباً إلى جنب مع النصر الذى أحرزته السكة الحديدية كان استعمال الآلة البخارية الثابتة على أوسع نطاق . وحتى عام ١٨٥٠ كان المصدر الرئيسى للقوى الصناعية هو الماء ، وبعد ١٨٥٠ كان البخار،وكانت القوة البخارية تلتهم الفحم التهاماً.أما بلدة الفحم والبخار الصناعية القذرة فكانت جزءاً من هذا العصر تماماً ، كما كانت البلدة الصناعية النظيفة ذات القوى الناتجة عن الماء بالنسبة للعصر الذى مضى . كانت ريبيكا هاردنج دافيز ، أم الصحفى المشهور ريتشارد هاردنج دافيز ، من أوليات الروائيات الأمريكيات فى وصف الظروف الصناعية فى رواياتها . وتصويرها لمدينة هويلنج بغرب فرجينيا حتى أوهيو من بتسبورج قبل الحرب الأهلية ، قلما يدعونا إلى الإعجاب بحالة البلاد ، إذ قالت « إن المظهر الطبيعى لهذا البلد هو مظهر الدخان الذى يلتف فى كآبة خارجاً من المداخن الهائلة لمصانع الحديد ، ويستقر فى برك لزجة سوداء بالشوارع الموحلة ، والدخان بالمرافىء ، ودخان السفن الصغيرة على النهر الأصفر معلق كغلاف من الهباب الملىء بالشحم على واجهات المنازل ، وعلى شجرتى الحور الذابلتين ، وعلى وجوه المارة . والقطار الطويل من البغال تجر كتلا من الحديد خلال الشارع الضيق تفوح من جوانبها الأبخرة الخبيثة . . . » ثم تستأنف رواية قصة فاجعة عن حدادى ويلز ، وعمال مناجم كورنوول والعمال الأيرلنديين وكلهم يعملون حيث « توجد مصانع سحب الحديد التى لا تعدو أن تكون سقيفة أشبه بالخيمة الكبيرة تغطى أفدنة من الأرض ، مفتوحة من جميع الجوانب،تضم تحتها مدينة من النار » هذه كانت حال البلدة الصناعية عام ١٨٥٠ .

إن ما ينطبق على هويلنج ينطبق تمام الانطباق على سانت إيتين بفرنسا ، وليبيج ببلجيكا ، وإسين بألمانيا وبرمنجهام بانجلترا . وكانت إنشاءات السكك

الحديدية تصوغ جميع هذه المدن . هيأت الأسواق لإنتاج مصانع الحديد ، وحملت فحم الكوك وخام الحديد إلى أفران الصهر . وفى أمريكا بصفة خاصة حررت المصنع من الاعتماد على القوى المائية ، وذلك باستيراد الفحم لإنتاج البخار . يستطع الأمريكيون أن يستمدوا بعض العزاء من واقع الحال ، إن المدينة الأوروبية التى أنشئت حديثاً لم تختلف إلا قليلا عن مدينتهم — كانت السكك الحديدية هى المعدة الهائلة التى ينصب فيها إنتاج مصانع الحديد والآلات . وعندما أصبحت شيكاغو مركزاً للسكك الحديدية فى الغرب ، كانت صناعتها الرئيسية تنحصر فى مصانع العربات وورش إصلاحها ومصانع القضبان الحديدية ومصانع الغلايات . وسارت كليفلاند وتوليدو شوطاً بعيداً فى نفس الطريق ، أما ستوبنفيل بأوهايو فبقيت بلدة متفتحة من بلدان النهر حتى إنشاء أول مصانع للحديد فى عام ١٨٥٦ ، وعندئذ فتح الباب لدخول الصناعة . ولقد قامت ألتونا ببنسلفانيا لتكون سوقاً لمضاربات المساكن فى عام ١٨٤٩ ، ولكن سرعان ما تحولت إلى بلدة صناعية عندما بلغتها السكك الحديدية بعد ذلك بعامين . وفى عام ١٨٥٤ اختارت سكة حديد بنسلفانيا « ألتونا » موقعاً لورشها . ومن الوادى الذى كان يتسم بالهدوء يوماً من الأيام ، علت الضوضاء المتنافرة من الصفارات والأجراس واصطفاق عربات البضاعة وجميع الصرير والضوضاء الهستيرية للعصر الجديد ، إننا نميل إلى اعتبار الحرب الأهلية خطاً فاصلا بين أمريكا الشاعرية الريفية وأمريكا الحضرية القائمة ، ولكن الواقع أن هذه الأزمة الهائلة لم تؤد إلا إلى الإسراع بموكب الصناعة الذى كانت بدايته قد جاءت بالفعل .

٢ — بلدان جديدة بالمروج والجبال

مضت المضاربة تقتفى أثر الحدود التى انتقلت الآن أبعد ثم أبعد إلى الغرب بمساعدة السكك الحديدية ، وأصبح ما كان أوليات فى عهد الرئيس جاكسون ، دستوراً

مدروساً ، وكل من كانت له مطالب قبل الحدود كان يفكر بعقلية المدينة الرائجة . ولقد ترك لنا « فريديريك لو أولمستد » ، مهندس المناظر ، وصفاً « للتطورات » التى حدثت على طول المسيسبى عام ١٨٥٠ . فلقد لاحظ أثناء سفره بباخرة عابرة أن (القرى التى تحمل الأسماء الكبيرة على الخريطة ليست سوى كوخ أو اثنين . . . كنت قد سمعت بعض البيانات المضحكة عن كايرو (جنة عدن لتشارلس ديكنز فى قصته مارتن تشوزلوت) . . . على مدخل أوهيو ، ولقد صدمتنى مهزلة رؤيتها بتفاصيلها الوقورة فهى تتألف من منزل يميل إلى جميع الجهات ، غير واثق من المكان الأكثر ليونة ليقع عليه ، وكوخ تعلوه لافتة تشير إلى أنه مكتب التلغراف ، وأربع سفن مسطحة مكتوب عليها عبارات « فندق » و « ابن » إلى آخر هذه العبارات ، وأربع عوامات لنفس الغرض ومكتب البريد ، هذا وكانت جميع الأسماء تسبقها كلمة « مدينة » اعتباراً لما ينتظر من قدوم السكان أو على الأقل قليل من المشتغلين السذج العائدين من الشرق . وعندما جاء عضو مجلس الشيوخ إنجلز — وهو من أهالى كنساس — لأول مرة من ماساشوستس إلى الغرب فى نفس الفترة أمضى بعض الوقت بسمنر من أراضى كنساس ، وشكا من المنازل الناقصة البناء ، وانعدام النظام والترتيب ، والوحل الموجود دائماً . لقد سقطت هذه البلدة التى عمها الرواج . والواقع أنه لم ينج من الأربعة عشر بلدة التى أنشئت بكنساس على ضفاف الميسورى سوى ثلاثة بلدان فى عام ١٨٦٧ ، فعندما يشكو الناس اليوم من قبح كثير من بلدان الغرب الأوسط ، فإن فى ذلك فائدة لنتذكر ظروف تأسيسها ، ولكى نسأل أنفسنا لم نحن من السذاجة بحيث نتوقع الكثير من ذلك .

ومع مدن المضاربة بالمروج والمدن الصناعية الجديدة ، ظهرت مدن التعدين التى أخذت تتلوى مرتفعة على سطح الأرض فى الشمال والغرب الأقصى . ولقد رأينا طابعاً منها ينتمى إلى عام ١٨٣٠ فى منطقة فحم الأنثراسيت ببنسلفانيا .

فإذا اتخذنا لنا طريقاً خلال إيلينوى المنغمسة نوعاً فى نفس الفساد ،وجدنا أنفسنا فى بلدة مناجم الرصاص « جالينا » على ضفة المسيسبى . كان النحاس هو الحدث التالى، فقد اكتشف فى شبه جزيرة «كيوينو» بشمال متشجيان عام ١٨٤٥ ،وحفرت أول حفرة بالقرب من كوبر هاربور ، وسرعان مابنت الشركات (وقد اندمجت بعدئذ فى شركة كالوميت وهيكلا للمناجم التى أسسها رجال أعمال بوسطن وكانت مصدراً لكثير من ثروات بوسطن الهائلة) بلدتى هانكوك وهوتون وكان قد مضى وقت طويل منذ هجر النجاح شبه الجزيرة المجروح ، ولكن البحث عن النحاس استمر بعمق ميل تحت سطح الأرض .

وبطبيعة الحال نسى كل ذلك عندما علت الصرخة من أجل الذهب فى ساترز فورت بكاليفورنيا عام ١٨٤٨ . وكان الاندفاع الجنونى يتخذ طريقة ، ولم يتوقف حتى تم استكشاف سطح البلاد الغربى جرياً وراء ثرواته المدفونة. وفى بادىء الأمر قامت مدن متواضعة من الخيام حول حفريات البحث عن الخام ، ثم بنيت أكواخ خشبية وأخيراً أبنية من الألواح الخشبية ، تضفى عليها الواجهة الزائفة الباقية حتى الآن مظهر الاستقرار والارتفاع . وترك مارك توين الذى عمل صحفياً فى بلدان نيفادا ، حيث كانت مناجم الفضة خلال الحرب الأهلية ، وصفاً للحياة التقليدية القصيرة للبلدة :

« لسوف تجد مشقة فى تصديق أنه كانت هناك فى يوم من الأيام مدينة بالغة الازدهار يسكنها ألفان أو ثلاثة آلاف نسمة ، لها جريدة وفرقة مطافى ، وفرقة موسيقى نحاسية ، ومتطوعون من الميليشيا ، وبنك وفنادق ومواكب صاخبة ، وخطب رنانة فى أعياد ٤ يوليو ، ومقامرون ملتفون فى دخان التبغ ، ورجال ملحدون ذوو لحى مشوشة من جميع الجنسيات والألوان ، أمام موائد عليها أكوام من التبر . . . والشوارع مكتظة والتجارة رابحة ـ والأراضى البلدية

بأربعمائة دولار للقدم المربع . عمل ، موسيقى ، ورقص وسباب ، وعراك ، وإطلاق الرصاص وطعن بالمدى . . . . جميع خصائص ومرافق المدينة الفتية المقبلة على الانتعاش والنجاح ، والآن لاشىء من هذا كله سوى العزلة الموحشة الكئيبة . . . . »

لم يحدث فى أى مكان آخر ، فى العصر الحديث ، أن ماتت المدن هكذا واختفت كما حدث فى منطقة بلدان المناجم بكاليفورنيا .

من بلدان مناجم النحاس إلى بلدان مناجم الفضة ، من بليسرفيل بكاليفورنيا إلى جيروم بأريزونا التى سميت باسم ليونارد جيروم ، الجد الأمريكى لسير ونستون تشرشل ، تتكرر نفس حوادث القصة مرة بعد الأخرى ، لم يبق من هذه المدن سوى القليل الذى يشبه شبح المدينة ، ومن بين تلك البلدان التى ما زالت منتعشة نذكر ليد ، وساوث داكوتا ، موطن شركة هومزتيك للمناجم التى ساندت لزمن طويل المستهتر وليم راندولف هيرست ومطبعته ، وبلدة بوت Butte بمونتانا السيئة السمعة ، وهى موطن شركة أناكوندا للنحاس .

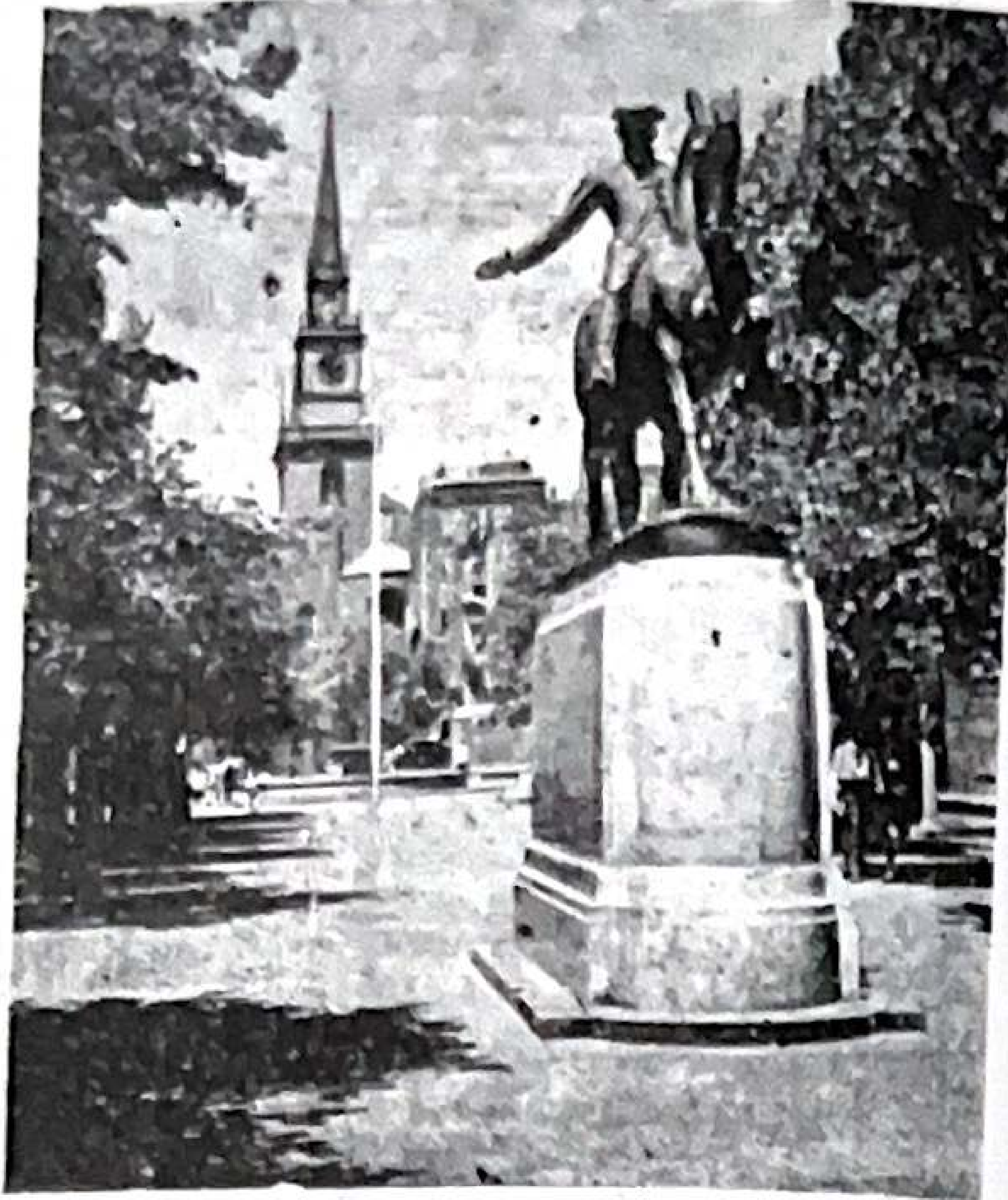
بدأت بوت كمدينة خيام عام ١٨٦٤ عندما اكتشف الذهب ، وبعد عشر سنوات جاءت فورة الفضة بأكواخها ومبانيها ذات الإطارات ، ومعامل التكرير تنفث الدخان الأسود ، ولم تختف الفضة إلا فى عام ١٨٨٣ لتأخذ مكانها النحاس ، وبدأت أيام بوت العظيمة ، كما بدأ خوض المعركة القاتلة للسيطرة على أغنى تل فى العالم ، بين مليونيرى النحاس ، وليم آ . كلارك ، وماركوس ديلى ، و ف . أوجستوس هينز ، ولم يبن هؤلاء المتعاركون هنا أية قصور ، بل وقع اختيارهم على نيويورك وواشنطن لحياتهم الاجتماعية . وبالعكس قرروا أن المدينة التى كانت تنتج ثلث النحاس بالبلاد ، ينبغى أن تولد عجوزاً قبيحة ، ولقد بقيت كذلك حتى عهد قريب . كان المنظر عام ١٩٣٠ عبارة عن « حفر المناجم الجرداء

الرمادية تحوطها مجموعات الأكواخ الذابلة والتركيبات الهائلة من الخشب والصلب للمناجم ، والأكوام يتصاعد منها الدخان ، والطرق المجنونة القذرة فى غير نظام ، والممرات الجانبية المتفتتة الصاعدة خلال التل إلى المناجم ، والمبانى الهزيلة العديمة الطلاء المتورمة المائلة ، من الآجر والإطارات الخشبية ؛ ولم تحصل المدينة على المجارى والطرق المعبدة والحدائق العامة ، والملاعب وقاعات الفن ، إلا بعد حركة النظام الجديد . ومنذ ذلك الحين اطردت الأعمال نحو التحسن ، وبدأت بوت أخيراً تترك وراءها عهد البخار والحديد .

لقد نسينا الناحية العابسة لمدينة بوت ونحن ننصرف إلى مجتمعات التعدين الضائعة ، التى كانت منتعشة فى يوم من الأيام ، والتى نبذت الآن . إننا ننجذب إليها كما ننجذب إلى بعض بلدان السوق ، لا لفرط جمالها ولكن لأنها تعيد ذكرى حقبة من الزمن مضت . وفى مدينة فرجينيا بنيفادا ، واسبن بكولورادو ، وتومستون بأريزونا وبليسرفيل بكاليفورنيا وغيرها ، كان عمال المناجم الذين غالباً ماينفقون ببذخ ، يبنون لمتعة الجميع «دور الأوبرا» التى لفحها الزمن (كانت تدعى تجاوزاً المسارح الصغيرة) ، كما بنوا الصالات والفنادق التى ما زالت باقية كالجبال المعمر . وحتى جالينا بقيت دون أن تمس حتى اليوم الذى اتخذها فيه أوليس جرانت مقاماً له قبل استدعائه للخدمة العسكرية ، أما جيروم التى تتفتت اليوم إلى جانب تل أريزونا ، فهى تغرى راكب الموتوسيكل بلافتة كتب عليها « زوروا جيروم ، أكبر وأحدث مدينة أشباح بأمريكا » .

بينما كانت مراكز التعدين فى الغرب تدخل أكثر أطوارها فورة ، حدثت فورة أخرى بغرب بنسلفانيا ، إذ تم حفر أول بئر للبترول بتيتوسفيل عام ١٨٥٩ . وهنا كما فى مروج كنساس ، أقيمت البيوت ذات الإطارات بالشوارع الموحلة لإيواء الغزاة من الباحثين . لم تكن تيتوسفيل سوى واحدة من عدة بلدان

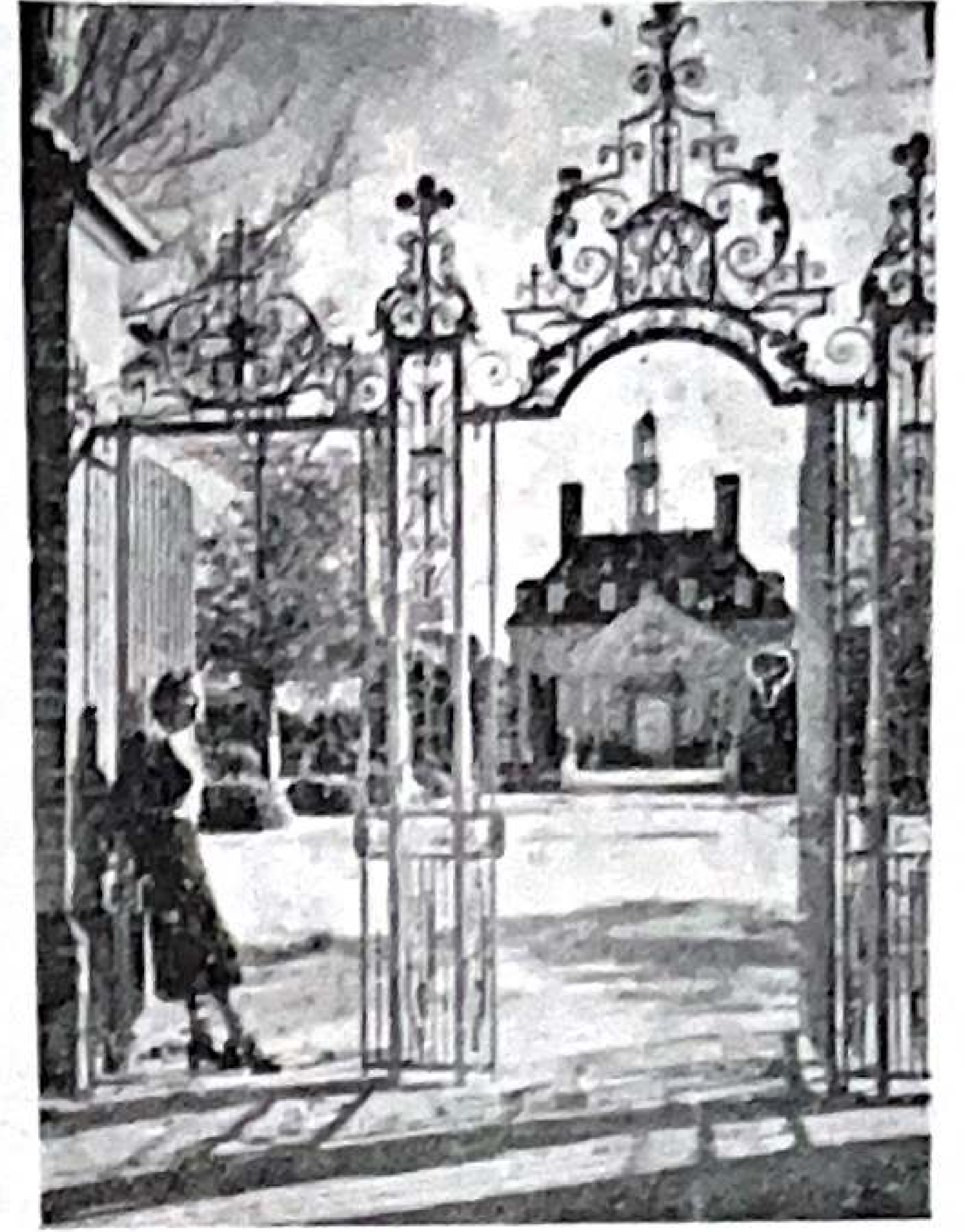
النموذج الاستعمارى



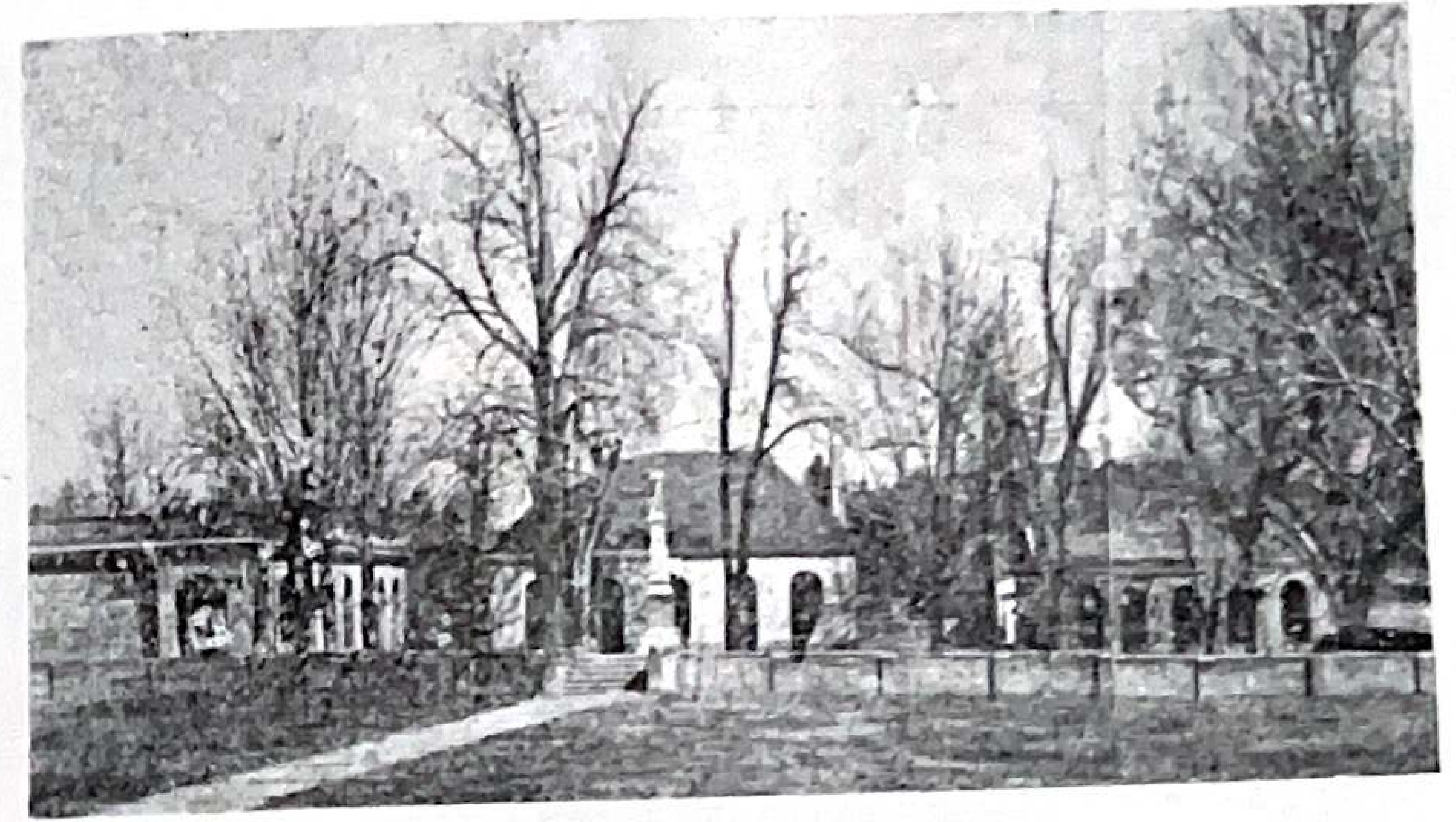
ممر بول ريفرى ببوسطن . مول « الاعتماد الأبيض » تخطيط هذه المساحة المفتوحة حسب توصية العمدة جيمس م . كورلى . صممه معمارى المناظر الطبيعية ومخطط المدن آرثر أ . شوركليف بمساعدة المعمارى هنرى ر . شيبلى . نحت تمثال بول ريفرى سايروس دالين . وتقوم كنيسة أولد نورث (الإبيسكوبالية) التى كانت أول كنيسة لها برج بأمريكا ، فى خلفية المنظر .



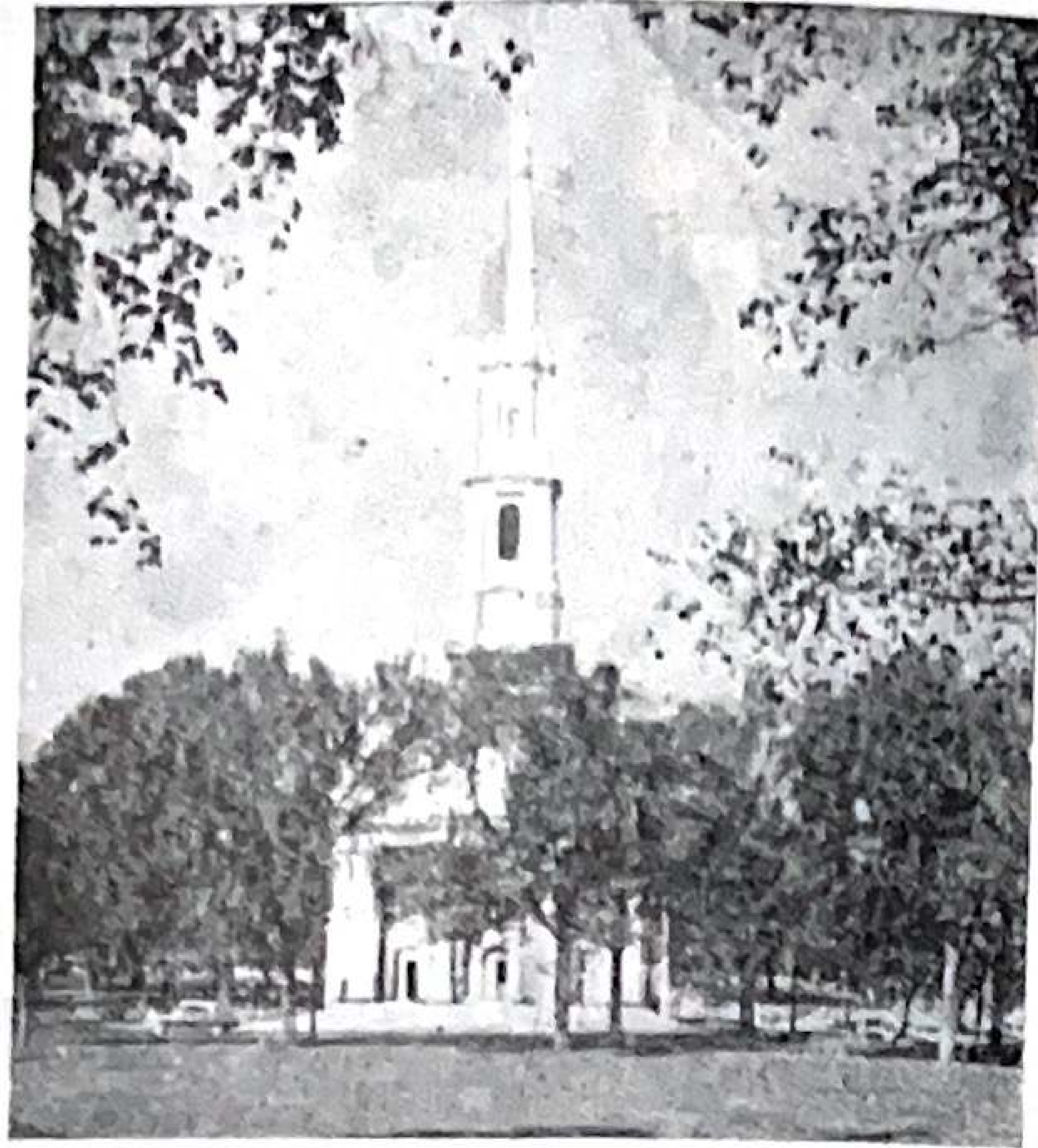
منزل أعيد بناؤه (حوالى ١٦٧٦) كان ذات يوم مقراً لبول ريفرى ، بنورث سكوير (الميدان الشمالى) ببوسطن . قام بترميم بيت صانع الفضة والحفار والمواطن هذا فى ١٩٢٠ ، المعمارى جوزيف أ . شاندلر . إنه صدى طراز العصور الوسطى يتردد على جنبات العمارة الأمريكية .



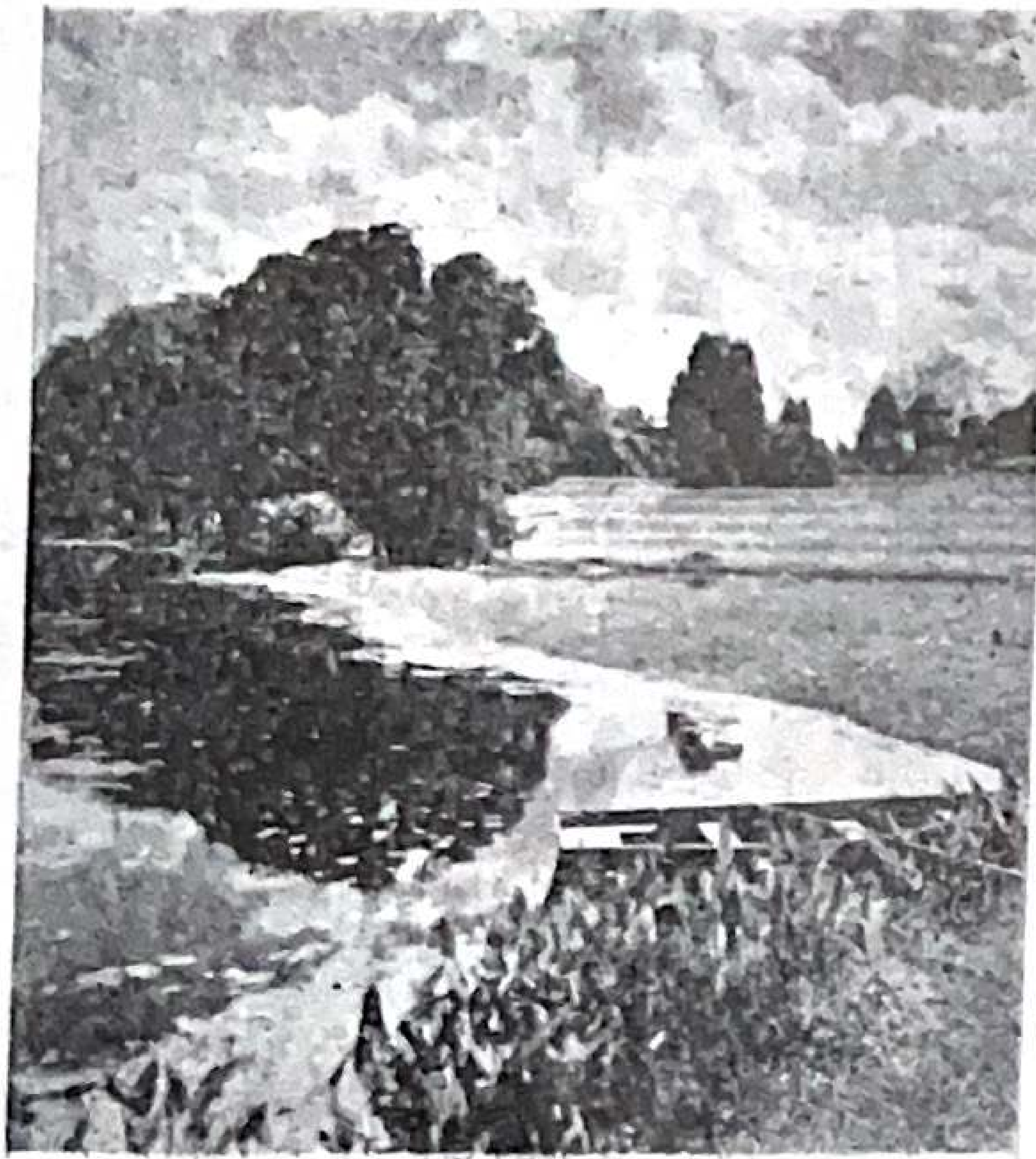
منظر لقصر الحاكم بوليمزبورج وهى البلدة التى أعيد إنشاؤها ، كما يشاهد من خلال بوابات بديعة من الحديد الزهر . من المرجح أنه كان أفخر مقر بالمستعمرات . بدأ العمل فى الجزء الرئيسى فى عام ١٧٠٦ وانتهى عام ١٧٢٠ . والجناح الذى يضم قاعة الرقص ، من أعمال ريتشارد .



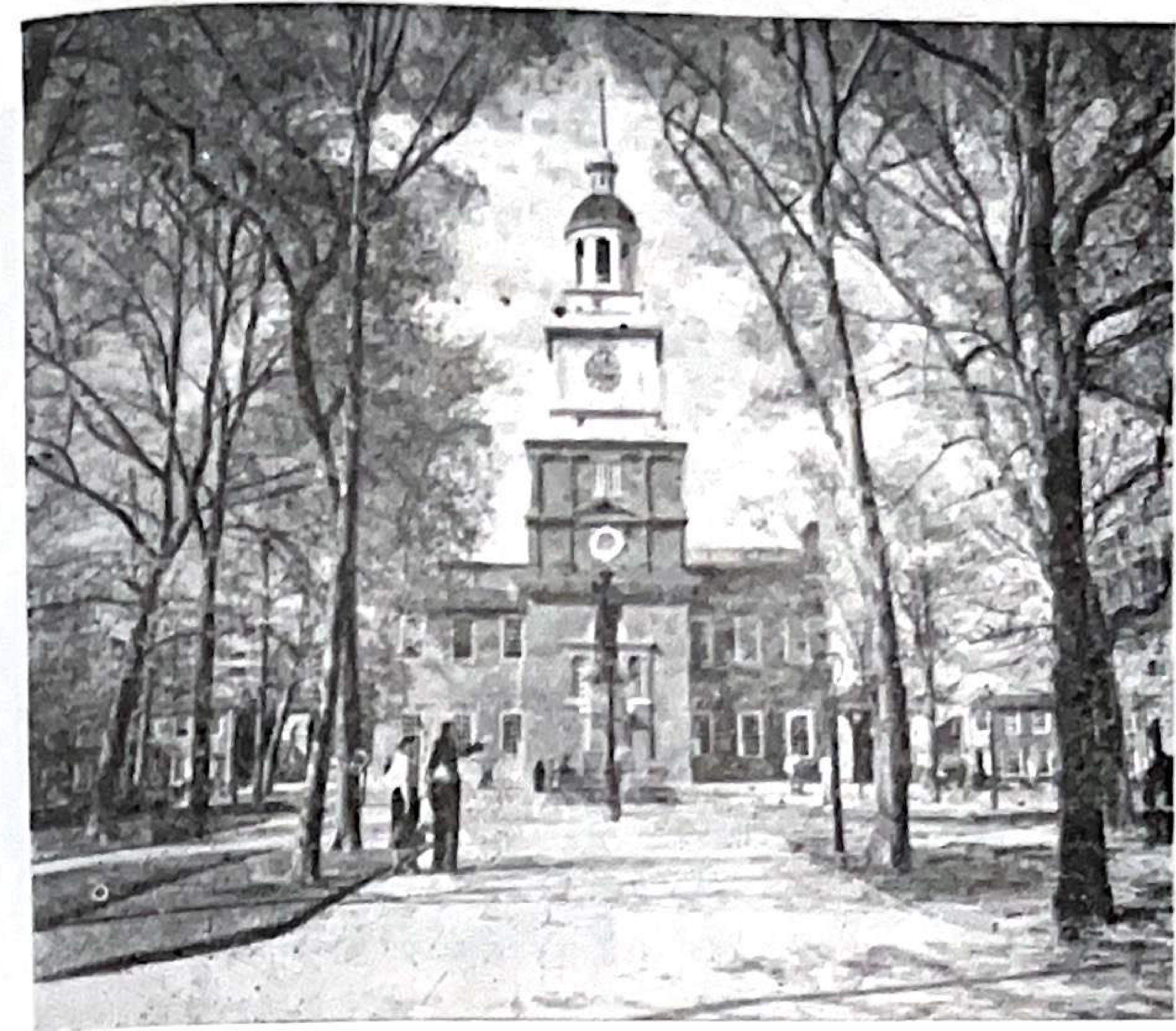
محكمة (بداءة القرن الثامن عشر) وميدان فى بلدة كنج وليم ، بفرجينيا . بنى مكتب لـكاتب السجن بعد عام ١٨٨٥ بنفس الأسلوب الأصلى . ويشاهد بالوسط تمثال تقليدى من تماثيل الحرب الأهلية .



نيوهافن جرين ، صمم عام ١٦٣٨ بين دار الاجتماع الرابعة (الاجتماع المذهبى الشعبى) بناء المعمارى اشر بنجامين فى ١٨١٣ـ١٨ ويمثل الموقع الأصلى تقريبا وهو نموذج متأخر للباروك الأمريكى . استخدم هـذا المرج كنموذج أصلى لما أتى بعده من المروج المستطيلة فى ريف اوهيو وخلال الغرب الأوسط .



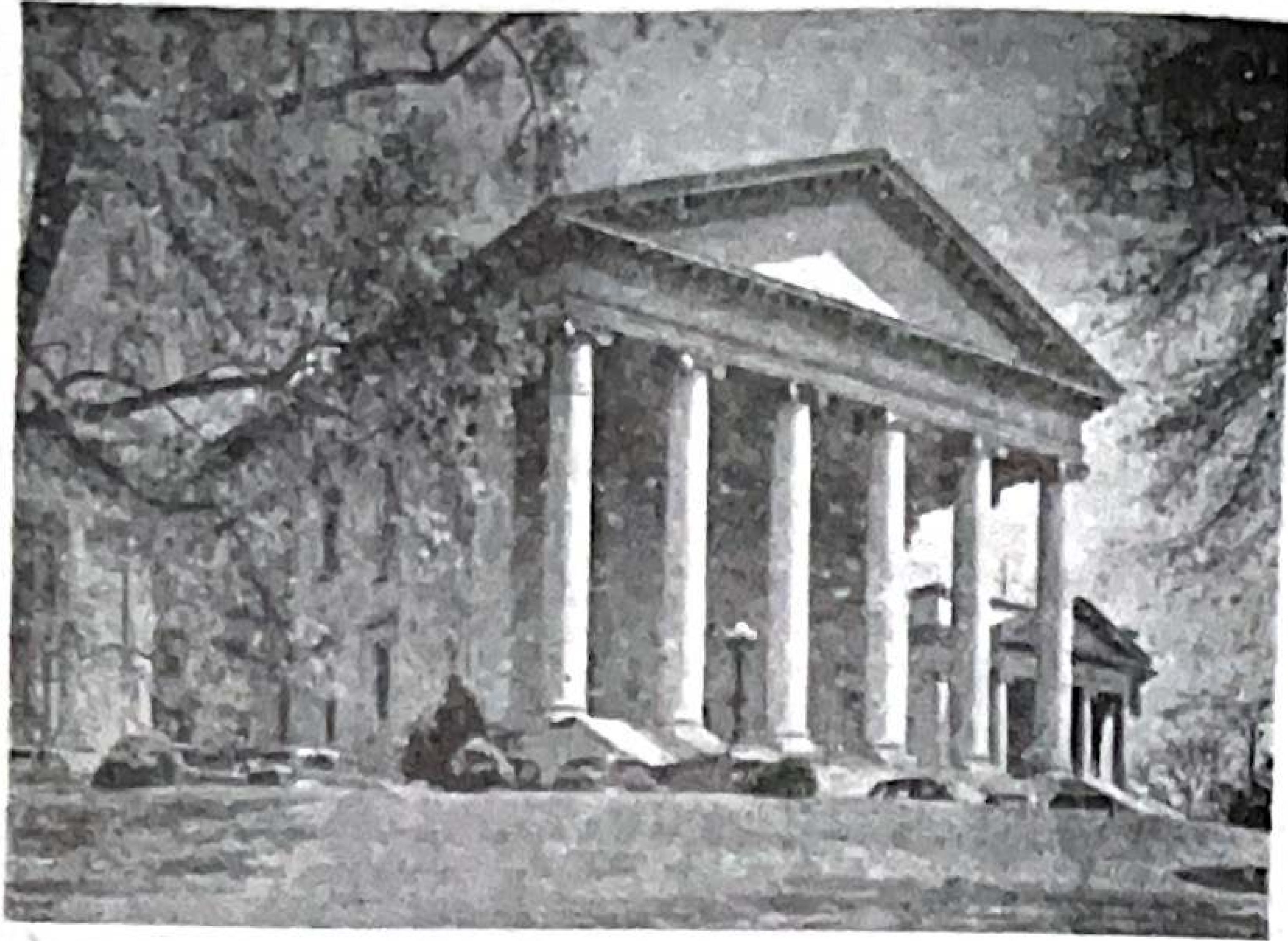
منظر لسطوح من الحشائش فى حدائق ميدلتون على نهر اشلى بالقرب من تشارلستون وهى واحدة من عدد من من الحدائق الاستعمارية التى جاءتنا بروحها الأصلية .



اندبندانس هول بفيلادلفيا . أول مركز مدنى بمدينة كبرى فى الولايات المتحدة . بنى القطاع الأوسط فى الفترة من عام ١٧٣١ إلى عام ١٧٥٣ ، والأجنحة من عام ١٧٣٦ إلى ١٧٣٩ . أما البرج الذى أقيم فى عام ١٨٢٨ فهو من عمل المعمارى وليم ستريكلاند ، وكان أصلا دار الحكومة لإقليم بنسلفانيا ، وفيه اجتمع المؤتمر القارى الثانى حيث اقترح على إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦

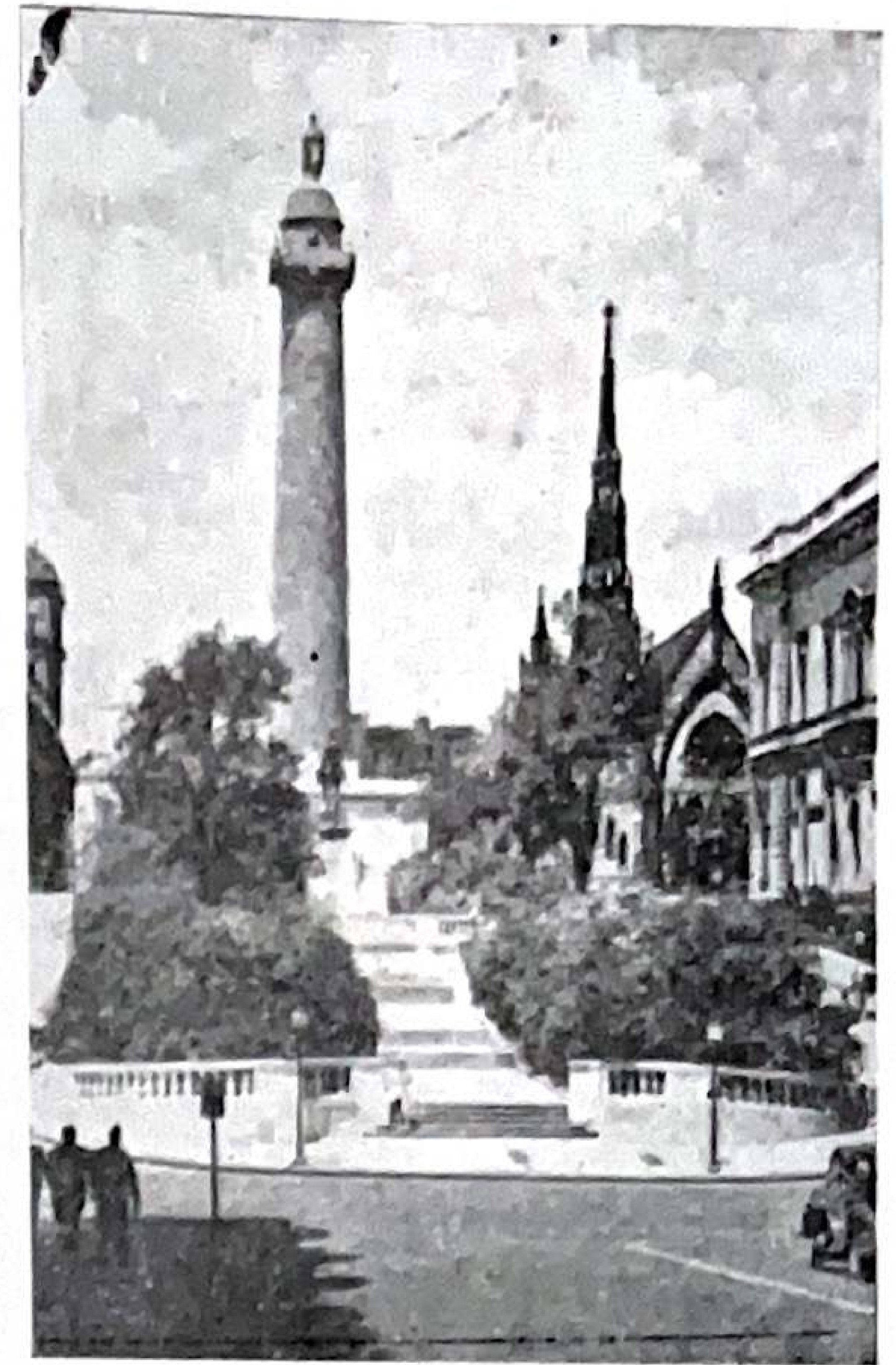
←

ساحات جامعة فرجينيا فى تشارلوتسفيل ١٨١٧) ، من أعمال المعمارى توماس جفرسون . بها مكتبة على غرار البانثيون بروما ، تشكل منتصف التصميم على النمط الكبير « للقرية التعليمية » ، والمبانى التى إلى الطرف الجنوبى من المرج ، التى تنهى المنظر الآن ، من تصميم مؤسسة ماكيم وميد ووايت عام ١٨٩٨ .

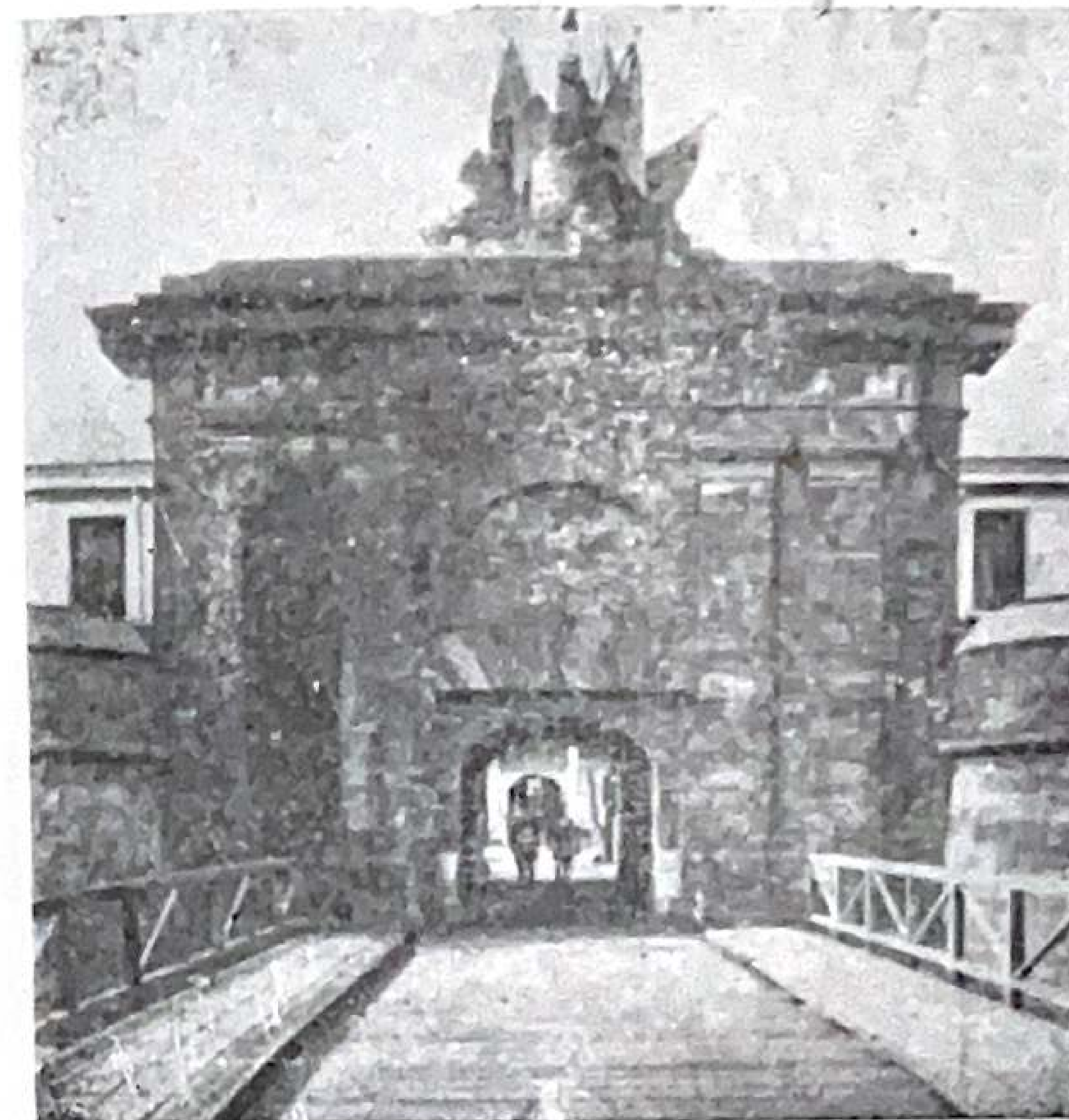


كابيتول الحكومة بريتشموند فى فرجينيا . أول بناء أثرى فى الولايات المتحدة(١٧٨٥–٩٨) ، من أعمال توماس جفرسون . ويتباين مقياسه الرومانى الأمريكى تباينا حادا مع الباروك الأمريكى فى اندبندانس هول .





منظر بالقرب من مونت فيرنون بليس فى بلتيمور وبه نصب واشنطون من تصميم روبرت ميلز عام ١٨١٥ وهو نموذج للطراز الرومانى الأمريكى تم فى عام ١٨٢٩ . ويبدو معهد بيبودى (١٨٦١ — ٧٨) إلى اليمين مع كنيسة مونت فيرنون بليس لجماعة الإصلاح ١٨٧٢ من ورائه ، وتمثال الفارس للمركيز دى لافاييت للمثال أندرو أوكونو .



مدخل فورت جاى (١٨٠١) فى جفرنور ايلاند بمدينة نيويورك . نموذج نادر لزخرف المنشآت العسكرية فى الولايات المتحدة ولا يزال البناء قائماً ، ولو أن غطاء الحربة لا يظهر فوق مجموعة التماثيل التذكارية .



بورصة التجار (١٨٣١ — ٣٤) من أعمال المعمارى وليم ستركلاند تبين تأثير الطراز الإغريقى الناهض ولا زالت قائمة بالشارع الثالث وشارع دوك بفيلادلفيا ، ويجرى تنظيفها وصيانتها كجزء من المشروع الوطنى الخاص بخدمة المتنزهات التاريخية العامه .

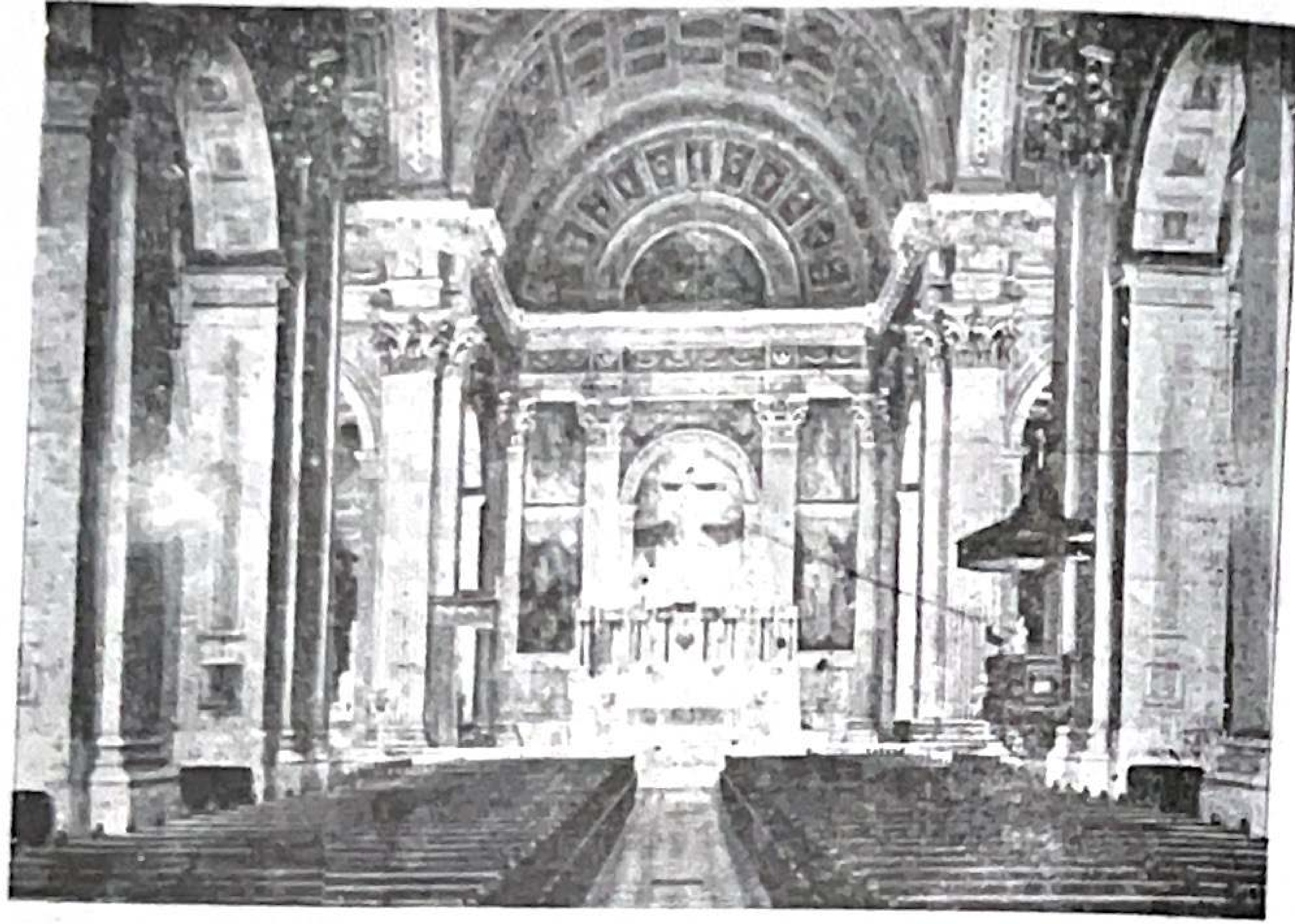


عطفة « باريس » بنيو أورلينز ، المدينة التى وصلت إلى أوج أهميتها فى العصر الرومانتيكى .

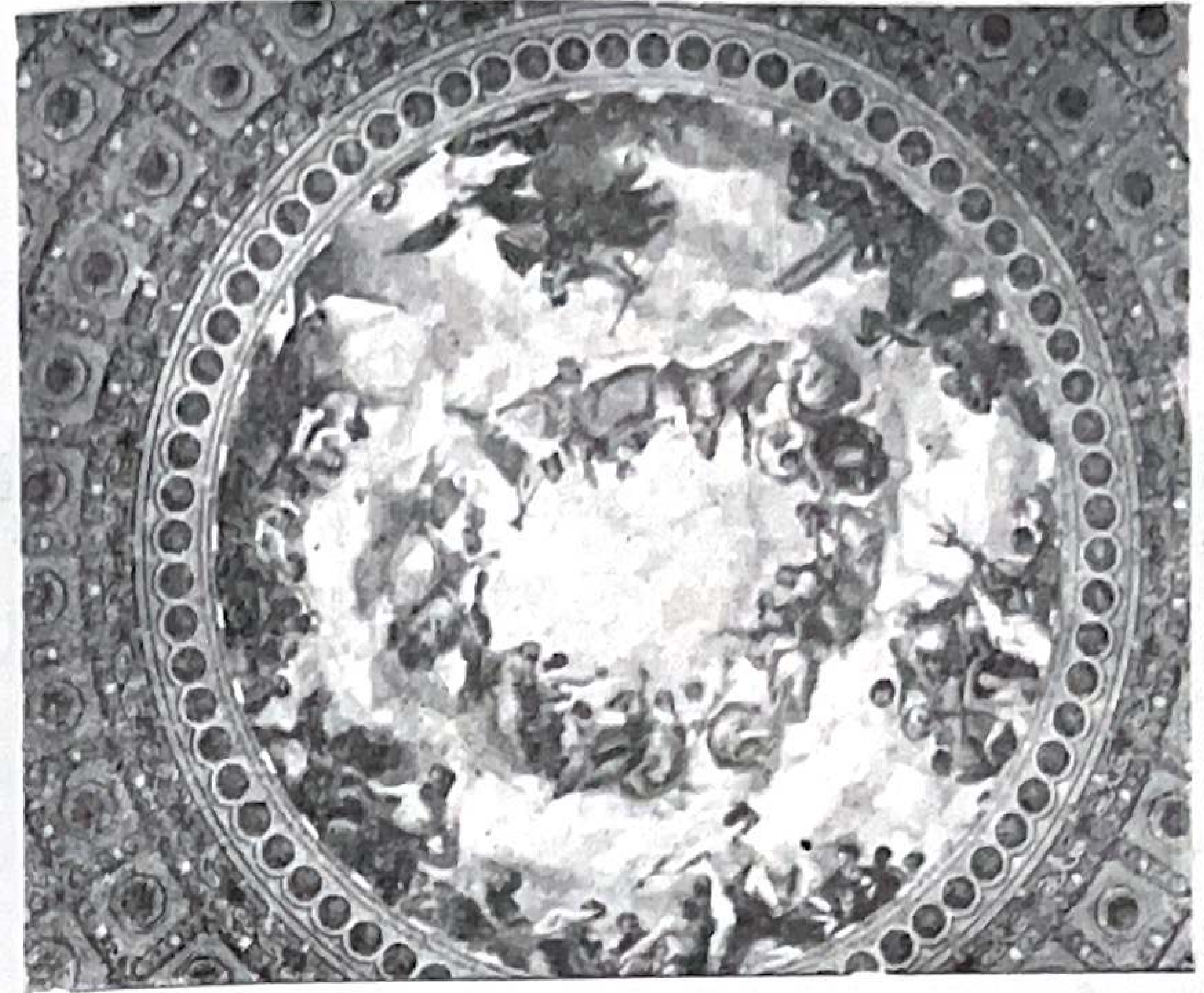
« سونى سايد » منزل واشنطن ارفنج فى تاريتاون بنيويورك . وهو مؤلف « ريب فان ونكل » . وتحول البناء إلى الطراز الرومانتيكى الناهض ، به جزء قوطى والآخر هولاندى شعبى . صممه المصور جورج هار فى عام ١٨٣٦ ورمم حديثاً وفتح للجمهور بعد أن اهتم بأمره جون د . روكفلر الابن .







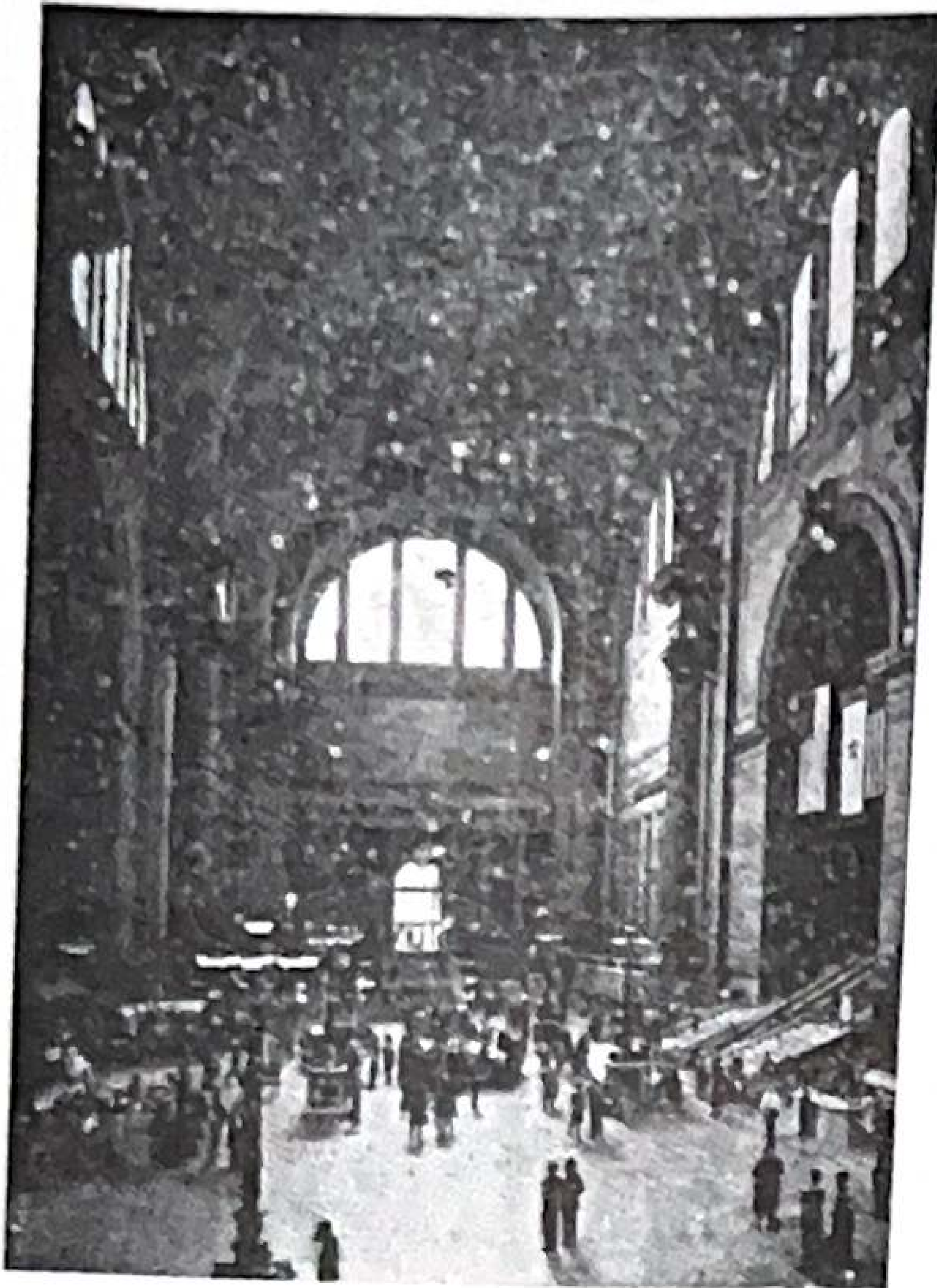
داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للقديسين بطرس وبولس (١٨٤٦ — ٦٤) بلوجان سركل فى فيلادلفيا ، من تصميم المعمارى نابوليون لوبرن ، وهو نموذج متأخر للطراز الرومانى الأمريكى ، يحتوى على صورة حائطية لقسطنطين بروميدى ، الذى قام أيضاً بزخرفة كابتول الولايات المتحدة .



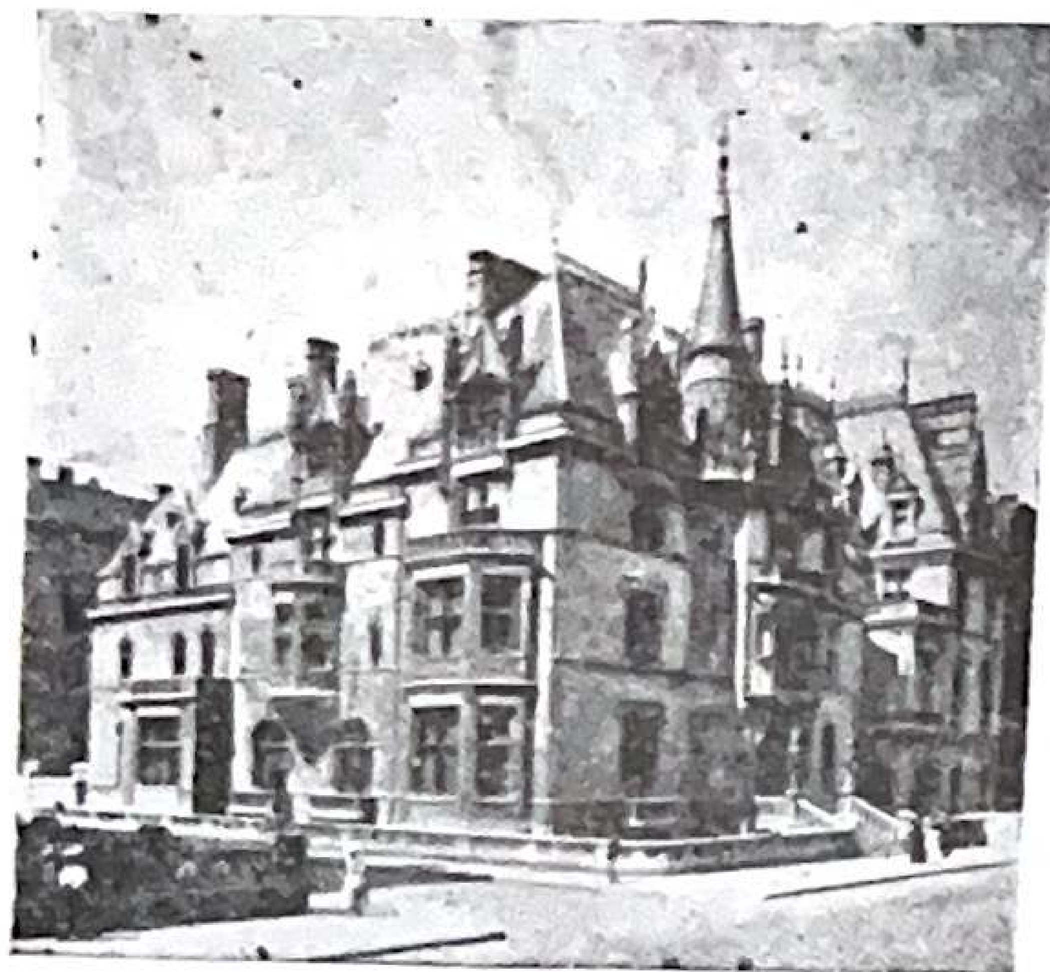
صورة حائطية بقبة الكابتول بواشنطن (تأليه واشنطن) لقوسطانطين بروميدى ، وقد بدأ العمل بها فى عام ١٨٦٢ وانتهى منه بعد ٣ سنوات . وهذا السقف زائف إذ أنه يكون طبقة تحت القبة الحديدية لمبنى الكابيتول .



سنترال بارك (١٨٥٨) بمدينة نيويورك ، من عمل فريدريك لو أولمستد وكالفرت فوكس . مساهمة أمريكا الرفيعة فى تخطيط المدينة وفن تصميم المناظر الطبيعية فى عصر البخار والحديد .



ساحية داخلية تذكارية فى أمريكا . قاعة الانتظار الرئيسية بمحطة بنسلفانيا (١٩٠٦) بمدينة نيويورك من عمل ماكيم ، وميد ، ووايت التى ترقى إلى مستوى حمامات كاراكالا بروما .



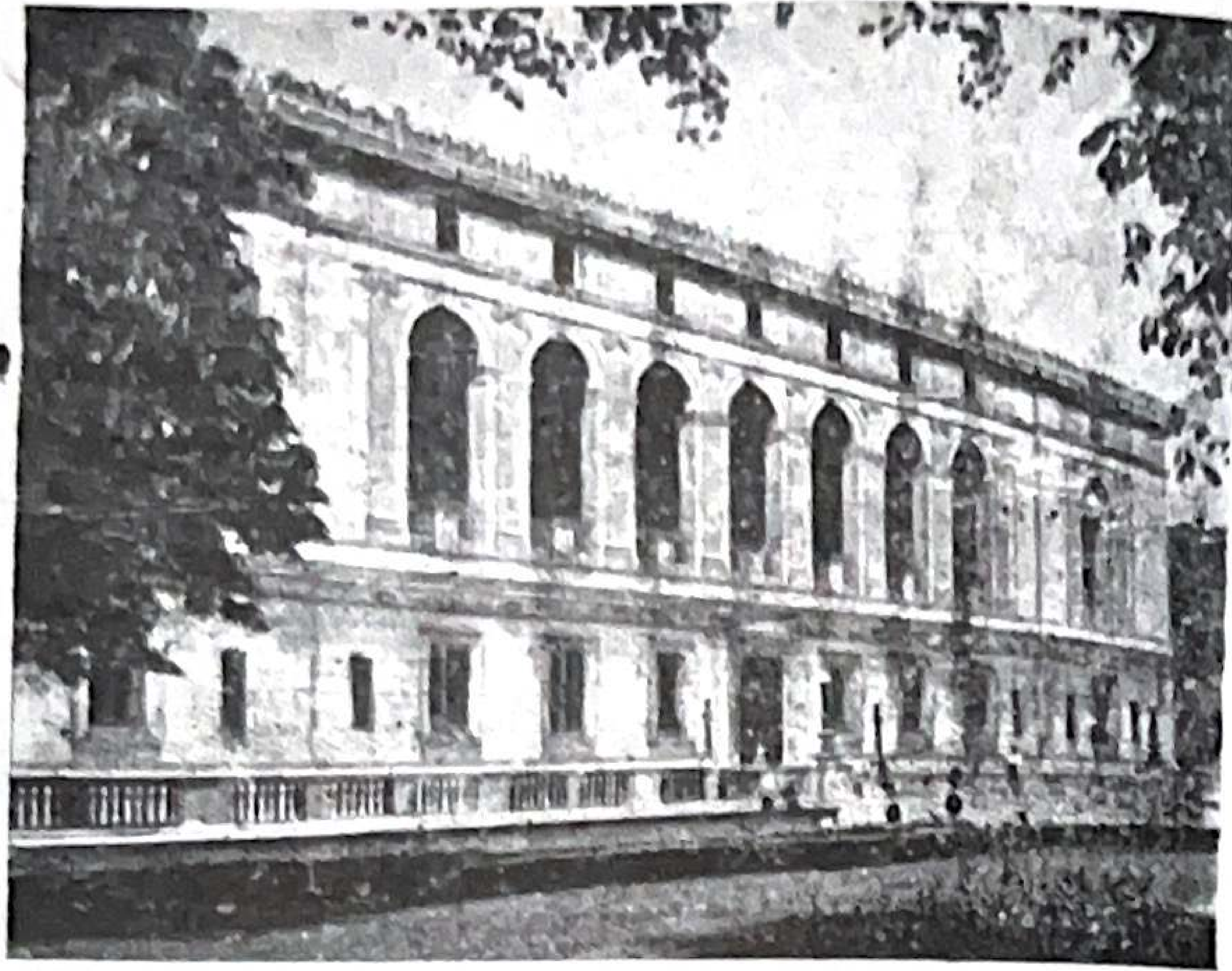
أول قصر عظيم خاص بأمريكا، قصر وليم فاندربلت الذى كان يقوم أصلا بناصية الشارع الثانى والخمسين والشارع الخامس بمدينة نيويورك . صممه ريتشارد موريس هنت فى ١٨٧٩ إعلاناً عن الطراز الأمريكى الناهض .



المعرض الكولومبي العالمي لعام ١٨٩٣ ، بشيكاغو . تعاون دانيل هـ . برنهام وريتشارد موريس هنت ، وفريدريك لو أولمستد ، وأوجستوس سان جودنز وغيرهم من أئمة الفن في هذا التصميم العظيم الذي بكر بحركة جمال المدينة . تمثال الجمهورية الهائل في مقدمة الصورة من عمل دانيل تشستر فرنش . صمم هنت بناء الإدارة ذي القبة في نهاية المنظر .



منظر للكابيتول ، والممر ، ونصب واشنطن كما يرى من سطح مكتبة الكونجرس . جعل ماجور لانفان من الممر مركزاً لتخطيطه المشهور لمدينة الاتحادية عام ١٧٩١ . وبعد مائة وعشرة أعوام أتم العمل دانيل هـ . برنهام على رأس لجنة من الفنانين . البناء الأبيض ذو القبة المنخفضة خلف الكابيتول مباشرة هو بناء القاعة الوطنية للفنون (١٩٣٩) من عمل المعماري جون رسل بوب وإجرز وهيجنز ، المستشارين .



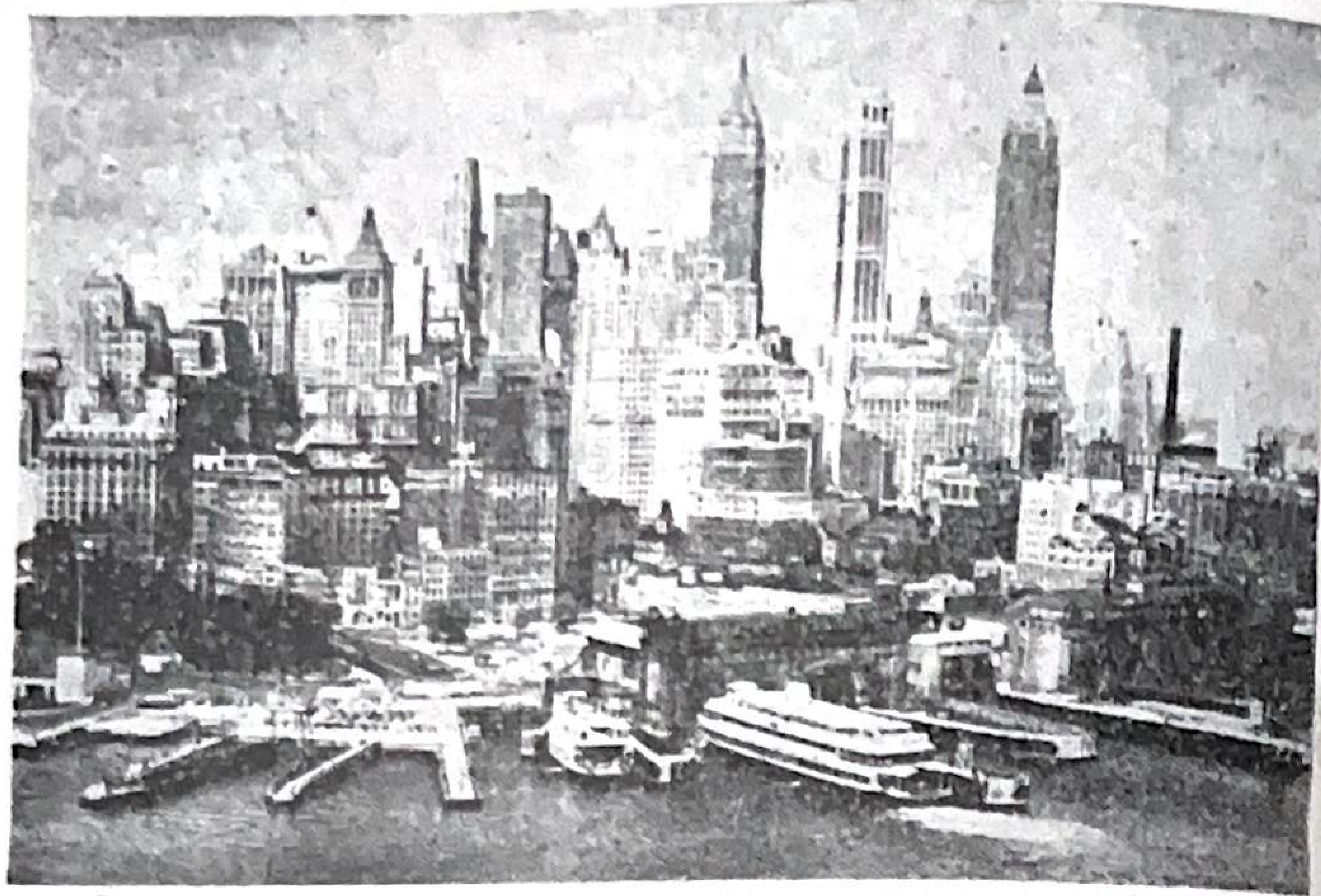
مكتبة ديترويت العامة (١٩٢٣) في مدينة السيارة Automobile City . واحدة من أفخر المكتبات العامة بأمريكا من عمل كاس جلبرت ، المعماري الذي أقام برج وولورث بنيويورك ، والبناء نموذج لعصر الذوق في الغرب الأوسط .



في سان فرنسسكو قبة جميلة ، رمز للديموقراطية ، تتوج مبنى البلدية (١٩١٥) . من أعمال جون بيكول الابن وأرثر براون الابن . يقوم البناء في وسط المركز المدني وهو من أفخر تخطيطات أمريكا . والبناء الذي يشاهد خلف الكابيتول إلى اليسار هو دار الأوبرا من أملاك البلدية (١٩٣٢) من أعمال أرثر براون الابن و ج . ألبرت لانسبرج .



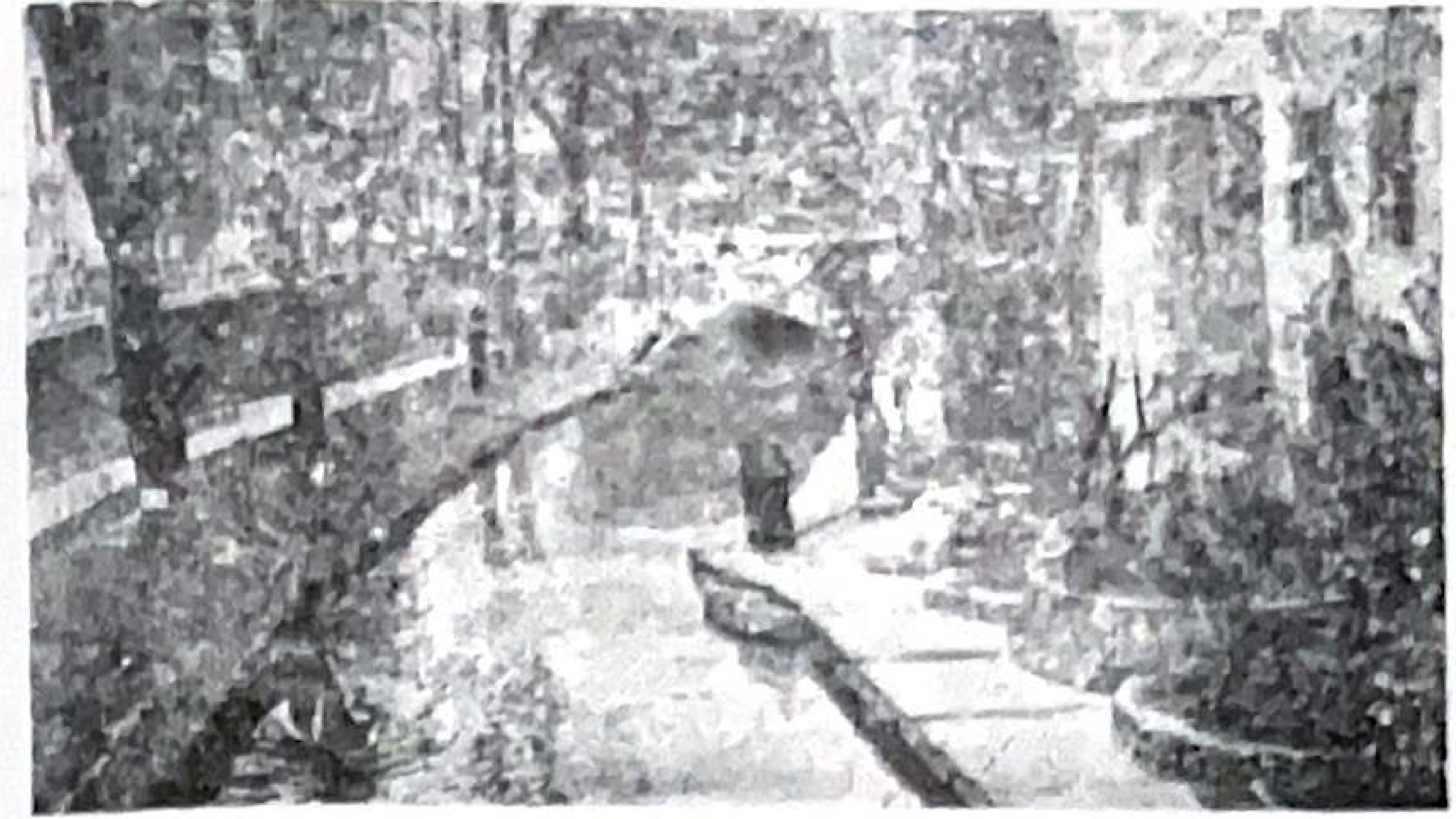
نافورة كلارنس بكنجهام ترتفع أمام ناطحات السحاب بشارع ميتشجان بشيكاغو . وهى أكبر نافورة فى العالم (وأقرب منافسة لها هى نافورة لاتونا بحدائق فرساى) صممها بنيت ، وبارسونز وفورست من شيكاغو ، وجاك لمبرت من باريس عام١٩٢٧ . النحت من عمل مارسيل لويا وهو من باريس أيضاً .



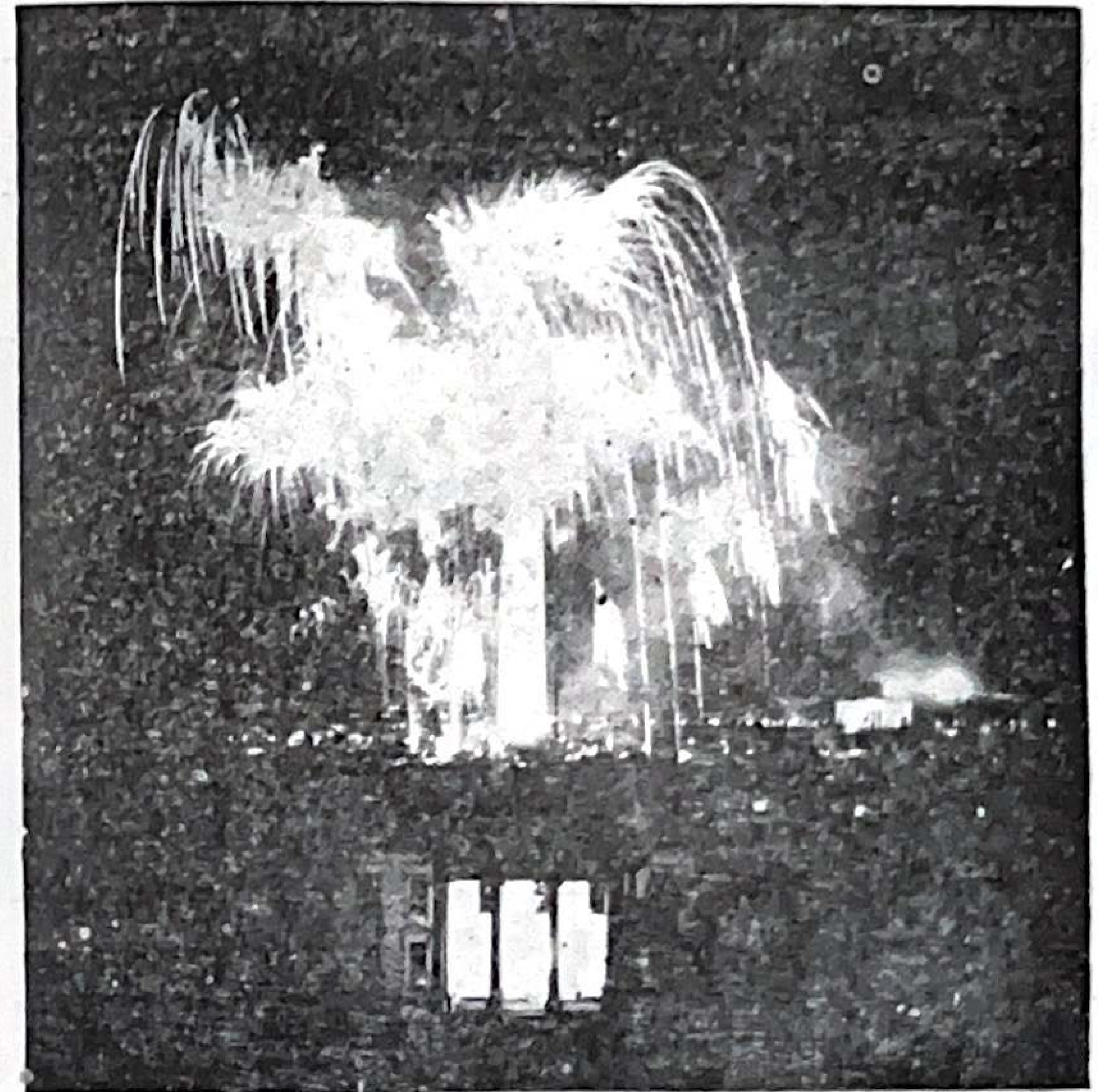
خط السماء الذى مازال يحير العالم . منظر من الجو لشاطىء مانهاتان بمدينة نيويورك ، وترتفع الأبراج الفاخرة فى حدة وفى غير ترتيب فوق الجبهة المائية ، مكونة أعظم مساهمة لأمريكا من حيث المنظر فى تاريخ العمارة الحضرية .



خط سماء ميامى فى الليل . بدأت أهمية هذه المدينة الأمريكية منذ الرواج العقارى فى فلوريدا عام ١٩٢٠ .

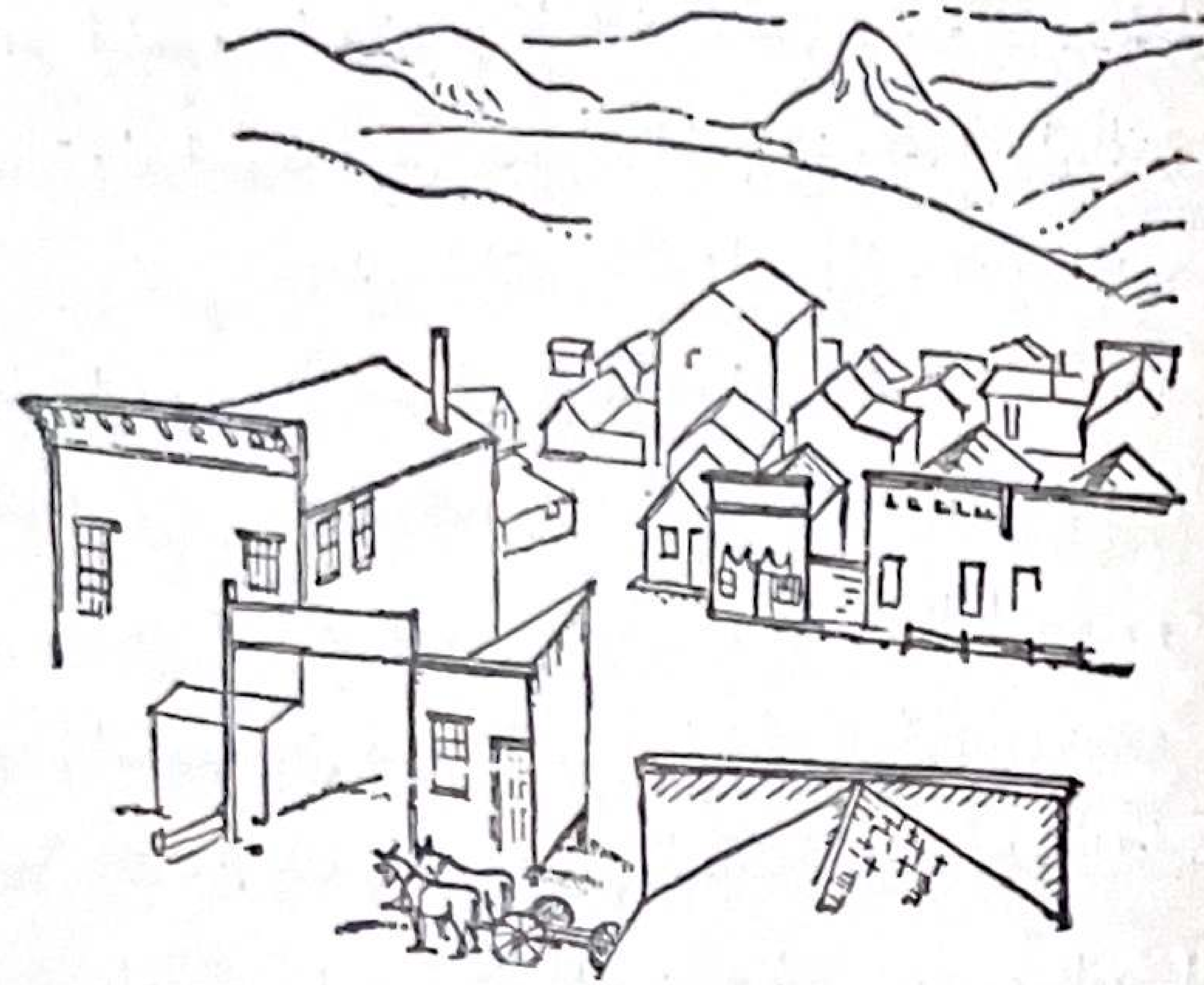


متنزه نهر سان انطونيو بشاطىء سان أنطونيو بتكساس ، مولته المدينة وإدارة الأعمال ، ونسقت الحديقة على ضفاف النهر عام ١٩٣٩ .



الألعاب النارية فوق البيت الأبيض يوم ٤ يوليو فى واشنطن ، ويبدو البيت الأبيض فى المقدمة ونصب واشنطن فى الوسط . وفى خلفية الصورة يشاهد النصب التذكارى لجفرسون .

بالمنطقة ، ومن بين هذه البلدان جميعاً مدينة بيثول وهى أشدها بعثاً للدهشة . ففى يناير عام ١٨٦٥ حفرت بئر للبترول ، ولم ينتصف الصيف حتى كانت تشغل المنطقة كلها بلدة تعدادها ١٠٫٠٠٠ نسمة .



واجهات زائفة على أبنية بلدة مناجم الفضة بمدينة فيرجينيا بنيفادا .

قيل فى وصفها : إنها بلدة من الخشب ليس بها منزل واحد من الحجر . الشوارع ضيقة ، وليس لها سوى لوح سميك واحد يستعمل كإفريز . . . . . والأبنية على كلا الجانبين من حجم وشكل يمكن تصوره من الفندق ذى الطوابق الأربعة ، إلى الحمالة الصغيرة لبائع الكعك والفول السودانى ، ورائحة الخشب الجديد والطلاء الحديث و « خام » البترول تلمس فى كل مكان . هنا يمكن مشاهدة بناء لا جوانب له ولا أرضية ، بعيد عن التمام باستثناء السقف الذى ارتفع ، وعلى قمته لافتة تتأرجح ، معلنة للناس أن « عقود الزيت » هنا تباع وتشترى . . .

لقد زالت مدينة بيثول من الوجود .

إن الفورة التى نتجت عن التعدين والزيت ، نهضت بصناعات جديدة على طول خطوط السكك الحديدية بطرف المدينة . ومع مصانع الحديد وورش الآلات ، قامت مصانع الذهب والنحاس ، ومعامل تكرير البترول . قالت «كونستانس فينيمور ولسون» عن كليفلاند فلاتس ، حيث كان روكفلر وغيره من رجال البترول يقيمون الإمبراطوريات الجديدة : «كان السهل الذى تتصاعد منه الروائح وينتشر به الدخان ، مكتظاً بالأخشاب والزيت والحديد ، ولكن كانت السيطرة للزيت ، والبراميل الزرقاء تملأ أعيننا ، وشبكة من الأنابيب ترتفع عالية فى الفضاء تجرى هنا وهناك ، بينما يعلن البترول عن وجوده فوق وتحت وخلال كل شىء مع كل شهقة يشهقها الإنسان .» واستأنفنا طريقنا ، وتستطرد مؤلفة القصة الجميلة التى نسيت الآن (ملائكة الشرق East Angels) «وتكون من المداخن شبه غابة ، وقضبان السكك الحديدية على الجانبين تحمل صفوفاً من العربات الفريدة فى شكلها الذى يشبه الغلايات ، وسارت الأعمدة وطرق الترام فى جميع الاتجاهات كشرايين تنبثق عن مركز الآلات البخارية .»

إن هذه المناظر التى كانت تبدو عجيبة فى عام ١٨٧٠ ، هى من المناظر المألوفة لدى راكب السيارة الذى يسرع ماراً بأدغال معامل التكرير بايون بنيوجيرسى ، أو وايتنج بإنديانا ، أو ماركوس هوك بينسلفانيا ، أوسان بترو بكاليفورنيا ، وقد يختلط عليه الأمر فيظنها ناطحات سحاب ، تلك ، أجهزة التكسير فى وسط مدينة تكساس .

٣ — مدينة الحرب الأهلية :

إن المسافر فى منتصف القرن التاسع عشر — وقد عجز عن الكشف عما يؤيد نبوءة إيمرسون من أن البلدة الصناعية والسكة الحديدية سرف تذوبان داخل

المنظر الأمريكى — لم يجد بالمثل ما يؤيد هذا القول بالمدن الكبرى ، فضلا عن ضوضاء الناس ونشاطهم الجم . وقابلته فى الشوارع أنواع أجمل من عربات الركاب وأنواع أكبر من عربات نقل البضائع ، وكان هناك أيضاً نوع جديد من وسائل المواصلات ، العربة ذات الحصان التى كانت تأخذ مكان عربة الأومنيبوس القديمة الغليظة . كان الاختراع الجديد يجرى على قضبان وكان بالفعل يخلق خطوطاً للمواصلات تنبثق من المركز الحضرى . وكان أول ظهورها بنيويورك عام ١٨٣٠ عندما منعت المدينة مرور القطارات بوسط البلدة ، ولكن العربة ذات الحصان لم تستخدم كخط منتظم إلا فى عام ١٨٥١ . وبعد عام واحد كان هناك خط يربط بين بوسطن وكمبريدج ، وقد أورد هنرى جيمس وصفاً له فى روايته «البوسطونيون» . وكان لفيلادلفيا خط للمواصلات فى عام ١٨٥٨ . وفى عام ١٨٥٩ افتتحت ثلاثة خطوط بشيكاغو . وقد تذمّر منها مثال بوسطن وليم ويتمور ستورى عام ١٨٦٥ فقال : «هذه العربات التى تجرها الجياد هى آفة البلاد ، ولكن إما أن تركبها أو تمشى إلا إذا اخترت أن تنفق ثروة على العربات الخاصة» .

ظهر التحدى لوسائل المواصلات الحضرية الرخيصة لأول مرة فى صورة محاولة لتقديم المأوى الرخيص بالمدينة . ونجح ملاك العقار والمضاربون من البناة فى سد الطلبات على المنازل الرخيصة باختراع الإطار البالونى ، ولكن ذلك كان مقصوراً على المدن الجديدة وأطراف المدن القديمة . أما فى المراكز القديمة فلم يهيأ أى جديد لذوى الدخول الصغيرة حتى عام ١٨٥٠ . وحتى ذلك التاريخ ، كان الذين حرموا من ميزة السكن بدور النزلاء ، يأوون إلى المساكن المزدحمة القذرة التى تحولت إلى مساكن خاصة ، ومعامل للجعة ، وإلى مستودعات من الطراز العتيق ، أو إلى أى نوع من المرافق له أربعة جدران وسقف ، مما كان فى

القطاعات القديمة من مدننا . ومن الناحية الفنية كانت هذه المساكن حقيرة الشأن ، وهى عبارة عن منطقة سكنية بها مساكن هزيلة لدرجة كبيرة ودون المستوى ، ولا تستقيم فيها الشروط الصحية ، حتى إنها تعد خطراً للساكن وللمجتمع . ووجدت هذه المساكن منذ القرن الثامن عشر فى أعداد متزايدة ، وحيثما تزداد الهجرة يزداد عدد السكان .

ولقد صور أحد الأطباء من نيويورك الوفر الذى سببته هذه المساكن القذرة ، والذى عبد الطريق لبناء أبنية من الطراز الجديد ، أى العمارة حسب تعبيرنا الحديث . قال دكتور جوزيف هـ . جريسكوم فى عام ١٨٤٥ :

« إن نظام السكن الإيجارى الذى يخضع له عدد كبير من الفقراء ، فى تصورى ، ينبغى أن يعتبر واحداً من الأسباب الرئيسية للحياة اليائسة الضارة التى يعيشونها . إن أساس هذه المساوىء هو تعريض المستأجر للمحن القاسية ، ولاستغلال المؤجر من الباطن . يؤجر شخص منزلا أو صفاً أو مجموعة منازل من المالك بمقتضى عقد لعدة سنوات ، ذلك فى مقابل مبلغ يدر ربحاً متناسباً مع التكاليف ، ويعفى المالك بذلك من المتاعب التى تتسبب عن تغيير السكان وتحصيل الإيجارات .... »

ويستطرد الطبيب فى وصفه قائلا « ولكى تستوعب هذه الملكيات القذرة عدداً أكبر من العائلات ، كانت تقسم إلى شقق صغيرة تتعدد بقدر ما يسمح الذوق ... وكانت هذه المقاصير التى لاتستحق أية تسمية أخرى ، تؤجر للفقراء بالأسبوع أو بالشهر ، وكان الإيجار يدفع مقدماً بدون استثناء . »

إن ما يلفت النظر فى تحليل دكتور جريسكون أن النظام مع شىء من الاختلاف ، مستمر حتى يومنا هذا فى كثير من المساكن الحقيرة خصوصاً تلك المخصصة للزنوج والبورتوريكيين .

والآن جاءت العمارة بمعنى الكلمة ، وقد اتخذت مكان المساكن المحولة وغيرها بالمدن الكبرى . (إن كلمة عمارة tenement تعنى مسكناً جماعياً أكثر مما تعنى مسكناً متعدداً) كانت هناك عمارات أقدم بمدينة نيويورك ، ولكن أول عمارة كبيرة ظهرت عام ١٨٥٠ . وقد كتبت عنها الإيفننج بوست « لقد بنيت طبقاً لتصميم يزود طبقة العمال بمسكن رخيص ، وسوف تتميز على الكرار والمساكن اليائسة الأخرى ، التى يرغم الجمع الغفير من الناس على سكناها . إن عمق العماره مائتان وأربعون قدماً ، ولها واجهة طولها خمسة وثلاثون قدماً ، وتتألف كل شقة من حجرتين وردهة ، ويبلغ عرض الشقة ثمانية عشر قدماً تقريباً وطولها حوالى العشرين ، مما يسمح بأربعة وعشرين مسكناً بكل طابق . واستحق هذا العمل الثناء .. إنه عمل جدير بالإعجاب وينبغى تقليده .. » وسرعان ما وجد هذا « التطور » المقلدين . حتى عام ١٩٢٠ كان الدخل البالغ من ٧ إلى ١٠ فى المائة يعتبر مقياساً لإيجار العمارات بنيويورك . ولكن مع الزيادة المطرده فى السكان خلال القرن التاسع عشر ، طورت المدينة الشكل الخاص لعماراتها ، فكانت عادة عبارة عن هيكل مزدوج على قطعة أرض مساحتها ٢٥ × ١٠٠ قدم ، وأحد الهيكلين يطل على الشارع والآخر إلى الخلف وبينهما فناء صغير . وزودت العمارة بالأدوات الصحية ، إن جاز لنا أن نسميها هكذا ، فى الكرار أو تحت الممشى الجانبى . وسرعان ماتحولت إلى برك راكدة . وكانت الشبابيك مركبة على فتحات سوداء ، ولم تكن الطرقات تضاء أبداً ، وكانت من الضيق بحيث يصعب مرور شخصين فى وقت واحد — وفى أحد هذه المبانى كان ٥٧٧ شخصاً يقيمون فى ٩٦ حجرة . أما بالنسبة للملاعب والمسارح وحدائق النزهة أو غيرها من الملاهى ، فلم يكن هنا منها شىء . فالأطفال أمامهم الشارع ، والكنيسة لمن أكبر سناً ، وكذا الصالات والحانات .

وهناك بعض المدن التى لم تهتم أبداً ببناء العمارات . فنرى أن فيلادلفيا قد

استمرت فى بناء بيوت الصف ، ولو أنها كانت تبنيها أصغر بكثير عن المألوف . وكانت الوحدات هنا تبلغ ستة عشر قدماً عرضاً ولا ترتفع لأكثر من طابقين تتكدس فيها اثنتا عشرة عائلة . وتحولت معظم المدن الكبرى عدا نيويورك وفيلادلفيا إلى العمارات الخشبية ، وهى مساكن مركبة تبنى حول إطار بالونى ، ومثال ذلك مبانى بوسطن . وفى وقت ما كان بالمدينة أحط المساكن بالبلاد ، مقامة من مجموعات من بيوت العائلة الواحدة . وفى عام ١٨٤٠ كان القطاع الواحد من المدينه يضم فى المتوسط سبعة وثلاثين شخصاً بالمنزل الواحد . ولاستيعاب العدد المتزايد من السكان فى عامى ١٨٤٠ — ١٨٥٠ ، اخترع المنزل ذو الأسطح الثلاثة (three - decker) ونذكر واحداً منها بنيوارك فى نيوجيرسى ، بنى عام ١٨٥٥ ، مع أن وطنه الأصلى كان نيوإنجلاند خصوصاً فى بوسطن وحولها . والاسم مشتق من القاعات الخشبية الثلاثة المقامة واحدة فوق الأخرى ، وإلى الخلف من البناء ذى الأربعة طوابق ، مما يعطى تأثير الأسطح الثلاثة . وقد وصفها إدوارد أفرت هيل ، مؤلف « رجل بلا وطن » عام ١٨٦٩ فقال : « يرتفع البناء إلى أربعة طوابق دون مدخل أو ردهة ، وكل غرفة تتصل بواسطة الباب الخاص بها بالرحبات الأمامية الأربعة التى ترتفع فوق بعضها » . وهو يصف أيضاً أحد تلك الأبنية عام ١٨٦٩ ، فيقول عنها : « تحتوى على مقصورتين فى خلفية البناء ، يصل إليها النور خلال أبواب ، وتبلغ مساحة الواحدة منها ثمانية أقدام مربعة والأخرى أصغر . والحجرة الأمامية التى تفتح على الرحبة تبلغ مساحتها ١٥ × ١٣ قدماً تقريباً ، وهى شقة لعائلة . وفى أى يوم تمر بها سوف تجد أطفال أربعين من هذه العائلات يلعبون بالرحبات ، والسبب فى انعدام النوافذ بالجدار الخلفى ، هو وجود بناء آخر مماثل ، حشر هناك فى مساحة ضيقة . ولا يبعد البناء أكثر من تسعة أقدام عن نوافذ وأبواب الجدار

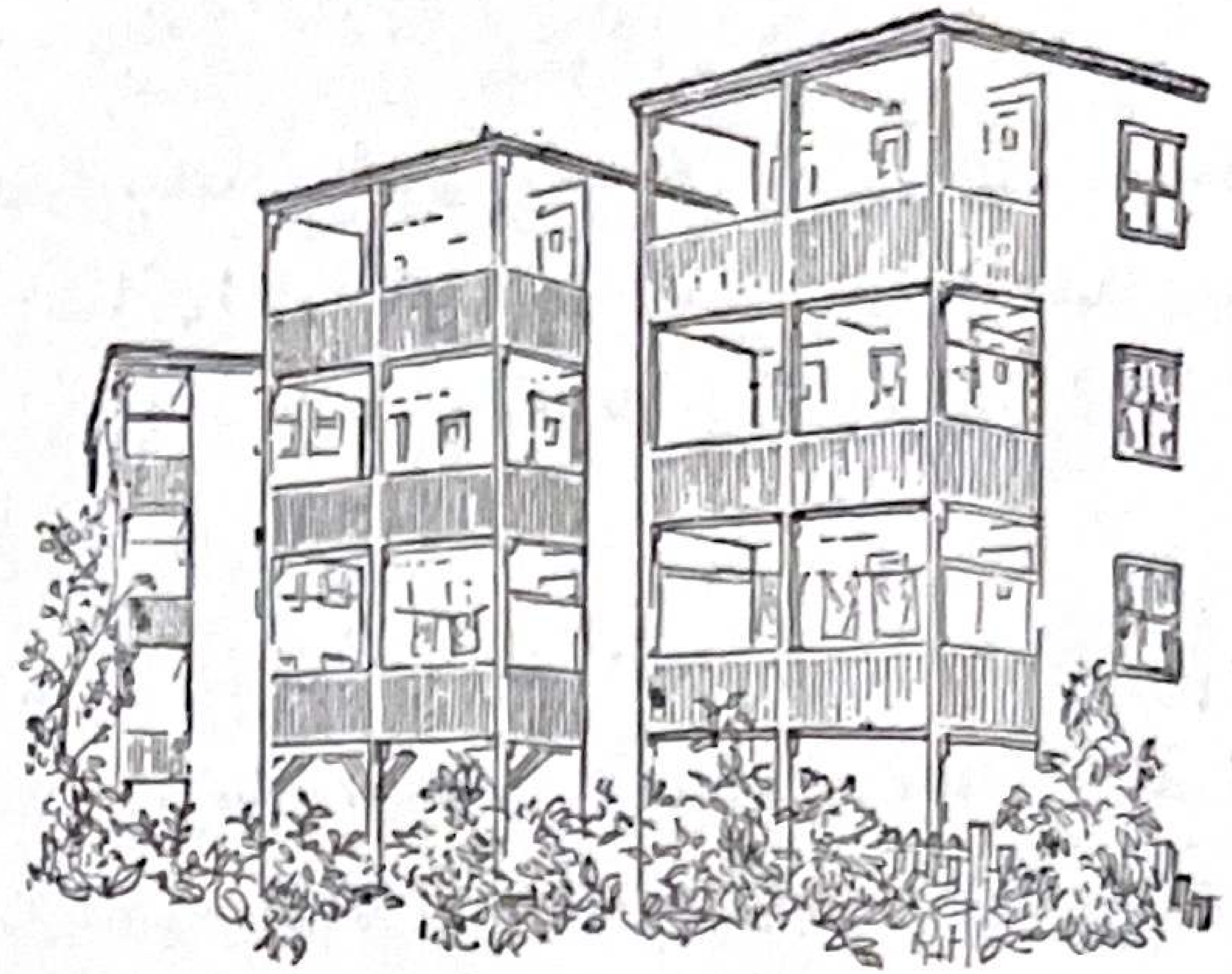
المقابل ، ومنه ينبغى أن تطل أربع أو خمسة نوافذ على الرحبة .

نقلت الرحبات أو « السطوح » منذ ذلك الحين إلى الخلف ، وما زال عدد كبير من المساكن الخشبية باقياً بنيو إنجلاند ، ولم تبدأ هذه المساكن فى الزوال إلا فى عام ١٩١٢ ، عندما أصبحت حماية المساكن المركبة إجبارية ضد الحريق فى ماساشوستس .

لم تمض ظروف المعيشة المربعة غير ملحوظة ، ولكن العصر لم يكن لديه الوقت الكافى للإصلاح ، وحصلت نيويورك على أول قانون لإيجار المساكن من المجلس التشريعى عام ١٨٦٧ ولكنه طبق بإهمال .

وعندما قدمت السكة الحديدية إلى المدينة ، كانت أمريكا المتحضرة تلبس فعلا ثوباً جديداً وكأنما ترحب بها . كان عصر الحديد يرفرف على الوطن فى شكل آخر ، كان الحديد يستعمل فى إقامة المبانى. وطال استعمال هذا المعدن على صورة قضبان لتقوية البناء ، ففى انجلترا عام ١٧٩٠ شكلت الدعامات والأعمدة من الحديد الزهر لبناء المصانع ، وهى فكرة أخذت طريقها إلى أمريكا فى النهاية .

لم يُستخدم الحديد فى الواجهات حتى عام ١٨٣٠ ، عندما وضع جون هافيلاند واجهة كاملة من الحديد الزهر على « بنك الفلاحين والتجار » المحصن ضد الحريق بيوتسفيل فى بنسلفانيا . شاهدت نيويورك هذه المادة لأول مرة على واجهات الحوانيت فى عام ١٨٤٠ ، وأخيراً وفى عام ١٨٤٨ ، ابتدع صانع ساعات مرن التفكير يدعى جيمس بوجاردوس ، من كاتسكيل على نهر الهدسون ، طريقة كاملة لتركيب هيكل من الحديد عبارة عن قطع من هيكل ظاهر ، وذلك بأحد الأبنية الشاطئية بنيويورك ، ولا زالت بعض مجهوداته الأولى باقية بالناحية الشمالية الغربية من شارعى واشنطن ومرى بتلك المدينة . وسرعان ما انتشر استعمال الحديد الزهر .



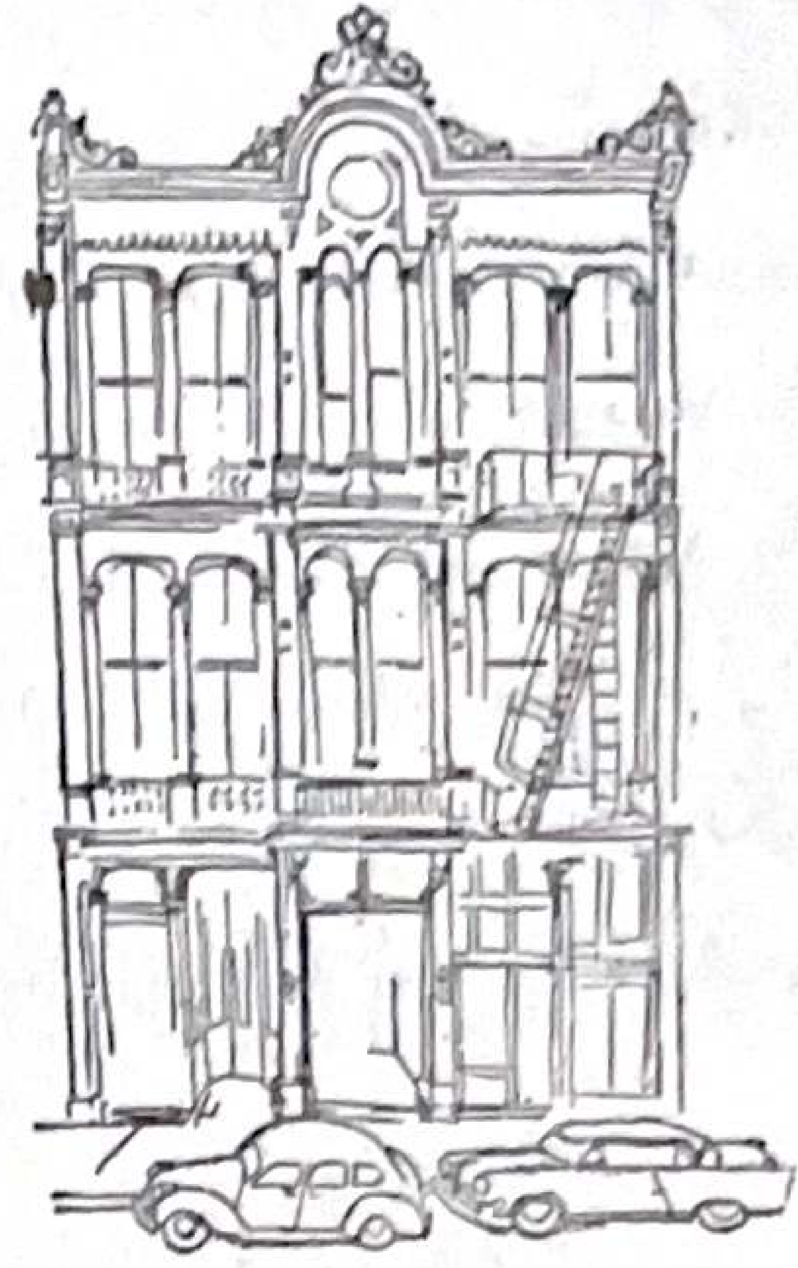
عمارات ذات ثلاثة أسطح بجنوب بوسطن

كانت لسهولة صناعة الحديد الزهر ميزات ، منها أنه كان يمكن عمل إطار مثبت بطريق المسامير القلاووظ يتحمل أى جهد ، ويمكن تهيئته للسماح بالتمدد والتقلص الناتجين عن التغييرات الحرارية ، كما يمكن تصنيعه على أجزاء، تنقل ثم يتم تركيبها ، لقد نقلت أبنية بأكملها حول رأس هورن من الشاطىء الشرقى . وناضلت بلتيمور مع نيويورك وفيلادلفيا لإمداد السوق الغربى ، وفى عام ١٨٧٠ صدرت إحدى شركات بلتيمور واجهة حديدية لمبنى كوربت فى بورتلاند بأوريجون ، وما زالت قائمة ، كما لاتزال باقية عدة شوارع بمنازل ذات واجهات حديدية . ويشاهد الكثير من هذه الواجهات بمنطقة تجارة الجملة للمنسوجات ، جوار شارعى ريد وورث بجنوب مانهاتان ، ويقدم ماركت ستريت (شارع السوق) بفيلادلفيا أروع النماذج . وحتى وقت قريب كانت بسان لويس منطقة بأكملها ، على طول القطاع النهرى ، حيث حديقة جفرسون التذكارية الجارى تحسينها الآن . وفى واشنطن يشكل الحديد قبة الكابيتول نفسها . ولطالما صنعت الواجهة الحديدية لتعطى مظهر الحجر ، وكان من الصعب التفرقة بينهما تحت تأثير طبقة سميكة من الطلاء

إلا بالنقر على عمود بمبنى قديم والتعرف على المعدن من صوته الأجوف . وعلى صورة أوفر ترفاً ظهر الحديد فى شكل آخر . كانت هناك قضبان أفقية للسكك الحديدية ولخطوط الاومنيبوس الذى تجره الخيل ، وقضبان رأسية للصاعد ، وكان أول مصعد عملى مزود بأجهزة للأمان هو مصعد الركاب الذى أتم تركيبة فى عام ١٨٥٧ ، على يد إليشا أوتيس فى مبنى موجود بناحية شارعى برودواى وبروم بنيويورك . وبعد سنتين من ذلك التاريخ أتم أوتيس تركيب أول مصعد للركاب بفندق آستور . وباختراع المصعد الهيدروليكى ذى التروس فى عام ١٨٧٢ ، صار فى الإمكان إقامة أبنية أوسع وأكثر ارتفاعاً ، كما أصبح المصعد أكثر شيوعاً .

هذا ولو لم يمض الاقتصاد التجارى فى الازدهار فى ذاك الوقت ، لما كان هناك سبب حتى لوجود الحديد المطاوع والمصعد . وعلى الرغم من أن رجل الأعمال الفرد كان يسيطر على عصر الطرق الحديدية هذا ، فإن المؤسسات التجارية ازدادت جمالا . كانت المصانع بالبلدة الصناعية تتسع ، كما كانت قوة المكاتب تزداد بإدارة الشركة . واستلزمت أنواع الأعمال الجديدة وقوة المكاتب كالتأمين على الحياة والمخازن التجارية ، مساحة أكبر .

وفى عام ١٨٦٢ ، تعاقد ألكسندر ت . ستيوارت من أكبر تجار المنسوجات والمانيفاتورة بأمريكا مع جون كليوم لتصميم قصر من الحديد المطاوع يقوم فى برودواى والشارع العاشر بمانهاتان ، وأصبح هذا المبنى مما تفاخر به المدينة . وغدا فرعاً من (جون وانا ميكر) . وبنت شركة اكتوبال للتأمين على الحياة عمارة من أكبر عمارات المكاتب فى عام ١٨٧٠ . وبفضل المصعد الجديد استطاعت تأجير الطابق الأعلى نظير إيجار سنوى ، وهو ما لم يكن مستطاعا من قبل . لقد بدأ فن إشغال الأرض فى الظهور ، وكان رجال المشاريع العقارية



واجهة من الحديد الزهر بمبنى كوربت فى بورتلاند بأوريجون

يضعون الترتيبات للفرصة الأكبر فى عام ١٨٨٠ .

لم يقتصر المكتب التجارى الكبير على المدينة . وكطابع الطموح التجارى لذلك العصر كان « المجمع التجارى » يوجد فى كثير من البلدان الأمريكية الصغيرة . لقد اتخذ مكانه مع الكنيسة والبنك ومحطات السكك الحديدية كواحد من أكبر الأبنية فى مجتمعاتنا . كانت هذه « الجماعات » من الآجر أو الحديد أو الخشب ترتفع من وسطها لافتة تضم الاسم والتاريخ ، بما يضفى ظلال الماضى على الشارع الصاخب لبلدة اليوم الصغيرة . ونشاهد هذه الأمثلة فى ملفور بماساشوستس ، وردونج بمينسوتا ، وفورت سميث باركنساس ، إنها كثيرة بجميع أجزاء البلاد ، حتى إننا لن نحتاج إلى السفر مهما كان قصر المسافة ، لكى نعثر على الأمثلة الجيدة .

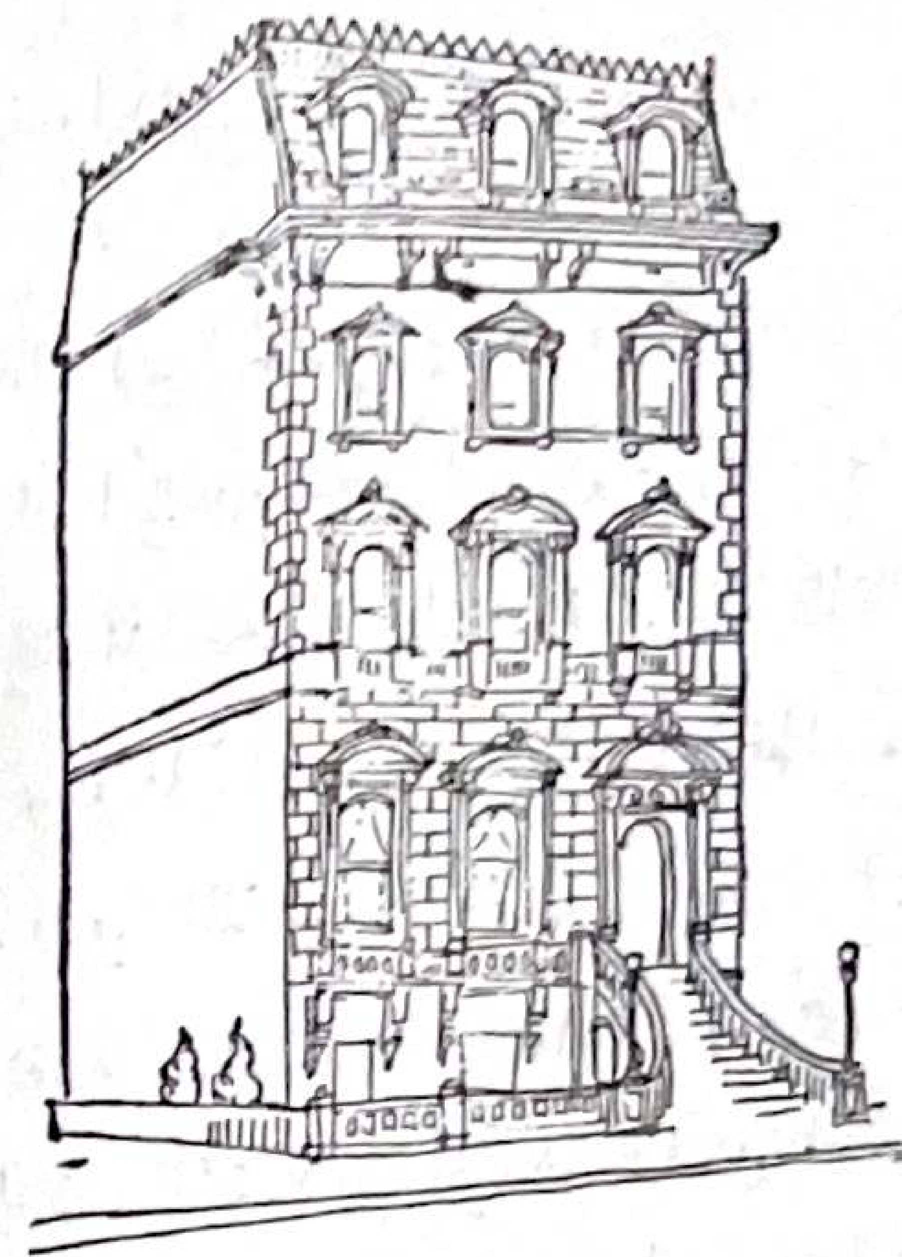
وكما كان الحديد الزهر بدعة فى العمارات الكبيرة ، كذلك كان الآجر

المضغوط والحجر البنى من المواد الجديدة للأبنية الصغيرة . استمر استعمال الخشب مسيطراً على أطراف المدن ، أما فى داخل المدن فقد سيطر الآجر وليس الآجر الخشن البرتقالى المشبع باللون الوردى للسنين الأولى من القرن ، وإنما الأحمر الداكن الذى ما زلنا نراه حولنا ، اتصلت الثورة الصناعية بصناعة الآجر عام ١٨٣٣ فقط لكى تتحطم الآلات بأيدى العمال الذين أحسوا بما يتهدد رزقهم ، ولكن الآجر المضغوط المنتج آلياً عاد إلى الظهور فى فيلادلفيا عام ١٨٤٠ ، وفى حوالى عام ١٨٥٠ كان مستعملا فى جميع المدن الكبرى ، ولكن أحسن أنواعه ما عرف باسم « آجر فيلادلفيا المضغوط » وهو نوع مختلف تمام الاختلاف فى تركيبه ، يتميز بلونه الداكن ونعومته ، بخلاف الآجر الخفيف الخشن .

ميز هذا الانتقال تغيير حاسم ، إذ أن الآجر الداكن يبنى داخل إطار من الحجر البنى ، وقد استخدم الحجر الجيرى والرخام والجرانيت من قبل ، ولكن المادة الجديدة أزاحت كل لك جانباً . لقد طال استعمالها فى وادى كونيكتيكت ، حيث ما تزال توجد منها كميات هائلة مونت أساسات المنازل القديمة بجامعة ييل المنتسبة إلى هنرى أوستن (١٨٤٢) ودار الجمجمة والعظام Home of Skull and Bones (وهى جمعية سرية للطلبة) من تصميم إيثل تاون ، أمثلة لأبنية أقيمت كلها من الحجر البنى . ومهما يكن فى هذين البناء من جمال فإنهما يشكلان إشارة من ذوق العصر ، إلى أن هذا الحجر الذى استخدم فى القطاع الخلفى من مبنى بلدية نيويور فى عام ١٨٠٠ لرخص ثمنه ، لم يستعمل إلا لتزييف واجهات بيوت المدينة من عام ١٨٥٠ إلى عام ١٨٨٠ ، ثم بنيت بيوت بمانهاتان وبروكلين على نطاق أصغر فيما بعد ، صفوف فوق صفوف من الحجر البنى ، أو من الحجر والآجر المضغوط ، وانتشر

الطراز فى البلاد حتى سنسناتى إلى الشمال من تروى وإلى الشرق من بوسطن .

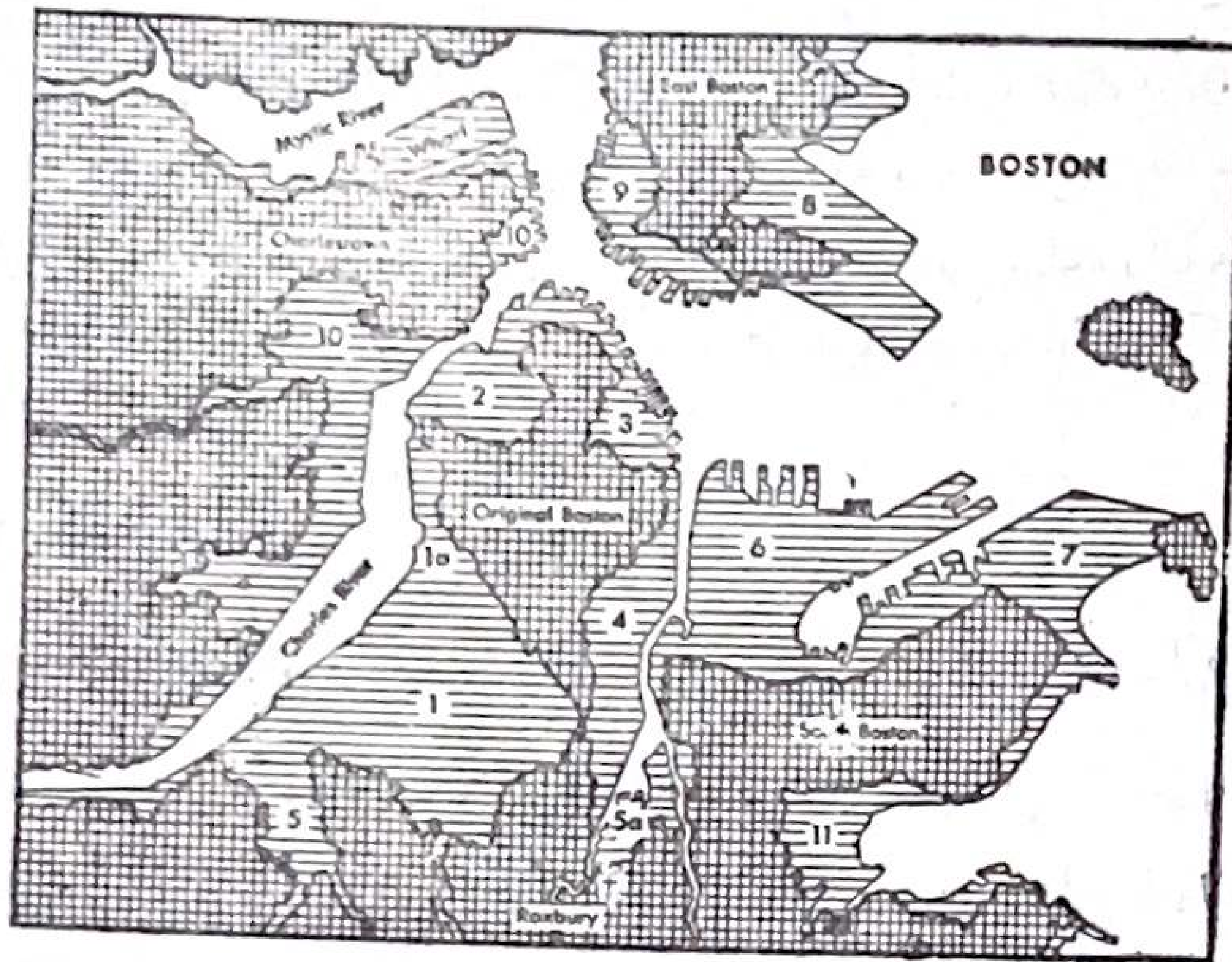
لم تستطع إديث واتون أن تمرر الكرام على الكآبة التى خيمت على نيويورك من عام ١٨٦٠ إلى ١٨٧٠ فقالت : « من أعظم المظاهر كآبة فى طفولتى تلك الذكرى التى تراودنى عن قبح مدينة نيويورك الذى لم يكن يحتمل، وعن طرقاتها التى لم تمس، وبيوتها الضيقة التى تفتقر دواخلها إلى معانى الكرامة ، والتى حشرت فيها المفروشات المتأنقة الخانقة ... » إن مؤلفة (نظرة إلى الوراء) A Backward Glance تصف المدينة قائلة : « نيويورك البغيضة هذه ، فى زخرفها الرخيص،



منزل جميل من الحجر البنى بنيويورك لمدخله شرفة ، وللمنزل سقف منكسر

النازلة عليها لعنة اللون البنى ، لأقبح حجر جلب من محجر (الحجر البنى) . هذه الشبكة الأفقية المكتظة ، التى تكون بلدة دون أبراج أو أروقة أو نافورات أو منظورات ، المحتجبة وراء الوحدة القاتلة من القبح الشنيع ... » .

ولكن على الرغم من الصور العادلة التى رسمتها الروائية ، فقد كان هناك بعض مشروعات تخطيطية مما يدل على أن عصر البخار والحديد لم يكن دون أخيلة. كشفت أرباح العقار عن إمكانيات الأراضى المردومة . كانت المجهودات السابقة متواضعة بالنسبة لها . كان هاريسون جراى أوتيس قد سوى بيكون هيل ، وردم الجزء الذى يعرف الآن بشارع تشارلس ببوسطن ، وفى نيويورك دفعت الجبهة المائية تجاه الهدسون والإيست ريفرز . وأنشئت شركة كانتون بلتيمور قرابة عام ١٨٢٨ لاستغلال ٣٠٠٠ فدان تقريباً مواجهة الميناء ، ولكى تدر أرباحاً ، كان على المنطقة أن تنظر التطور الكامل للسكة الحديدية عام ١٨٥٠ . ومع ذلك فلا وجه للمقارنة بين هذا كله وإنشاء منطقتى «ساوث إند» «وباك باى» فى بوسطن .



خريطة بوسطن الحديثة تبين الأرض المردومة

١ — باك باى ، حوالى ٥٧٠ فداناً تقريباً ، معظمها تم بعد عام ١٨٥٦ ، واستمر حتى عام ١٨٩٤ .

١أ - وست كوف ، حوالى ٨٠ فداناً بدأ العمل بها فى عام ١٨٠٣ وتم عام ١٨٦٣ .
٢ — ميل كوف ، حوالى ٧٠ فداناً ، بدأ العمل فى عام ١٨٠٤ وتم عام ١٨٣٥ .
٣ — جريت أو إيست كوف ، حوالى ١١٢ فداناً — ١٨٢٣ — ٧٤ .
٤ — ساوث كوف ، حوالى ٨٦ فداناً ١٨٠٦ — ٤٣ .
٥ — روكسبورى ، حوالى ٣٢٢ فداناً ، ويمكن القول بأن ردمها بدأ مع تلك التى بباك باى، إذ كانت تكملة لها ، ونشط العمل فى عام ١٨٧٨ وتمت فى عام ١٨٩٠ باستثناء الجزء الذى يحد ساوث باى الذى يوجد بالقطاع ٥ أ .

٥أ - ساوث باى ، يبلغ ١٣٨ فداناً تقريباً ، بدأ عام ١٨٥٠ ولم يتم بعد .
٦ — ساوث بوسطن ، يبلغ ٧١٤ فداناً تقريباً ، بدأ عام ١٨٣٦ ولا زال العمل جارياً به .
٧ — مارين بارك استولى عليها عام ١٨٨٣ ، حوالى ٥٧ فداناً ، جسر إلى كاسل أيلاند ، أول يوليو ١٨٩١ يدخل ضمن تعمير بوسطن .

٨ - ميناء بوسطن الجوى ، صرح به فى ١٢ مايو عام ١٩٢٢ ، حوالى ١٥٠ فداناً عام ١٩٢٨ ، افتتح فى ٨ سبتمبر عام ١٩٢٣ جزء من ردم إيست بوسطن .

٩ — إيست بوسطن ، حوالى ٣٧٠ فداناً ، بدأ عام ١٨٨٠ لم يتم بعد .
١٠ — تشارلز تاون ، حوالى ٤١٦ فداناً بدأ عام ١٨٦٠ ، تم بحالته الراهنة حوالى عام ١٨٩٦ .

١١ كولمبس بارك وستراندواى ، المجموع حوالى ٢٦٥ فداناً ، امتلك عام ١٨٩٠ — ١٩٠١ ، جزء من ردم ساوث بوسطن كما يرى عاليه .

وطبقاً لتقرير « جيمس بروس » من الجمعية البوسطونية ، كانت مساحة بوسطن الأصلية حوالى ٧٨٣ فداناً تقريباً ، ومنذ ذلك الحين أمدت بما يقرب من ثلاثة أو أربعة أضعاف هذه المساحة مما أكسبها خط الشاطىء الحالى .

كان التقدير أن ثلاثة آلاف فدان تقريباً من بوسطن الحديثة تتألف من أرض مستصلحة . وبدأت المدينة مبكراً جداً فى الامتداد إلى خارج نطاق البلدة ذات الشكل الضفدعى للقرن السابع عشر ، ولكن أهم امتداد هو الذى حدث فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . وفى موجة تطور المضاربة بين شارعى تريمونت وواشنطن ، وضع المهندسان المدنيان ا . س تشبرو ووليم بارورت خطة ، بين عام ١٨٤٩ وعام ١٨٥٣ ، على أساس نموذج لندن لعدد من الميادين . وأحسن نموذج باق هو ميدان ورستر . وعلى العكس من ميدان

لويزبورج — الذى خطط عام ١٨٢٦ حيث قام الأفراد ببناء المنازل — كانت كميادين ساوث إند فى صفوف من المنازل ذات الواجهات المقوسة التى بناها المضاربون ، تضفى هذه الصفوف على المنطقة كلها صفة لاتزال تجذب الأبصار ، رغم التغيرات الأخيرة الناتجة من امتداد شارع ماساشوستس .

تبدأ قصة باك باى عام ١٨١٤ مع بناء الرصيف الشرقى ، ويقع الآن وراء شارع بيكون الذى يفصل سهولة المد والجزر عن نهر تشارلس . وبعد إجراء مفاوضات مع الكومنولث بماساشوستس ، حصل جمع من المضاربين فى نهايتها عام ١٨٥٧ على حق شغل السهول التى اعترضتها بعدئذ عدة حواجز للمد والجزر وقضبان السكك الحديدية ، والمظنون أن المعمارى أرثر ديفلان جيلمان هو الذى وضع التخطيط فى نفس العام . وتضمن التخطيط شارع الكومنولث ، أحد المعالم المبكرة للشارع السكنى الكبير ، ولكن لم يبدأ التعمير الفعلى قبل مضى العام ، عندما غطيت حوالى ٤٥٠ فداناً بردم ارتفاعه عشرون قدما . وفى عام ١٨٧٩ خطط فريديريك لو أولمستد متنزه فنواى ، فأصبح علامة لحدود التحسين . ويعوض انعدام الميادين السكنية بباك باى شوارعها المليئة بالمنازل المتينة البناء ذات النظام الدقيق لارتفاعاتها وتتابعها وعماراتها الجميلة المنسقة .

وعلى مستوى أكبر ، ارتبط غالباً بالتطورات العقارية ، كانت الجسور الهائلة التى بدأت تمتد فوق الأنهار الأمريكية والمرافىء . ترتفع أبراجها للمرة الأولى إلى خط السماء . وكان جزر إيدز (١٨٦٧ — ٧١) بسان لويس من أول هذه الجسور ، أقيم تذكاراً لنجاح الكابتن جيمس إيدز فى إنشائه قنطرة واحدة من الصلب عبر المسسبى . ولكن حجب مجهوداته إنشاء جسر بروكلين (١٨٦٩ — ٨٣) الذى صممه جون أ . روبلنج وبناه ولده واشنطون . وللبناء نفسه أقصوصة أسطورية — لقد مات الأب بعد قليل من فراغه من التصميم ، وأصيب

الابن بشلل نصفي من جراء آثار الانحناءات التي كان يكابدها أثناء عمله بالصناديق الغاطسة ، ولكنه باشر البناء من فراش بحجرة ببروكلين هايتس . وتقام جسور أكثر ارتفاعاً وعلى مسافات أبعد — جسر ترانسباى وجسر جولدن جيت بسان فرنسسكو ، وجسر نهر ميستك ببوسطن ، أو أحدث من هذه ، جسر نهر ديلاوير وجسور تشيابيك باى — ولكن لايعدل واحد منها أعمال آل روبلنج ، فعلى الرغم من كونهم مهندسين لم يتحرجوا من طلب معونة الفن ، باستعمال العقد القوطى بالأبراج التى أضفت على الجسر جمالا جذاباً ، تغنى به الشعراء ومجده الرسامون منذ ذلك الحين . كان من أعظم الميزات التى تنعكس على الحياة اليومية تقديم أول متنزهاتنا الحضرية الكبيرة والشارع المخضر السكنى . فقد شعر الكثيرون بضرورة التعويض عن تفشى القبح والبؤس الناتجين عن التصنيع المشوش بإنشاء المتنزهات العامة . كانت هناك متنزهات صغيرة مثل متنزه الباتيرى بكل من تشارلستون ونيويورك ، أو مثل بوسطن كومن ، وحدائق خاصة فتحها للجمهور ملاكها الكرام فكانت كواحات فى الصحراء . ومن هذه كانت حديقة « بلفدير » المملوكة لجون إيجر هاوارد والتى أصبح اسمها علماً على أكبر فنادق بلتيمور . كان النيويوركيون يستقلون « المعدية » عبر الهدسون إلى هوبوكين ، حيث كان جون ستيفنز من رواد بناء السكك الحديدية يرحب بهم فى بساتينه « إليزيان فيلدز » ، وعلى الرغم من أن معهد ستيفنز للصناعات والفنون يشغل معظم العقار ، فإنه يمكن لنا أن نستمتع حتى يومنا هذا بالنعيم الذى حصل عليه الجمهور من منظر النهر والمدينة أمامهم .

وخلاف ما تقدم تاق الناس بغير جدوى إلى المتنزهات والحدائق التى أغفلها رجال البلدية من خطة مانهاتان لعام ١٨١١ . وقالوا للمواطنين المنكودين « من المؤكد ، أنه لو كان قد قدر لنيويورك أن تقوم على ضفة غدير صغير ، كالسين أو التيمس لكانت هناك ضرورة لعدد هائل من هذه المساحات ،

ولكن أذرع البحر هذه الهائلة التى تحتضن جزيرة مانهاتان تجعل من موقعها بالنسبة للصحة والمتعة وتيسير التجارة مكاناً تحسد عليه » . كان على نيويورك أن تنتظر خمسين عاماً قبل أن تلتقى بجهاد الشاعر وليم كان بريانت ومصمم المناظر أندرو جاكسون داوننج لكى يحثا على إنشاء متنزهها العام .

ويرجع الفضل لفيلادلفيا فى أنها فى عام ١٨٥٥ كان لها المتنزهات العامة من أية مساحة ، واليوم تعد فيرمونت بارك ومساحتها ٣٨٤٥ فداناً تقريباً ، أكبر المتنزهات العامة داخل حدود أية مدينة بالبلاد . ولما كانت المدينة تستمد حاجتها من الماء من شكويلكيل ، كان محتماً عليها صيانة ضفاف النهر . وفى عام ١٨١٢ اشتريت أول خمسة أفدنة لإقامة محطة توزيع المياه بالطلمبات ، وفى هوادة تم الحصول على المزيد من الأرض ، فما وافت سنة ١٨٧٠ حتى كان المتنزه يضم ٢٠٠٠ فدان تقريباً . إن إنشاء مأمورية متنزه فيرمونت ، وجعل جزء منها للجمهور وجزء خاص فى عام ١٨٦٧ ، وإنشاء الجمعية الفنية لمتنزه فيرمونت عام ١٨٧٢ ، مما ساعد على تحويل الفدادين الواسعة إلى المنظر البديع الذى نشاهده اليوم .

وإذا كانت لفيلادلفيا الزعامة بالنسبة للمساحة ، فقد كانت زعامة الفن لنيويورك . فبطبيعة الحال كان إنشاء حديقة سنترال بارك المذكورة آنفاً ، هو علامة الطريق فى تاريخ المتنزهات الأمريكية . وفى عام ١٨٥٨ رتبت مسابقة لتصميمها ، وحاز الجائزة ابنا كونكتيكت المعماريان الإنجليزيان فريديريك لو أولمستد وكالفرت فوكس من شركاء داوننج . وفى مركز جزيرة مانهاتان ، اقتبس برج داوننج المتماوج بمهارة بما يناسب حاجة الجمهور إلى الملاعب . وأضاف الفنانان مساهمتهما الخاصة مستغلين طبوغرافيا المكان ، مستعملين ابتكارات كالممرات الغاطسة لتخليص المتنزه من المرور المعلق للراحة ، وهو نظام حاكاه

فى أمانة مهندسو الطرق السفرية المحدثون . صمم المهندس كالفرت فوكس كثيراً من الأبنية الصغيرة المنتشرة فى هذا المتنزه الكبير . وفى هذا يخاطب أولمستد الجمعية الأمريكية للعلوم الاجتماعية فى عام ١٨٧٠ قائلاً : « قد تشاهدون غالباً الجموع الغفيرة من الناس تتجمع معاً ، الغنى منهم والفقير ، الشباب والشيوخ ، اليهودى والوثنى . لقد رأيت أنا مائة ألف يتجمعون هكذا . . . . ولقد بحثت، دون جدوى ، بينهم عن وجه واحد لا تحمل تقاسيمه انفعالات الطيبة السائدة وانشراح الصدر ، لا شك أنه مما يجلب الخير للإنسان أن يجتمع بهذه الطريقة فى الهواء النقى وتحت نور السماء . »

وبالنسبة لأولمستد كان الأمر بداية لعمل عظيم ، ولكن تقطعه عليه الحرب الأهلية عندما يصبح سكرتيراً للجنة الولايات المتحدة الصحية ، وهى الهيئة التى سبقت هيئة الصليب الأحمر الأمريكية . ومع ذلك يستأنف عمله العظيم عندما يحترف إنشاء المناظر . وبعد عام ١٨٦٥ نجده فى كل مكان ، فى بافلو (متنزه ديلاوير) ، وفى بروكلين (متنزه بروسبكت) ، وفى ديترويت (متنزه بل ايل) ، وفى منتريال (متنزه مونت رويال) ، وفى واشنطن (حدائق كابيتول الولايات المتحدة) وفى بوسطن (متنزه بوسطن) وعلى الرغم من كل هذا توفر لدى أولمستد الوقت لكى يكافح بالاشتراك مع تشارلس إليوت نورتون المؤرخ المرموق لاستصلاح المنطقة المجاورة لشلالات نياجرا . وحصل أولمستد على أمجاد أخرى بمدينة عصر النهضة الأمريكية ، ولكن أجل أعماله هو ما ينتمى إلى فترة الحرب الأهلية .

وكان من نظريات أولمستد عن المتنزه المركزى أن يربطه بجميع أجزاء المدينة بطرق عامة خضراء . ومع أن هذا لم يعمل به أبداً فإن الشارع المخضر سرعان ما ظهر فى أنحاء أخرى من البلاد . ولم يحصل الشارع السكنى ذو الأشجار على أى اهتمام كمظهر من مظاهر تخطيط المدينة ، ولكن لم يكن ثمة مفر من تجربة

ابتكارات البارون هوسمان الباريسية فى أمريكا ، فقد احتجزت بعض الشوارع مثل شارع برودواى بنيويورك ، أو باتيرى بتشارلستون ، للساكن الأكثر تمشيا مع النمط الحديث فى عام ١٨٠٠ . ولكن الشارع الفريد جاء نتيجة للتقليد فضلاً عن التصميم . وكان هناك استثناء واضح فى شارع هيلهاوس بنيوهافن ، الذى أنشىء مبكراً عام ١٧٩٢ . فعلى الرغم من هدم بعض منازله ، بقى واحداً من أجمل الشوارع بالبلاد ، والقصور من الطرز التوسكانية والإغريقية الناهضة من تصميم إيثل تاون ، وألكسندر جاكسون دافز ، وهنرى أوستن لا زالت تضفى عليه طابعاً لا يدانى فى أى مكان آخر . وكان هناك ، بالطبع ، شارع كومنولث فى بوسطن ، ولكنه لم يدخل إطاره المعمارى فى أواخر سبعينات القرن التاسع عشر وثمانيناته .

وفى المدن الناهضة بالغرب الأوسط جاء الشارع السكنى على حسابها ، فازدهر شارع أوكليد بكليفلاند فى السنوات العشر التى أعقبت الحرب الأهلية عندما أقام أصحاب الملايين الجدد ، الذين جمعوا ثرواتهم من شقق أسفل المدينة الكريهة الرائحة ، قصورهم الواسعة بالشوارع العامة العريضة . كان خط مزدوج من الأشجار يكون مظلتين مورقتين لا تعطلهما الشوارع المستعرضة لنصف ميل أو يزيد ، وعلى كلا الجانبين تتكرر المروج والحدائق فتشهد الجمال الذى يبدو كأن لانهاية له . ويعتبر الشارع المعروف باسم بروسبيريتى أو مليونيرز رود أجمل شوارع أمريكا ، ويتشابه مع شارع نيفسكى بروسبكت بسان بيترسبورج . وفى شيكاغو أنشىء شارع دريكسل تقليداً لشارع لامبيراتريس بباريس كجزء من نظام المتنزهات الذى سانده مستغلو العقار ، وعرض الشارع ٢٠٠ قدم بكل جانب من جانبيه صف من المبانى من أربعين قدماً وصفوف من الأشجار بالوسط . وغير هذا كان شارع سميث بسان بول فى مينيسوتا ، حيث أمضى سكوت فيتزجيرالد فيما بعد أيام فتوته فى منزل من الحجر البنى ومن

طراز نيويورك ، وشارع بروسبكت بميلووكى من أعمال سان لويس بميسورى ، وأصبح الشارع السكنى شارعاً خاصاً عريضاً له بوابات بكل من طرفيه لضمان العزلة . وأول قصور هذا النوع بنتون بليس ، ويرجع تاريخه إلى عام ١٨٦٧ ، وفاند فنتر بليس من عام ١٨٧٠ . وكان للأخير قائمة طويلة من أعمال الصيانة ، فالدرج الحجرى ينبغى أن يحك مرتين فى الأسبوع ، وللنوافذ ثلاثة أطقم من الستائر وتبع ذلك ويستمورلاند بليس فى عام ١٨٩٩ ، وهو من أحسن القصور المعتنى بها حتى يومنا هذا .

كان الشارع السكنى جزءاً من طراز الإمبراطورية الثانية . وتمشياً مع رصفائهم الباريسيين ، بنى ثراة الأمريكيين بيوتاً مناسبة ، حيث يمكنهم استضافة الناس ، وأنشأوا الشوارع الطويلة المخضرة ، حيث يعرضون أنفسهم جيئة وذهاباً بعرباتهم . ولكن بفرار أصحاب الملايين إلى الضواحى البعيدة ، تغير هذا النموذج تغييراً تاماً .

٤ — الطراز البهيج:

اكتشف الأمريكيون فى العصر الرومانتيكى أن هناك جانباً آخر للطبيعة غير البرارى الخطرة . وقد أصبحت الصورة الريفية مصدر إلهام لدرجة التأثير على العمارة بالمدن . وبانتشار السكة الحديدية بدأت الصورة فى التلاشى ، وهجر الذوق الريف عائداً إلى البيت الحضرى ، كما حدث بالنسبة لعمارة المنظر الطبيعى التى اقتصرت فيما مضى على الفيلا الريفية ، عندما انتقلت إلى الريف بتأثير من سحر أولمستد .

كان من رأى هنرى أدامز أنه « منذ اللحظة التى عرفت فيها السكة الحديدية بدأت الحياة تتخذ طريق الإسراف . » وذلك بالنسبة لمحدثى الثراء الذين تجمعت

ثرواتهم من السكة الحديدية ، وكل ما وفرته من إمكانيات . كانت الحياة أكثر انصرافاً من أن تكون متهورة فى المدينة حيث توجد الجماعات المشاهدة . ولاريب أن باريس ،(باريس الإمبراطورية الثانية) قد صارت المثل الأعلى والنموذج للجميع . كانت العاصمة الفرنسية تملى موضة السيدات فى أمريكا منذ أن وضعت الحروب النابوليونية أوزارها . ومنذ عام ١٨٤٠ تطلع الأمريكيون إلى المرايا الفرنسية ، والساعات والستائر والأثاث واللعب ، وقد أثث هنرى أوستن معمارى نيوهافن دار ر . س . مورس (١٨٥٩) فى بورتلاند فى « مين » بأفخر طراز فرنسى لعام ١٨٥٠ ، وأثثت على نفس النمط دار هارل (١٨٤٦ — المعمارى ألكسندر جاكسون دافيز) فى بريد جبورت . وسرعان ما أنتج جون هنرى بلتر ، آخر صانعى الأثاث الكبار بنيويورك ، أثاثاً وأشياء أخرى من النوع الذى نقلته الإمبراطورية الثانية عن طراز لويس الخامس عشر .

كان من شأن السلطة التى استحوذ عليها نابليون الثالث وزواجه من أوجينى الحسناء أن جعلت من باريس كعبة لجميع الأمريكيين ، واستقر الأمريكيون هناك فى عهد الإمبراطورية الثانية فى أعداد جعلت منهم مستعمرة دائمة . وشاركت موسيقى أوفنباخ ألحان ستيفن فوستر ، وانهمك الأمريكيون بأرض الوطن فى الواقع بالسير فى أزياء زاهية الألوان مقلدين الجنود المغاربة بالجيش الفرنسى ، حتى إن جنود المدفعية بالشمال كانوا يلبسون قبعة عسكرية تشبه تلك التى تصنعها القوات الإمبراطورية . ودخل أعضاء الكونجرس فى دوامة الموضة ، فتشبهوا بالسياسيين الفرنسيين فى وضع زهور الشاى بعروة السترة على طريقة السياسى الفرنسى والأخ غير الشقيق للإمبراطور الدوق دى مورنى . كان الإمبراطور بلحيته المدببة الأنيقة ينافس جيلا مضى .

ونهضت فى المدن والبلدان طائفة من الأذواق المعمارية : طراز الإمبراطورية

الثانية ، وعدة أشكال من الفن القوطى الناهض ، والملكة آن والريتشاردية الرومانسية . لم تكن هناك « مدرسة » للتوجيه كما كان الحال أيام جفرسون ، حيث استبدلت الحال بالبحث عن المتنوعات من جانب الرومانتيكيين ، وازداد التركيز عما كان عليه فى الجيل الذى مضى ، على كل ما خرج عن المألوف أو ما كان أصيلا أو حاد التأثير ، أقوى مما كان على الجمال أو الجلال . ولهذا السبب يمكن تسمية معرض الطرز هذا بالبهيج ، وهو طراز يبلغ ذروته فى أعمال هنرى هوبسون ريتشاردسون الحجرية الجبارة . إن الجمالون وهو السقف المنحدر الذى ابتكر فى باريس لتجاوز قيود الارتفاع يشاهد فى جميع أنحاء البلاد فوق المنازل ذات القمم أو يتوج فندقاً ببلدة صناعية . والمفروض أن نيويورك احتوت على أول هذه السقوف عام ١٨٥٠ ، إذ اعتلت منزلا بالشارع الخامس صممه دتلف لينو ، وهو معمارى من أصل ألمانى تدرب فى باريس ، وسوف تفخر كل مدينة وكل بلدة بالسقف الجمالون قريباً . أما نادى « يونيون ليج » بفيلادلفيا ، الخاص برجال الأعمال والحرفيين ، الذى أسسته جمعية من رجال الأعمال و الحرفيين لزيادة مجهود الاتحاد فى الحرب الأهلية ، فله دار من الآجر المضغوط والحجر البنى (١٨٦٥) ذات سقف من الجمالون ملحوظ . وهناك مثل آخر فريد هو مصنع هارمونى رقم ٣ (١٨٦٦) بكوهوز ، بنيويورك .

كان قصر التويلرى بباريس ، مقر إمبراطور الفرنسيين ، هو النموذج الأكبر. هنا كان « الطراز » يتكدس فوق الآخر فى نظام بديع ينتهى إلى سقف عال . طراز رسمى من صميم التقليد الكلاسيكى نقل آلياً إلى مبانى الحكومة الأمريكية . وتحتل دائرة الولاية بواشنطن بناء مستطيلا (١٨٧١) من تصميم أ.ب مولت ، يعتبر نموذج العاصمة الرئيسى لطراز الإمبراطورية الثانية ، ومبانى البلديات فى بوسطن ، وديترويت وفيلادلفيا نماذج أخرى واضحة ، إن هذه المبانى العامة وخصوصاً مبنى بلدية فيلادلفيا (١٨٧١ — ٨١) من تصميم جون ماك أرثر

الابن و توماس ى . وولتر ما زالت تسترعى الاهتمام ولا ينقصها الجلال . . . كما لا ينقص بناء كلية فاسار ، الذى أقيم عام ١٨٦٥ لجيمس رينويك الابن ، سوى الألوان الفرنسية الثلاثة ، لكى ينتقل تصورنا إلى باريس و بلاط الإمبراطورة أوجين .

أكمل ألكسندر جاكسون داونز وريتشارد إبجون العمل طبقاً للطراز القوطى فى عام ١٨٥٠ ، ولو أنه لم تبق أمثلة لها ميزة من أعمالهما فى تلك الفترة . نشر إبجون الكنائس الصغيرة ومعظمها إبسكوبالية ، فى أنحاء ولاية نيويورك وماساشوستس ، وأحسنها كنيسة سان بيتر بألبانى ، ولكن الحرب الأهلية عملت على الإقلال من نشاط كليهما ، ومع كل اتخذ جيمس رينويك الابن طرازها ، وإليه ندين بكاتدرائية سان باتريك(١٨٥٨ — ٨٧) بمدينة نيويورك ، وظهر شكل آخر للطراز القوطى المأخوذ عن انجلترا فى الخمسين سنة الأخيرة ، استوحى من كتابات جون رسكين الناقد الفكتورى الكبير ، ولم يخفق هذا الطراز الإنجيلى المنشور لنبى المستقبل هذا فى مس مشاعر المشاهدين بأمريكا ، فكان له هنا جمهور يعدل ما كان له بانجلترا . والقاعة التذكارية (١٨٧٤) من تصميم المهندسين ويروفان برنت ، والتى أقامتها جامعة هارفارد ، تشهد بتأثيره على نيو إنجلاند، كما تطبع الآثار القوطية الرسكينية (مثل الموجودة ببلدية نيوهافن من أعمال أوستن عام ١٨٧١) بطابعها عدداً غير قليل من المجتمعات الأمريكية .

ومع ذلك كان حرياً بالظهور طراز قوطى آخر جاء هذه المرة من فرنسا ، ظهر مع أقوى شخصية فى عمارة القرن التاسع عشر فى هذه البلاد وفى أوربا ، شخصية ليس تأثيرها اليوم بأقل مما كان عليه بالأمس ، وذلك بسبب تأكيده للهيكل فى التصميم ، إنها شخصة أوجين إيما نويل فيوليت لودوك . تحول مرمم نصف عدد كاتدرائيات القرون الوسطى وحصونها بفرنسا من أعماله الأثرية إلى

تصنيف الموسوعات المعمارية ، المليئة بالرسوم وغيرها من المؤلفات فيما بين ١٨٥٤ و ١٨٧٨ ، بجود غمر تيارها عالم الفن ، وشعر المعماريون الأمريكيون أمثال ريتشارد موريس هنت و بروس برانس وفرانك فيرنس و إخوان هوبت بتأثيره المباشر عليهم ، وفى أمريكا لا تلس أعماله فى عمارة الكنيسة بقدر ما ترى فى الأعمال المتعلقة بالتجارة والمنزل .

وما زال عدد كبير من البنوك بشارع تشستنت فى فيلادلفيا ينطق بذكر الرجل ، وعند تصميم أكاديمية بنسلفانيا للفنون الجميلة (١٨٧١ — ٨٦) فى نفس المدينة ، كان فيرنس وهويت ينفذان إرشادات المرمم الفرنسى .

وحتى قاعة الاستقبال لم تستطع الهرب من الفرنسى النشط ، والفضل لكتاب « لمحات عن ذوق المنزل والأثاث والتنجيد و تفصيلات أخرى للناقد الإنجليزى تشارلس ل . إيستليك (١) . ونشأ ذوق جديد فى الزخرفة الداخلية والأثاث أخذ عن « لمحات » إيستليك ، وجميعها استمدت من فيوليت لو — دوك . ويؤكد لنا الكتاب « أن فى محيط ما يسمى الفن الصناعى ، كان الاستعمال والجمال نظرياً على أقل تقدير ، على اتصال وثيق أحدهما بالآخر ، إذ أن أكثر المصنوعات تواضعاً إذا ما أحسن تصميمها يكون لها الطابع الجمالى الخاص بها ، على حين لا تستدعى أية وحدة زخرفية إعجابنا الحقيق ، دون أن تكشف بطبيعتها عن الغرض من القطعة التى تزينها . إن إحدى الفضائل الرئيسية للطراز المذكور (القوطى) هى أن أصل كل وحدة زخرفية لابد أن يؤدى إلى غرض بنائى » ويتردد صدى رسالة إيستليك فى مؤلفات « المدرسة الوظيفية » ، على الرغم من أن التصميمات التى ابتدعها ليست لها أية صلة بالطراز العالى « المعاصر » . ظهرت أول طبعة بالإنجليزية لإيقستليك عام ١٨٦٨ ، والطبعة الأمريكية الأولى عام

(1) Hints on Household Taste in Furniture Upholstery and Other Details by Charles K • Eastlake .

١٨٧٢ . وقرابة عام ١٨٨١ كان قد طبع من الكتاب سبع طبعات فى هذه البلاد وحدها . وأكد طراز إيستليك « الأمانة » أكثر من المتعة ، والخط المستقيم بدلا من المنحنى ، والواقع أن الخطوط الناعمة للإمبراطورية الثانية كانت قد اختفت قرب نهاية عصر البخار والحديد .

و بعد ذلك بقليل اتخذ ألبرت هابارد التقليد الذى بدأه إيستليك وإنجليزى آخر يدعى وليم موريس . وكان هبارد بائع صابون ممتازاً ورائداً فى شئون الإعلان فى إيست أورورا بنيويورك ، وافتتح ورشاً حرفية ناجحة للطباعة ، ولصناعة الأثاث وأشغال الجلود ، وكان يعلن مغامراته ويسندها بالمحاضرات وبمجلته « الفلسطينى » (ومن أشهر مجهوداته فى الأدب « رسالة إلى جارسيا » ، ألفت عام ١٨٩٩) وكان الأثاث الذى صممه حاوياً لملامح تعكس « طراز الإرساليات » ، وقد عمل جوستاف ستيكلى فيما بعد على ترويجه ، وهو يسير على نهج فيوليه — لو — دوك وإيستليك بالكشف عن طريقة صناعتها . كانت صلة هبارد بالمحاضر ترجع إلى صداقته مع فرانك لويد رايت ، وكان بعد شاباً ، فقد أسرّ هبارد إلى رايت فى عام ١٨٩٠ أن « التواضع فى معرفة النفس قد يقلب الأمور رأساً على عقب . فلأقل لك الآن إننى خطيب مفوه ، لدى الصحة ، والتعبير ، والخيال ، والصوت ، والبيان ، والذوق ، والأفكار . إننى أعترف بذلك ، والذى ينقصنى شكلا أعوضه أعصاباً . . » وكان رد رايت « إننى لا أنوى أن أكون أعظم معمارى أنجبه العالم فحسب وإنما أعظم معمارى سوف ينجبه العالم . نعم ، إننى أنوى أن أكون أعظم معمارى لجميع الأزمان . . . »

كان من المألوف فى وقت من الأوقات تجميع كافة طرز القرن التاسع عشر تحت اسم « الطراز الفكتورى » . واليوم نعرف بصور عامة أن هذه الطرز

تفرعت من تأثيرات فردية فرنسية أو إنجليزية . وبنفس الطريقة أطلقنا اسم « جنرال جرانت » على بعض الأبنية الخشبية لا لشىء إلا لأنها ظهرت عندما كان الجنرال جرانت رئيساً للجمهورية ، والواقع أن هذا الطراز نشأ إلى حد كبير عن ريتشارد نورمان شو ، وهو إنجليزى آخر ممن عكفوا على دراسة موسوعات فيوليت — لو — دوك . وكان المخدع النوطى ، والمذهبات ، والطنف البارزة بعض ما قدمه ، كما قدم النموذج الجديد لهيكل الجالون الخشبى الذى يمكن أن نقتفى أثره فى موضوع « بلاط الإردواز » فى قاموس العمارة الفرنسية ، من القرن الحادى عشر إلى القرن التاسع . أضاف شو إلى كل هذا تفاصيل كلاسيكية أعلن بها مولد الطراز المعروف « بالملكة آن » فى انجلترا ، رغم أنه لاعلاقة البته بينه وبين عمارة عهد تلك العاهلة التى كانت تعانى من مرض النقرس .

ما زال الكثير من العمارة الخشبية البهيجة موجوداً حتى اليوم . فى الضواحى المتقدمة التى بدأت تتتابع وتظهر فى أطراف مدننا . واليوم تبتلع المدن ماتبقى منها ، ومع ذلك نجد واحدة أو اثنين من هذه الضواحى ، وقد وقعت بعيداً عن التيار العام ، ومثال ذلك لويلين بلرك بنيوجيرسى التى صممها دافيز عام ١٨٥٢. ومع أن الأبنية التى صممها قد زالت كلها من الوجود تقريباً ، فهناك عينات من الطراز الكبير العام فى ضاحية أخرى بهيجة هى ريفرسايد (١٨٦٩) أنشأها أولمستد وفوكس بأطراف مدينة شيكاغو . كان « شو » يشعر بأنه فى بيته لو أتيح له أن يكون بين بيوتها الخشبية القديمة . وإلى جانب الضواحى الناشئة لذاك الزمن ، كانت المستعمرات الصيفية المزدهرة تقدم عينات من المنظر البهيج . ومع التحسن البادى فى خدمات السكك الحديدية فيما أعقب الحرب الأهلية ، بدأت الأعداد المتزايدة فى نبذ المدينة إلى الجبال وشاطىء البحر ، وإذ ينفد صبرهم من الفنادق الخشبية الكبيرة ، يبدأون فى بناء أكواخ خاصة

بهم تطل على البحر ، وحتى الجنرال جرانت نفسه عندما كان رئيساً للجمهورية كان له البيت الصينى فى لونج برانش بنيوجيرسى فهو بعيد عن مدينة نيويورك . وكان لنيوبورت أيضاً قبل ظهور قصور (النهضة) الشاطئية بها ، كثير من المنازل الخشبية وساحات مريحة على الطراز الحديث ، وكانت ممرضات نيويورك وعائلاتهن يلذن بها فى الصيف لحضور نزهات الشمبانيا التى كان يقيمها رئيسها ماك أليستر ، بينما كان أزواجهن يعملون بعيداً فى المدينة .

ومن بين أجمل بيوت الصيف التى بنيت عام ١٨٧٠ تلك التى بناها معمارى بوسطن الذائع الصيت هنرى هوبسون ريتشاردسون ، وهو واحد من أوائل المعماريين الأمريكيين الذين تدربوا فى فرنسا ، وقع ريتشاردسون تحت سحر فيوليت — لو — دوك ولكنه على عكس غيره ، قام بتطوير طرازه الخاص . كان فيوليت لو — دوك قد أعاد الكشف عن الرومانسية الفرنسية ، العمارة الأوروبية فيما بين العهد الرومانى والعهد القوطى ، وهذا ما أخذه ريتشاردسون وحوّله إلى الأمريكية . وكان ظهوره على مسرح العمارة كالنحلة الطنانة وسط الفراشات إذ أنه بدد كل ما حوله . ومن عام ١٨٧٥ إلى عام ١٨٩٠ كان له أن يستمتع بشهرة منقطعة النظير . فاستعماله الحريص للمواد ، ومبانيه الصلبة التى تشبه القلاع ، وولعه بالابتعاد عن التماثيل (السيمترية) ، وعمق معالجته للأمور ، كل هذا مهد الطريق لأول انشقاق تصويرى Picturesque Secessionism وهو تقليد يعيش حتى اليوم فى أعمال فرنك لويدريت . و « الانشقاق التصويرى» هو التعبير الذى استعمله المرحوم تشارلس هربرت ريلى ، الناقد ، المعمارى البريطانى الممتاز ، وهو عبارة عن الحركة المعمارية للانشقاق عن التقليد الكلاسيكى والعودة إلى المؤثر التصويرى بتأكيد قوى لميكانيكية البناء كهدف جمالى . وتبدأ هذه الحركة التى يطلق عليها اليوم اسم « الحديثة » أو النظامية » فى وضع قسط للأصالة كهدف ، الأصالة التى تأخذ مكان الجمال (الهدف التقليدى للمعمارى) .



كنيسة ترينتي فى بوسطن صممها هنرى هوبسون ريتشاردسون عام ١٨٧٦ .

كان شيلى ، وروتان وكوليدج (وتدعى مؤسستهم الآن شبلى وبولفنش وريتشاردسون وأبوت) فى بوسطن ، وكذلك إخوان بوتر بنيويورك ، وجون ولبورن روت ولويس سوليفان بشيكاغو ، ولورى س . بفنجتون فى منيا بوليس من أكثر أتباع ريتشاردسون حماساً ، فضلا عن كونهم من أسرع من بادروا باتباع أساليبه .

وطبعت البيوت الأكثر جدة بشوارع الغرب الأوسط المورقة بطابع طرازه . ولكن الذى يبين مدى تأثيره فى ذاك هو عمارة الكنيسة . كانت كنيسة ترينتي (١٨٧٦) فى بوسطن حيث أقام القداس لجـــون لافارج وأوجستس سان ـــ جودفز وستانفورد وايت من أعز ما يفخر به من آثار ، وتعتبر نموذجاً لأعماله . وتشاهد مجموعة كاملة من المبانى العامة والخاصة من أعمال هذا المعمارى البوسطونى فى شمال إيستون بماساشوستس ، البلدة ذات المنظر البهيج التى بناها أوكس وأوليفر إيمز من أوائل منتجى المجارف ومن مضاربى السكك الحديدية . وبقدر ما ثبت من قوة تأثير أعمال ريتشاردسون فى معركة الطرز ،

كان نسيانه عندما ألقى بحركة الانشقاق التصويرى جانباً ، وطغت عليها النهضة الأمريكية .

لم يكن مفر من أن تُجهد معركة الطرز التصويرية البهيجة الجمهور بتباينها ومحاولاتها فى سبيل الأصالة . معركة انتهت بتفريق الآراء . وعندما حدث ذات مرة أن أعيد تقرير الطراز الرومانى الأمريكى ، حين أظهرت النهضة الأمريكية قيمتها ، عرف الأمريكيون ساعتئذ إلام يتحولون . وفى مستهل عام ١٨٨٠ دعت مجلة بوسطن المعمارية قراءها للاقتراع على الكشف عن البناء المحبب إلى نفوسهم . وجاءت كنيسة ترينتي فى المقدمة بأغلبية ساحقة ، وبعد خمسة عشر عاماً نظمت مجلة أخرى نفس الاستفتاء . وفى هذه المرة وقع اختيار القراء على الكابيتول الوطنى . . . وهكذا كان عصر المشهد البهيج يذهب تدريجياً فى طريق النسيان .

الجزء الخامس

المدنية كطريق للحياة

المدينة النامية رقم ١

١٨٨٠ – ١٩١٠

كان الكساد الهائل الذى استمر من عام ١٨٧٣ إلى عام ١٨٧٩ إيذاناً بانتهاء عصر البخار والحديد. فعندما خرجت الأمة من أزمتها الاقتصادية قفزت المواصلات والتصنيع وقفزت المؤسسات الكبرى إلى الأمام. ووضع التوسع قدراً أكبر من الثقة فى المشروعات الفردية باحتضان الأمريكين لفلسفة هنرى سبنسر. كانت رسالة إيمرسون فى عام ١٨٤٠ هى المبادرة والابتكار الشخصى، والصناعة والترتيب الذاتى، رسالة وضعها سبنسر فى صلب التقدم العلمى. وفى عام ١٨٦٠ طبق الفيلسوف الإنجليزى الفكرة البيولوجية عن بقاء الأصلح على الإنسان، وأنشأ علماً للاجتماع مما جعل أندروكارنيجى يهتف لدى قراءته لكتاب سبنسر للمرة الأولى قائلا: «لقد جاء النور كالطوفان ووضح كل شىء». اتفق الأمريكيون بجميع مشاربهم — القساوسة، والكتبة، والأساتذة، والعمال، والمحامين والساسة ورجال الأعمال — اتفقوا وبملء القلوب رحبوا بالرأى القائل بأن حرية المنافسة أو حتى المنافسة القوية بين الأفراد كانت ضرورية للنهوض الطبيعى للأصلح الذى قدر له أن يقود أمريكا. ولم يعترض سوى عدد قليل على أن كبار رجال الأعمال هؤلاء كانوا باسم الحرية الاقتصادية ينظمون الاقتصاد الوطنى فى جماعات وشركات احتكارية هائلة، وفى ذلك قال جون د. روكفلر وهو يستعرض عمله الماضى: «كانت هذه الحركة أصل كل نظام الإدارة الاقتصادية الحديث، وقد أثارت طريقة التعامل فى العالم أجمع وكان الزمن حليفاً لها. كان يجب أن تقوم هذه الثورة لو أن كل ما شاهدناه فى الوقت الحاضر هو الحاجة إلى إنقاذ أنفسنا من الأوضاع الخاسرة إن عهد تجميع الجهود جاء ليبقى، لقد ذهبت الفردية إلى غير رجعة وطوقت أمريكا المثل الأعلى «الضخامة» كما احتضنت المثل العليا للمنافسة الحرة وبقاء الأصلح... فى الاتحاد والثروة وفى القوة العالية كما فى المشاكل الاجتماعية وفى

مدنهم . ويعجب البعض لأنهم أنشأوا بلداناً صناعية قبيحة الصورة ، ومدناً دَغلية عملاقة . إنها كانت أدوات فخر كما هى أدوات يأس . وشجعت الهجرة إلى أمريكا على نطاق لم يسبق له مثيل ، فوصل أكثر من مليون مهاجر فى العشر سنوات التى أعقبت عام ١٨٨٠ . وفى عام ١٨٨٠ اكتشف القائمون على شئون التعداد أن نيويورك كانت أولى المدن فى حشد سكان يزيد عددهم على مليون نسمة . وبلغت شيكاغو نفس الطموح بدنو عام ١٨٩٠ ، ومنذ ذلك الحين اعتبرت المدينة العامل المسيطر على الحياة الأمريكية .

١ — الموجة التكنولوجية

لم يكن يقدر للمدينة الجديدة أن توجد لولا معونة الاختراعات والآلات والتكتيكات الجديدة ، والأشكال الجديدة للإنتاج والتوزيع . وبدون شك كان النور الكهربائى أهم هذه الاختراعات . اخترع إديسون مصباحه عام ١٨٧٩ ، وبعد سنتين وبمعونة مالية قدمها ج . ب . مورجان ، أقام أول محطة للقوى الكهربائية فى العالم بشارع بيرل بقطاع الشاطىء من مدينة نيويورك . وبدنو عام ١٩٠٠ أصبحت الكهرباء شيئاً عاماً ، إذ أفاض « الطريق الأبيض الكبير » أو برودواى كما نعرفه من سحره على الجمهور بعد عدة سنوات . أما بالنسبة للأنوار الليلية الملونة فقدكان على أمريكا أن تنتظر حتى عام ١٩٢٣ عندما أكمل المخترع الفرنسى جورج كلود أنبوب النيون ، وثبته على دار السينما بميدان تايمز .

ولم يعد التليفون بعد لعبة ، فكان لنيوهافن أول لوحة تحويل (سويتش) تجارية فى عام ١٨٧٨ . وسرعان ما تلاقت أسلاكها بأسلاك التلغراف الموجودة من قبل فوق شارع المدينة فيما يمكن أن يكون أسوأ شكل للزخرف الحضرى . ولكن الأسلاك والأعمدة التى ما زالت تشوه مساحات كبيرة من مدننا اختفت

من المراكز الحضرية فى مستهل عام ١٨٩٠ ليس بدافع الرغبة فى تجميل المدينة ولكن لإصلاح عطب . فقد تقطعت الأسلاك وانهارت الأعمدة تحت ثقل ثلوج وجليد الشتاء ، كما تشهد بذلك أية صورة فوتوغرافية لعاصفة عام ٨٨ الثلجية المشهورة .

كان استخدام الكهرباء فى المواصلات جزءاً هاماً من ذلك العصر ، ومع ذلك بقيت العربة التى يجرها الحصان الوسيلة الرئيسية للمواصلات الرخيصة حتى عام ١٨٩٠ ، على الرغم من أن المركبة المقطورة بالأسلاك والتى استخدمت للمرة الأولى فى سان فرنسيسكو عام ١٨٧٣ قد أتت بها بعيداً عن الخطوط الرئيسية . وقد استخدم هذه الطريقة فى شيكاغو عام ١٨٨٣ « تشارلس بيركس » الذى اتخذه « تيودور درايزر » نموذجاً فى قصصه « فكان ذلك السلك الذى يتحرك تحت الأرض وحجرة الأسلاك الخاصة به عبارة عن المقدمة لظهور عملية السحب الكهربائية . ولقد قدر لريتشموند بفرجينيا أن ترى أول ترولى يدرج بشوارعها عام ١٨٨٨ . ولم يمض طويل حتى كان رجال الأعمال قد بدأوا فى استخدام الترولى ، وكان من بينهم وليم س . ويتنى وجوزيف ويدنر وهارى الكنز وتوماس فورتشن ريان وغيرهم من الشركاء ، ذاع صيتهم وعرفوا باسم « دائرة المقطورات » وهم الذين تحولوا باهتمامهم إلى تدعيم خطوط العربة القديمة التى يجرها الحصان والعربة التى تسحب بالأسلاك . وفى أثناء تحويلها إلى الكهرباء قام هؤلاء الممولون بإنشاء شركات مساهمة مشكوك فى ضرورتها ، وباعوا الأسهم للجمهور بأرباح هائلة .

وتقدم النقل على صورة مماثلة من المضاربة وظهرت عجيبة المنظر الحضرى ، السكة الحديدية المعلقة . وكان أول استخدامها بنيويورك عام ١٨٦٩ ، ولكن عشر سنوات مضت قبل أن يعتاد النيويوركيون على ضوضاء ودخان القاطرات البخارية الصغيرة . ومن ثم ظهرت المركبة الكهربائية من ابتكار سيروس و .

فيلد الذى أنشأ « السلك الأطلنطى » وانتشرت فى جميع الاتجاهات بمانهاتان . وقد أنشئت معظم الخطوط بجزيرة مانهاتان فيما بين عام ١٨٧٨ ، ١٨٨١ فى جزء يمتد عبر الحقول التى ما زالت مفتوحة لتشجيع الاستثمار . وفى العشر سنوات التى تلت ذلك ، غزت بروكلين وجزءاً من البرونكس . وفى عام ١٨٩٢ عرفت شيكاغو المركبة الكهربائية ، وبعد خمس سنوات التفت حول القطاع الشاطئى بطريقة تكونت معها الأنشوطة The Loop وهو الاسم الذى أطلق على منطقة المال والفنادق والمتاجر . وحلت بوسطن وفيلادلفيا على خطوطها أيضاً ولحسن الحظ اقتصر استعمال هذا المارد على المدن الكبرى التى بدأت اليوم فقط فى تخليص نفسها من هذا الإزعاج .

والغالب أن وسائل المواصلات القديمة كانت من الحصانة بحيث لا يسهل إزاحتها . ولقد عصفت دائرة المقطورات بالسلامة بدلا من النهوض بالأساليب ولم تكهرب المركبة قبل انصرام القرن ، واستمرت العربة التى يجرها الحصان تعمل بنيويورك خلال عام ١٩٠٠ ، وما زالت الشوارع العامة المرصوفة بالأحجار ، الباقية حتى الآن فى مدن عديدة ، تذكر مناظر المرور هذه الشبيهة بالكابوس . فنى بعض النواصى تلتقى عربتان على القضبان المتوازية على الأرض بينما يهدر قطاران ويصيحان ويصفران على القضبان المعلقة ، والضوضاء الناتجة عن قرقعة العربات السريعة وعربات النقل الثقيلة والخفيفة والجياد والعربات الخاصة تجرى متسببة فى ذلك الضجيج . هذا ولم تشاهد الطرق الأسفلتية الناعمة التى استخدمت فى باريس مبكراً فى عام ١٨٥٤ حتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عندما استحث هواة الدراجات إنشاءها .

أتت نهاية القرن بحل النقل السريع ممثلاً فى طرق تحت الأرض فكان للندن (١٨٨٦) ولبودابست (١٨٩٣) أنفاقها ، وذلك قبل أن يتم إنشاء خط للترولى

تحت شوارع بوسطن ، ويفتتح القسم الأول لنقل الجمهور عام ١٨٩٧ . وافتتح فرع تحت الميناء خلال سرداب بعد قليل . وأنشأ أوجست بلمونت الثانى ، من رجال المال ، وجون ب . ماكدونالد ، المهندس ، أول خط بنيويورك عام ١٩٠٤ ، وبعد سنوات قلائل تم لهما شق نفق إلى بروكلين ، واتصلا ببرونكس عبر أحد الجسور . ولكن كان مقدراً لبلمونت أن يفقد ثروته نتيجة لنضال مع دائرة المقطورات ، ومع كل فقد كانت الخطوط تغير من شكل المدينة ، وتعمل على اتساعها ، جاعلة منها العاصمة الحديثة التى تشاهدها اليوم .

شجعت طرق المواصلات والنقل المتعددة ، الارتفاع فى قيم العقار . واحتدمت المضاربات مؤكدة الأهمية التى نوه عنها هنرى جورج بالنسبة لقيمة الأرض بنظرية الضريبة الواحدة فى كتابه (التقدم والفقر) بعام ١٨٧٩ . وفى مانهاتان حيث بقى الجزء الأعلى من الجزيرة فى نفس الأيدى منذ الثورة ، بيعت قطع من المزارع القديمة بالمزاد ، واستمرت إحدى عمليات البيع المبكرة من عام ١٨٦٩ حتى عام ١٨٧١ ، وهى عملية بيع دائرة « ديكمان » ، ولكن المدينة التى أحاطها ركود عام ١٨٧٣ لم تشهد عملية بيع كبيرة أخرى حتى عام ١٨٨٠ . وجاءت الملكيات إلى السوق الواحدة تلو الأخرى ، صفقة كارمان عام ١٨٨٠ ، وصفقة جومل (مع بقاء القصر) عام ١٨٨٢ ، وصفقة جونز عام ١٨٨٩ ، وصفقة مورجنتو عام ١٨٩١ . وحالف الأخيرة كثير من النجاح إذ قام هنرى مورجنتو الأب وشركاؤه بشراء قطعة أرض كبيرة فى الشارع المائة والواحد والثانين من ليفى ب . مورتون ، وكان وقتئذ نائباً لرئيس الولايات المتحدة ، وفى بحر شهر أو نحو ذلك حققوا أرباحاً قدرها ٠٠٠ر٤٨٠ دولار على مبلغ أصلى قدره ٠٠٠ر٣٠٠ دولار . وامتلأ الجزء الغربى من مانهاتان بالمساكن ، وكان أصلا حقولا جرداء ، كما امتلأ بالكنائس والبيوت المقسمة إلى شقق إيجارية .

وقد بدأ العمل فى كاندرائية « سان جون ذى ديفاين » والذى لم يتم بعد

فى عام ١٨٩٢ فى مورننج سايد هايتس ، وانتقلت جامعة كولومبيا إلى مقرها الحالى قريباً من عام ١٨٩٧ . وبعد عام ١٩٠٥ نظم مورجنتو الذى غدا من رجال السياسة فى حكومة ولسون ، كما أصبح واحداً من كبار أنصار وحماة الموسيقى بنيويورك ، نظم « رواج الأنفاق » فى برونكس ، وجمع من الأرض التى أبرزتها خطوط المواصلات الجديدة ٢٥٠٠ قطعة باعها بمبلغ ٩،٠٠٠،٠٠٠ دولار ، وهى عملية عقارية غير عادية حتى بالنسبة لوقتنا هذا .

لم تكن شيكاغو لتترك نيويورك تتفوق عليها فى المضاربات العقارية ، التى كانت جزءاً لا يتجزأ من تقاليد الغرب الأوسط . فمن عام ١٨٨٦ إلى عام ١٨٩٤ كانت شيكاغو تعيش فى رواج الأرض الذى يعود بعض الفضل فيه إلى قدوم السماسرة من مدينة كنساس ومنيا بوليس وأوماها حيث تلاشى الرواج وأدى الامتزاج بين التعداد المتزايد للسكان — نتيجة للأعداد الهائلة من الإيطاليين والبولنديين والروس واليهود الذين توافدوا بعد عام ١٨٨٠ — وتحسين طرق المواصلات إلى زيادة قوة الانفجار ، وكانت الصيحة « كل إنسان مضارب فى العقار » ، وكان تعليق « هنرى فولر » ، روائى شيكاغو فى محله إذ قال :

« ما تزال المدينة فى صميم المرحلة العقارية ، وقد بدأ كل وافد لا مهنة له أو خبرة فى بيع قطع الأرض على الفور . ولم يكن هناك وفرة بادية أكثر من الأرض ، ولم يكن للبلدة سوى أن تدعو لنفسها بين الحقول الواسعة ، وما كانت الزهور لتلوح إلا لمجموعة المساحين ، وكان الباحثون الجدد — فى زحمة التجارة — فى سباق دائم ليحكموا أنفسهم فى الحافات المهلهلة للضواحى . . »

٢ — الدار ذات الشقق وبناء المكاتب العالى .

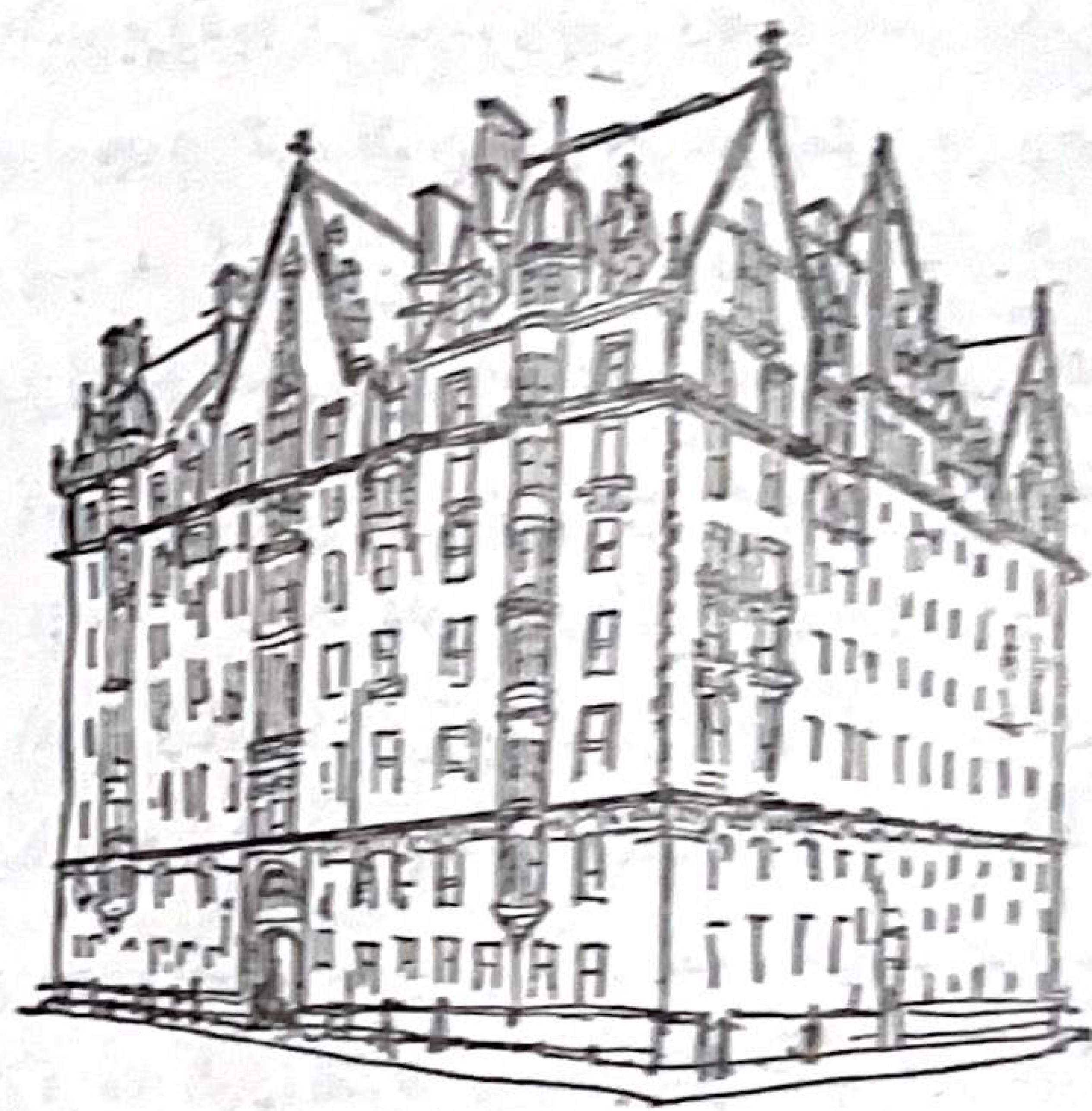
وجد مستغلو العقار فى الأجزاء القديمة من المدينة أداة جديدة للنهوض بمشروعاتهم ، وجدوها فى الدار ذات الشقق . وعجيب أن الأمريكى الذى يزهو

بنفسه لقدرته على التصدى للمعضلات بتجاربه وبنجاحه فى التغلب عليها فى معظم الأحيان ، عجيب أن يفشل فى هذه المناسبة فى تطوير شكل جديد للسكن لميسورى الحال حتى ذلك التاريخ المتأخر . وعلى كل فقد انتشرت المساكن الإيجارية للفقراء قبل ذلك بثلاثين عاماً . وفى عام ١٨٨٠ كان مسكن العائلة الواحدة لا يزال نموذجاً للطبقة المتوسطة . قال كوبر والمدينة ما زالت فتية : « لا شك تعلمون أن أى أمريكى متيسر الحال يرفض مشاركة الغير فى المعيشة ، واستمر عملاء العقار من الأمريكيين فى إشباع هذا الغرور لمدة طويلة حتى بعد انقشاع مظهرها الخداع . وكانت النتيجة كما رأينا دور النزلاء المنتشرة فى كل مكان .

لم يؤثر اعتياد الباريسيين الإقامة فى الدور ذات الشقق لمدة مائة عام أو تزيد إلا قليلا فى النيويوركيين أو البوسطونيين . والدار الحديثة ذات الشقق بدعة من بدع الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، ويمكن العثور على وصف وصور النماذج الباريسية فى كتب ج . ف . بلوندل . ولم يكن للتأثير الباريسى نفوذ فى عام ١٨٥٠ إلا على معماريين فى أمريكا مثل كالفرت فوكس ، يتحدثون عن « عمارات ترتفع لعدة طبقات » . . وبها جميع الحجرات اللازمة لعائلة تتجمع على مستوى واحد . . وهذه يمكن الولوج إليها عن طريق باب للردهة يفتح على بئر السلم العام . وغالباً ما تدعى نيو أورلينز بأنها كانت أول من أنشأ دور الشقق بأمريكا ، وهى عمارات بونتالبا Pontalba بميدان جاكسون ، وما هى فى الواقع سوى أشكال سفسطائية لمنزل الصف مزودة بحوانيت بالطابق الأرضى . ونذكر هنا العمارة القديمة ببوسطن التى صممها أرثر ديلافان جيلمان من ذوى الشهرة بباك باى ونسبتها غير واضحة ، وحوالى عام ١٨٦٠ جرت مناقشات حول « الشقق الفرنسية » كما كان يطلق عليها أصلا ويرجع الفضل إلى ريتشارد موريس هنت شقيق الرسام وليم موريس هنت فى تصميم العمارة ذات الشقق المحددة المعالم ، وذلك فى عام ١٨٦٩ ، وما تزال عمارة ستوفيزانت

رقم ١٤٢ ، قائمة بشرق الشارع الثامن عشر بنيويورك .

لم يكن سهلا بالنسبة لهنت ذى الثقافة الفرنسية ، الذى قام أيضاً ببناء أول مرسم (ستوديو) بالبلاد (٥١ الشارع العاشر) أن يُقنع علية القوم من النيويوركيين بالاستفادة من الدار ذات الشقق . كانوا إقليميين كسائر أهل البلاد فى ذلك الوقت وعلى إيمان راسخ بأن « الشقة الفرنسية » قد تؤدى إلى انهيار العائلة الأمريكية ، فالاسم نفسه يوحى بطريق سباق خطر الحياة . وتردد الشخص المستنير بعد أن شعر بالتهديد بقدوم حارس الباب الباريسى الماهر . . تردد قبل التفكرة ، فقد اعتبر الحارس المدموم لدور الشقق الباريسية ، الذى يعنى بالرسائل



الدار ذات الشقق « الداكوتا » . من تصميم
هنرى جينوى هاردنبرج عام ١٨٩٢

والبريد والتسليمات ، والذى يلبى نداء الجرس ليلا ، اعتبر تهديداً أجنبياً إن التهديد « الأدبى » بالاشتراك فى العمارة مع أناس آخرين عديدين ، والاختلاط

التى تشجعه العائلات العديدة من ساكنى الطابق الواحد ، أثار اعتراضات أخرى من عدد كبير من النيويوركيين . وعلى الرغم من أن هنت قد هيأ حجرة بالقرب من المدخل للبواب ، فإن عمارات ستويفزانت حققت شعبية فائقة . وحوالى عام ١٨٨٠ كان مايبنى من النوع الجديد للساكن يعد بالمئات .

كانت أولى الدور من ذات الشقق عملاً هيناً نسبياً ، فغالبا ما كانت دورا من الحجر البنى تحولت إلى عمارات . وبعضها اقتبس أفكاراً عن الفنادق كفكرة المطبخ المشترك والمغسلة المشتركة ، ولكن هذه التجارب لم تستمر طويلاً . ومازالت إحدى دور الشقق المؤمنة ضد الحريق قائمة بنيويورك تحت رقم ٢١ بشرق الشارع الواحد والعشرين ، على قطعة أرض ضيقة من خمسة وعشرين قدماً ، ومن تصميم بروس برايس ، المعمارى الذى أقام الضاحية الرياضية بتوكسيدو بارك . وكانت داكوتا أول دار شقق على مستوى سخى ، وهى تطل على الحافة الغربية لسنترال بارك على ناصية الشارع الثانى والسبعين . وهنا فى عام ١٨٧٥ اشترى إدوارد كلارك ، مدير شركة سنجر لماكينات الخياطة ومؤسس واحدة من أعظم أسراتنا المالية (عائلة كلارك وكلاء متحف الفلاح الشهير بكوبرزتون ، بنيويورك وملاك مجموعة هائلة من الفن المعاصر) ، عدداً من قطع الأرض وتعاقد مع هاردنبرج المعمارى الذى صمم فندق بلازا ، لتصميم عمارة من أجمل عمارات المدينة السكنية ، وهى عمارة كبيرة مربعة بنيت بالحجر الأصفر الداكن ، كثيرة الزخرف ، تزهو بما كان يعتبر فى ذلك العهد من البدع ، كمدخل الخدم ، وسلم الخدمة الخاص ، والمصعد الخاص بالخدمة .

جعل تحسين المصعد الهيدروليكى العمارة السكنية أكثر راحة وشعبية . وفى مسرحية « المصعد » لهاولز تقول الضيفة لمضيفتها : « كنا نتحدث عن شقتك يامسز روبرتس ، إنها رائعة » ، وتجيبها المضيفة « إنها لطيفة فهى الوسيلة

الشائية المعيشة . كل شيء في طابق واحد لا سلّم ولا أي شيء ، ويدور المجيء حول فكرة المصعد كما تدور المسرحية الهزلية حول حادث تعطل المصعد بين طابقين . وتستمر الضيفة قائلة : « إنه الشيء الوحيد الذي يجعل الحياة بالشقة قيمة ، وجميع الفنادق ذات الشقق تستخدمه » ، ففي بوسطن وحدها كان هناك أكثر من ألفي مصعد يخترق المباني حتى عام ١٨٨٤ ، حين ألفت هذه المسرحية ، وأكثر من ذلك العدد بمدينة نيويورك . لقد نالت دار الشقق القبول ، وحتى شيكاغو أصابتها « حمى الشقق » برواج مبانيها .

ووجد مع العمارة السكنية جنباً إلى جنب بناء عمارة المكاتب المرتفعة . ومن ابتكارات ستينات القرن التاسع عشر ، المجمع الكبير للمكاتب الذي بني لمقابلة التغيرات في اقتصاد أعمالنا ، ولكن « ناطحات السحاب » التي صممت لتضم مؤسسات تجارية أكبر ، كان مقدراً لها أن تسارع بحجب معابد الله . ففي عام ١٨٧٣ أقيمت مبان عديدة بمدينة نيويورك يمكن تسميتها بحق أول ناطحات سحاب ، وأحد هذه المباني برج محكمة نيويورك من تصميم « هنت » وما زال يطل على مبنى البلدية من « نيوسبيرو » القديم ، ثم أتى الكساد على أي حافز لإقامة مبان أخرى ، ولكن الأبنية عادت إلى النهوض مرة أخرى في عام ١٨٨٠ .

وواجهت المجهودات الأولى حدوداً لطريقة الإنشاء التي كانت ما تزال تقتصر كلية على البناء بالمعنى الأصيل المكتمل . ومن أجل تدعيم الارتفاعات الجديدة اقتضى الأمر جدراناً من سمك غير عادي . فيرتفع في شيكاغو مبنى موناد نوك (من تصميم برنهام ورووت عام ١٨٩١) وهو من ستة عشر طابقاً بجدران يبلغ سمكها عند القاعدة خمسة عشر قدماً ، والمبنى من أواخر المباني التي بنيت بالحجر . ومن الواضح أنه كان ينبغي العثور على طريقة أخرى لتكون طرازاً لناطحة السحاب ، ولذا طور وليم لوبارون جيني ، معماري شيكاغو وخريج مدرسة

السنترال للفنون والصناعات بباريس بمرتبة الامتياز ، هيكلاً من الحديد والصلب عام ١٨٨٤ حمل البناء تاركاً الجدران « كالستائر » . (ادعى المعماري ل. س. بفتحون من منيابوليس فيما بعد حق اختراع الإطار الصلب مستمسكاً بأنه أخذ الفكرة عن رسالة لفيوليت لودوك) . ولم تحصل نيويورك على أول تركيبة لهيكل صلب إلا بعد مضي خمس سنوات . وكان السباق دائراً بين المدينتين في سبيل البناء الأكبر ، حيث كان ملاك الضياع الكبيرة ومديرو الشركات الساهمة يقيمون الأبنية المتزايدة الارتفاع فوق قطع الأرض الصغيرة . ومن نماذج الطراز الجديد بشيكاغو عمارة « تاكوما » من تصميم « هولابيرد » و « رووش » عام ١٨٨٨ بما فيها من تأكيد على واجهتها الزجاجية ، ومبنى الأوديتوريم الذي أقيم بعدها بعام والذي استعمل فيه أدلر وسوليفان الأحجار الكبيرة الحجم . وتمسكت نيويورك بالأشكال الأوفر تحفظاً في مبنى سان بول (١٨٩٩) من تصميم ب . بوست ، وهو البناء ذو الأحجار الرابطة الهائلة ، ومبنى « المتروبوليتان لايف » لوزارة الداخلية (١٨٩٣) من تصميم نابوليون لوبرون وأولاده ، والمستوحى من طراز النهضة الفرنسية (وتنزع الآن من هذا البناء جدرانه القديمة لتستبدل بغلاف معاصر من الحجر الجيري والزجاج) .

تبين لنا قصة فولر (سكان السفح) أن المباني الجديدة كانت عبارة عن مدن في حد ذاتها . فكان الساكن يستطيع تناول الطعام والشراب ، ويستطيع أن يقص شعره ويحصل على مشورة قانونية ، أو يستشير سمساراً عقارياً دون أن يغادر المبنى . ولم يكن عجيباً أن تستقر إدارة إحدى الشركات المساهمة في ناطحة سحاب واحدة ، كما هو الحال بالنسبة للمتروبوليتان لايف . كانت شركات التأمين على الحياة مع نموها السريع في صدر التجربة الجديدة . . . تجربة جمع القوة العملية الكبيرة في عمارة واحدة . ومن النماذج التقليدية عمارة بنيويورك لايف الجية (١٨٩٠) في كنساس سيتي .

من تصميم ماك كيم وميد ووايت ، وعمارة برودنشيال التى تماثلها جمالا (١٨٩٤) فى بافالو ومن تصميم لويس سوليفان . وبهذه العمارة كبداءة أدلت أمريكا فيما بعد بأعظم مساهمة منظرية فى العمارة العالمية والمنظر الحضرى فى عصر مدينة الأبراج .

٣ – بلدان السكك الحديدية والضواحى الصناعية .

فيما يلى نطاق المدينة وحشودها الجماهيرية سارت الحضارة مسرعة الخطى ، واستأنفت السكك الحديدية التى كانت تقطع المنظر الطبيعى بالفعل تشكيلها البلاد بنفس القوة التى سارت عليها فى الجيل الذى مضى ، وبالإضافة إلى ربط المدن والبلدان القائمة بعضها ، أنمت شركات السكك الحديدية مجتمعات جديدة وأقامت بلداناً جديدة . ليست الصورة التى تكونت على شىء من الجمال ، ومع ذلك فإن البلدان التى أنشئت هى جزء من التقاليد الأمريكية ، وهى من الكثرة بحيث تستحق اهتماماً أكثر مما تلقاه اليوم .

كان لبعض شركات السكك الحديدية نفوذ مطلق بما خوله لها الشعب من قوى . كتب فرنك نوريس فى قصته « الأخطبوط » يصف نفوذ السكك الحديدية على زراع القمح بكاليفورنيا فى وادى سان جواكين ، وبينما كان يكشف عن تكتيكات شركة السنترال باسيفيك ، كان عضواً فى مؤتمر كاليفورنيا الدستورى عام ١٨٧٩ فأبان فى كلمة له :

إنهم يبدأون وضع القضبان الحديدية ويمسحون الخط بالقرب من قرية ناجحة ، ويذهبون إلى أكثر المواطنين بروزاً فى القرية قائلين « إذا أعطيتمونا عدة آلاف من الجنيهات جعلنا الخط يمر من هنا ، أما إذا لم تدفعوا فسوف يمر من هناك » وفى جميع الحالات التى لم تكن تؤدى فيها الإعانة كانت نفس الخطة

تتبع . كانت هنا قرية بارادايز (الجنة) بمقاطعة ستانيسلوس ، ولكن – لأنهم لم يحصلوا على مايريدون – أنشأوا قرية أخرى على بعد أربعة أميال من هناك . وكانوا فى كل حالة تمنع عنهم فيها الإعانة النقدية ، يقيمون مستودعاً بالقرب من المكان ويجمدونه ما لم تقبل شروطهم » .

كثيرة هى الجنان التى تركت لكى يتحول لونها إلى البياض كعظام الأبقار الميتة فى المروج أو فى وديان الغرب .

لم يكن جميع رجال السكك الحديدية فى مثل قسوة الأربعة الكبار بكاليفورنيا – هنتجتون ، وهوبكنز ، وكروكر ، وستانفورد – أصحاب شركة السنترال باسيفيك . على العكس فقد أبدى بورلنجتون وكوينسى بشيكاغو من أصحاب الخطوط الحديثة التى عبرت الوديان إلى الغرب من شيكاغو مزيجاً من الكرم ورجاحة الفكر . فالسكك الحديدية قليلة القيمة فى أرض ليس بها سكان . وإذ لم تتوفر لبورلنجتون حركة المرور العابرة التى كانت لدى شركة اليونيون باسيفيك المنافسة ، كان عليهم أن ينشئوا حركة وذلك بتشجيع الإقامة . ولما كانت الحكومة قد منحتهم ٢٫٧٢٠٫٠٠٠ فدان تقريباً من الأرض العامة فى أيووا ونبراسكا فقد أعدوا مشروعاً لإقامة البلدان ، فتكونت شركة مساهمة الأراضى ، يقوم موظفوها بشراء الأرض حيثما يزمع إقامة المحطات ، وذلك لإبعاد المضاربين . وحالما يعلن عن موقع المحطة ، تخطط البلدة ويمول المستودع ويقام مسكن وكيل الشركة ، وغالباً كان يتم ذلك قبل وصول القضبان إلى المقر المنتظر ، ومن ثم يقدمون قطعتى أرض وإعانة مالية لأول جمعية تظهر لبناء كنيسة . وكانوا فى الغالب يتحلون بنفس صفات الكرم بالنسبة للجمعيات الأخرى ، جاعلين نصب أعينهم الدور القديم للدين فى تدعيم المجتمعات . وحقق المستثمرون بذلك ربحاً متواضعاً ، وهيأوا للبلدان تقسيمات أرض ليست بذات أهمية ، لا ينعشها سوى ساحة خضراء جوار خط السكة الحديد ، ولكنهم مع ذلك أمنوا

التطور المنظم ، وجنبوا المستوطنين الأراضى المرتفعة الثمن . . .

وإلى الغرب من لنكولن بنبراسكا كان من نزواتهم إنشاء المحطات ، يبدأ اسم كل منها بأحد حروف الأبجدية الانجليزية على التوالى مثل كريت ، دور شستر ، إكستر ، فيرمونت ، جرافتون وهكذا . واعترفت إحدى الصحف التى لم تكن دائماً فى صف بورلنجتون بأن شركة الأراضى كانت تستغل أملاكها « ليس لغرض إيجاد أسعار للمضاربة ، بل للترغيب فى الإقامة » . وكان الأبطال الحقيقيون لهذه المغامرة الجديدة يتمثلون فى الرواد الأول ، الذين كانوا يمضون السنين الأولى فى عربات الصناديق على جوانب الطريق ، بينما كانت تقام البيوت والمخازن والمكاتب والكنائس الخاصة بهم .

وقع الانفجار الثانى فى إنشاء القضبان موجة لبناء البلدة الصناعية . ففى الغرب تسببت السكك الحديدية فى إنشاء المراكز التجارية القروية ، وفى الغرب الأوسط والشرق كانت سبباً — وفى كثير من الأحيان بطريق غير مباشر — فى ظهور بلدان مصانع جديدة وقد حدث تطور كبير فى الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر ، عندما تسابق خط حديدى مع آخر ، من غرب فرجينيا إلى موانى الشاطىء الشرقى أو شمال أوهيو والبحيرات الكبرى ، فى محاولة للسيطرة على تجارة القطران والفحم ، وخرجت تشسابيك وأهيو بعد إعادة تنظيمها عام ١٨٧٨ ، نشطتين وعلى استعداد للمنافسة ، وانتظمت شركتا نورفولك والويسترن وكانتا عبارة عن خطوط صغيرة عام ١٨٨١ ، ووصلت إلى مخزونات حقول فحم « بوكاهونتاس » بغرب فرجينيا عام ١٨٨٣ . وفيما بين عام ١٨٨١ وعام ١٩١٠ أنشأت شركة بلتيمور وأوهيو تسعة خطوط فرعية داخل حقول الفحم . كانت أعمال مهندسى الإنشاءات والبلدان التى أنشئت نتيجة للشروع ، تفتقر إلى الامتياز ، وكان هذا الأمر ينطبق أيضاً على بلدان الحديد والفحم حول برمنجهام ،

بولاية ألباما ، حيث كان مضاربو الأراضى يعملون على إغراء المتهورين من المستثمرين ببناء أفران الصهر ومصانع الصلب ، ليس لغرض صناعة الحديد أو الصلب وإنما لبيع قطع الأرض فحسب .

وفى خارج المدن القديمة قامت بلدان جديدة ، من الأوفق تسميتها بالضواحى الصناعية على طوال الخطوط الرئيسية والخطوط الفرعية التى أنشئت فى ذاك الوقت . كان ذلك عصر الضخامة فى حجم المنشآت الصناعية تماماً كما كان فى حجم الشركات المساهمة التى تمتلكها . وفيما سبق كانت الإجراءات الإنتاجية لمعظم الصناعات موزعة على عدد كبير من المنشآت الصغيرة تضمها غالباً مدينة واحدة ، أما الآن فقد توحدت وأعيد بناؤها فى المحيط الحضرى ، وكان الطلب على الصلب والكيميائيات وغيرها من المنتجات حافزاً آخر للإنتاج على مستوى عال . وكان من طابع الانتقال من المدينة المركزية تركيز اندرو كرنيجى لإنتاج الصلب فى منشأة بسيمر بهومستيد التى بنيت عام ١٨٨١ فوق « مونونجا هيلا » على بعد سبعة أميال من بتسبورج . وكان كارنيجى — وهو من أوائل من نسقوا الإنتاج تحت إدارة واحدة من استخراج المواد الخام حتى السلعة الخالصة — قد ركز اهتمامه فى عدد قليل من المصانع الكثيرة ، ويرجع إليه وإلى مقلديه أمر تنمية بلدان دوكزن ، وماكيزبورت ، واليكيبا وأمبردج بالقرب من بتسبرج ، وجرانيت سيتى وألتون ، وإيست سان لويس بالقرب من سان لويس ، وجارفيلد ، ولودى ، وكيرنى بالقرب من نيويورك ، و« سيتيز أوف ذى كالومت » بالقرت من شيكاغو .

إن النموذج مألوف ، فعلى جانب الطريق الحديدى يقوم المصنع الضخم والفضاء لأكوام المادة الخام ، بينما تمتد فيما وراء المصنع خطوط منازل الموظفين ذات الإطار أو الآجر ، وكثير منها تمتلكه الشركة . وتتناثر

فيما بين هذه المنازل ، الكنائس والمدارس والمكتبات . بينما يخصص شارع واحد للتجارة وآخر للحانات ، أما المصانع التى كانت تستهلك كميات كبيرة من الماء فكانت تقام إلى جانب ترعة أو نهر سرعان ماينحول إلى مصرف صناعى . وفى هومستد — كما فى غيرها — قام المصنع الكبير إلى جانب النهر والطرق ، بينما على الجانب الآخر تشعبت الشبكات صاعدة نازلة خلال التل ، فكانت تواجه الشارع منازل من طابقين ذات الإطار ، مقامة على قطع من الأرض من عشرين أو خمسة وعشرين قدماً ، وخلفها منازل أصغر مساحة . ولم يكن ثمة ما يخفف من قذارة البلدة حتى ولا الأشجار ، ولكى تعلم مقدار شناعة بلدة هومستيد ينبغى أن تراها فى الشتاء . ولا يعثر الإنسان على المنازل الكبيرة إلا بعد الابتعاد عن المصنع ، حيث يجد الأشجار المورقة بفضل الهواء النقى ، كما يمر بمتنزه أو اثنين وبمكتبة دائمة مما قد تبرع به كارنيجى . وفى هومستيد كانت المكتبة تقدم أكثر من الكتاب ، كان بها حمامات وقاعات للعب الكرة الخشبية وقاعات للتسلية . كانت هذه المباهج قليلة النفع لرجال آتين لتوهم من وردية عمل دامت اثنتى عشرة ساعة ، قد نال منهم الاجهاد فهم لايقدرون على أداء أى شىء ، اللهم إلا تناول الطعام والشراب ثم النوم . وكان الشارع التجارى ، والحانات التى لامندوحة عنها ، تقدم استرخاء أقل افتعالا . ووفر الترولى الكهربائى الوسيلة الرخيصة للمواصلات فى بتسبورج ، وللنزهة بحديقة الترولى فى فى الريف بنهاية الخط . هكذا كان المنظر عام ١٨٩٠ ، ولكن البلدة تغيرت كثيراً منذ ذلك الحين ، ففى أيامنا لم يعد عامل الصلب مرتبطاً كلية بالمصنع ، لأن له سيارته الخاصة ، ومنزله فى حى قريب ، وفوق كل ذلك لديه القوة المناضلة الممثلة فى النقابة كما أن لديه الوقت والمال ، ولم يكن يملك أى شىء من هذا كله منذ أربعين عاماً .

صحب توسع بلدان الصلب نوع من القرية الصناعية يدعى « رقعة الفحم »

Coal patch وبزيارة لمنطقة تعدين الفحم بينسلفانيا الغربية وغرب فرجينيا يقابل المسافر ريفاً مقفراً ومجموعات من المنازل الخشبية ذات الإطار ، تعلوها الكآبة ، تتعرج أعلا وأسفل التل الريفى أو تسكن فى تجهم فى تجويف التل . . . خمسون أو مائة من المنازل ذات شكل واحد ، كل منها ينفصل عن الآخر ، وهى مزودة بدورات مياه خارجية ، وكلها مما بنته الشركة وكانت ملكاً خالصاً لها فى يوم من الأيام ، تقوم على طول شارع مترب عار من الأشجار ، جوانبه من رماد الفحم والإردواز الذى تخرجه المناجم . وحتى عام ١٩٣٣ كان يحكم هذه المجتمعات الكئيبة من عمال مناجم الفحم « بوليس الفحم والصلب » المشهور التابع لشركات الصلب والفحم الكبرى — ولم يكن يسمح لأى أجنبى بالتغلغل داخل هذه المجتمعات باستثناء الطبيب والحانوتى . لقد تغير كل شىء منذ ذلك الحين لحصل عمال المناجم على مستوى من الأمن ، كما استبدل الفرن الذى يشبه خلية النحل وكان يوماً المصدر الرئيسى للفحم ، بفرن للمنتجات



قرية « رقعة الفحم » بينسلفانيا الغربية

الفرعية أكثر كفاءة ونظافة ، وحتى المنظر المشوه قد بدأ فى اتخاذ غطاء من الخضرة .

وبدأ الإنتاج اليوم فى ابتداع بناء الضاحية الصناعية ، فأسست جرانيت سيتى (مدينة الجرانيت) خارج سان لويس عام ١٨٩٣ ، وهى من أعمال إخوان نيدرنجوس من منتجى أشغال الجرانيت . كما أسست شركة الولايات المتحدة للصلب « جارى » بإنديانا عام ١٩٠٥ . ولم يكن مستثمرو العقار بأقل نشاطاً . وأصبحت ضاحية باربرتون ، وهى ضاحية صناعية فى أطراف أكرون بأوهيو ، نموذجاً لذلك ، فهى تنبثق عن مشروع عقارى « لكولومبس أوهيو باربر » ، ملك الكبريت ، الذى أسس الشركة الماسية الكبريت . ولقد تعاقد مع م . ج . ألكسندر لتصميم البلدة ، وهو مهندس يرجع إليه الفضل فى إقامة عديد من البلدان الجديدة التى أقيمت على طول الطريق المار بكل من نورفولك ووسترن . لم ينجح باربر وألكسندر فى أول الأمر نجاحاً ملحوظاً ، ولكنهما فى النهاية عملا على إقناع شركة بتسبورج للألواح الزجاجية ، على أن تقيم منشأة هناك عام ١٨٩٨ ، وتعتبر باربرتون اليوم امتداداً ناهضاً لأكرون .

وثمة تجربة جديرة بالاهتمام لذاك العصر . . . تجربة نادرة إذا ما قورنت بالبلدة الصناعية والضاحية الصناعية . هنا نلمس محاولات تجاه التخطيط والتصميم والعمارة الممتازة ، ولو أن ذلك لايتناسب مع محاولات العصر الصناعى الأول . لم يستمد جورج م . بولمان تصوراته للبلدة التى أسماها باسمه (بولمان بإيلنوى) عن تقاليد الأمريكيين القدماء فى بناء البلدة النموذجية بلوويل ، ودالتون بماساشوستس ، وبوث مانشستر بكونكتيكت ، بل إن مؤسس أعظم بلدان الشركات (المنظرية) فى البلاد تطلع إلى المدن الصناعية على نهر الرور بألمانيا وبخاصة إلى مصانع كروب فى براسين . وفى عام ١٨٨٤ اشترى قطعاً من الأرض على شواطىء بحيرة كالوميت ، وهى حالياً جزء من سوث سايد (الجانب الجنوبى) البعيد من شيكاغو ، وكلف سولون س . بيمان بتصميم بلدة



منظر لبلدة بولمان بإيلينوى

نموذجية من الآجر والحجر جديرة بالذكر لميدانها ذى الأورقة وبلديتها ومتنزهاتها (المنظرية) ومكتبتها ومنازلها الصلبة . ولأول مرة فى التاريخ يقوم معمارى بتصميم بلدة بأكملها . ولو أن الآجر الأحمر الداكن لم يكن يمثل الذوق السائد ، كما كان الطراز من النوع القوطى لفيوليت لودوك ، فإنه لم يخرج عن المألوف بالنسبة لوحدته ونظامه العام . ولكن بلدة بولمان مع كل عمارتها المبتكرة لم تكن الجنة المرتقبة ، وكان من جراء سياسة الأجور الضئيلة والإيجارات المرتفعة أن تسبب منشىء الخط الحديدى المسمى « بالاس كار » فى عام ١٨٩٤ فى أشد الإضرابات حدة فى ذاك الوقت ، إضراب امتد إلى شيكاغو وإلى الطرق الحديدية . وكان مقدراً لأكثر من بلدة من بلدان الشركات أن تصبح مسرحاً لمعارك عمالية دامية ، من أهمها تلك التى وقعت بشركة كولورادو للوقود والحديد بلودلو من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩١٤ .

كان إضراب بولمان عائقاً هائلا فى سبيل إقامة البلدان النموذجية فى منطقة المدن الكبرى ، فكانت كل مدينة جرانيت سيتى خلواً من المباهج فيما عدا متنزه نال منه الإهمال . وقصر بناة بلدة جارى جهودهم على تمهيد الأرض والتمويل السهل للمنازل ، وكان ذلك مما يدعو للأسف . ولاشك أنه لو اتخذ المقاولون

سلوكاً أقل عناداً ، ولو توفر النظام السليم لتمويل إقامة المنازل ، ولو أتيحت الفرصة لصناعات أخرى فى بولمان ، لكان فى ذلك كله زيادة فى تباين الأعمال وعددها مما يؤدى فى النهاية إلى النجاح . لقد فقدت المجتمعات الجديدة أمر تخطيط المدن والتصميم المعمارى الموحد نتيجة لعناد جورج م . بولمان الذى ذهب وبه رعب شديد من الطبيعة البشرية حتى إنه أوصى بدفن جثمانه على عمق عشرين قدماً تحت الأرض فى تابوت مغلف بالصلب والأسفلت .

٤ — ضاحية عنابر النوم

أغفل معظم رجال الصناعة فيما بعد ، فى الشرق وفى الغرب الأوسط ، فرصة إقامة الدليل على أن المردة الميكانيكية التى أنشأوها يمكن أن تصبح جزءاً متمماً للمجتمع ، بل على العكس بادروا إلى فصل المصنع عن المثل الأعلى للحياة المريحة . وعلى الرغم من احتفاظهم بمكان العمل بالمدينة ، فإن قليلا من الناس ابتعدوا قدر الإمكان عن المدن التى صنعت ، وبتجاوزهم للحلقة الأخيرة من دخان المصانع أنشأ رجال الصناعة والبنوك من الأغنياء ، ممن يفضلون الحياة بالريف بما تهيئه من فرص للرياضة العصرية وقتل الوقت كالجولف والتنس أنشأ هؤلاء طابعاً حديثاً لضاحية عنابر النوم

لم يكن النجاح حليف المحاولات المشتتة للجيل الماضى فى سبيل الإقامة بالضواحى نظراً لعدم تكافؤ سبل المواصلات . كان يلزم لضاحية العنابر خدمة ممتازة من الطرق الحديدية ولكنها لم تتوافر حتى عام ١٨٨٠ ، حتى ذلك الحين كانت جميعها حتى الوقور المحترم منها على ضفاف الجداول تعرف باسم « حجرة النوم » . ولكن بلدان السوق والملاذ الصيفية بالقرب من المدن النامية ، سرعان ما تحولت إلى ضواح أو بساتين مثل توكسيدو بارك خارج مدينة نيويورك . وقصة أولد جرينتش بكونكتيكيت التى تبعد الآن ثلاثة أرباع الساعة عن نيويورك

تعتبر نموذجاً حياً لذلك . دعمت السياحة وبناء السفن وزراعة البطاطس بالبلدة فى عام ١٨٠٠ ، وجاء المستعمرون الصيفيون فى عام ١٨٣٠ . وبعد عشرين سنة ، وبعد أن ازدوج الخط الحديدى المؤدى إلى نيويورك كان اثنا عشر رجلا يستفيدون من الرحلة التى تستغرق ساعة ونصف الساعة إلى المدينة . وفى العودة كان هؤلاء الرواد المجدودون يقفزون من القطار أثناء تهدئة سرعته تمهيداً للوقوف قبل عبور جسر إنديان هاربور . وأخيراً وفى عام ١٨٨٠ اتفقت جماعتهم النامية ، بعد أن سئمت تلك البهلوانية مع السكك الحديدية ، على بناء محطة والقيام على شأنها والتعاقد مع وكيل لها . واليوم أصبح اسم جرينتش مرادفاً لكلمة « ضاحية » . وظهرت تشستنت هيل بفيلادلفيا على خط فرعى من الطريق الحديدى بنسلفانيا عام ١٨٨٤ ، وتحولت ليك فورست خارج شيكاغو فى حوالى نفس التاريخ إلى مجتمع مستمر طوال العام مزود بخط حديدى سريع لخدمة رجال الأعمال .

كان من ميزات تلك النعم المنتقاة العامل الذى يربط المجتمع ، والذى يتمثل فى النادى الريفى . كانت هناك أندية بالبلدة لأغراض اجتماعية وتجارية ، وكلها تقريباً قد اقتصرت على الرجال ، وكانت هناك أندية للركوب وللرماية هى أيضاً للرجال ، أما النادى الريفى ومبناه البديع وأراضيه المعدة للعديد من ضروب الرياضة ، فكان مفتوحاً لعضوية العائلات ، حيث كان الناس من الجنسين ومن جميع الأعمار يجدون ضرباً من التسلية . أعلنت إحدى لوائح ناد ريفى أسس عام ١٨٨٢ ، ويرجح أنه كان النموذج الأول لتلك الأعجوبة الأمريكية ، إن المطعم وقاعة استقبال السيدات سوف تبقى مفتوحة للسيدات والأطفال من أسرة أى عضو ولغيرهم من السيدات والأطفال عندما يكونون فى صحبة عضو من أعضاء النادى » . كان النادى مخصصاً فى الأصل للنزهة بالعربات والسباق ، وتقتصر عضويته على

البوسطونيين وسكان بروكلين ، ولكن سرعان ماتشعب ليضم جميع فروع الرياضة بما فى ذلك التزحلق على الجليد .

وانتشرت النوادى بسرعة فكان هناك النادى الريفى « جرين سبرنج فالى » بجهة جرين سبرنج فالى خارج بلتيمور ، « والبايبنج روك » بجهة نورث شور بلونج أيلاند ، ونادى « بورلنجهام » بجهة بورلنجهام بالقرب من سان فرنسسكو كلها أسماء مألوفة لدى المتحمسين عشاق صفحة المجتمع من الشاطىء إلى الشاطىء. ومتنزه توكسيدو الذى مازال من أبدع المباهج فى الضواحى — أنفق على إنشائه المعمارى بروس برايس حوالى مليونى دولار من أموال بييرلوريلارد الثالث ، مليونير التبغ — له ناد ريفى والعضوية فيه إجبارية لمن يريد الاندماج فى المجتمع . وأضفت المنشأة الجديدة اسمها على ضاحية بأكملها هى منطقة النادى الريفى بكنساس سيتى . وقام النادى الريفى لهنرى جيمس الذى يطل على مسقط رأسه ، قام فى عام ١٩٠٥ « لرفعة الأسرة » فى أمريكا .

٥ — (العمارة) وحركة الإصلاح الحضرى

كان الذين يضحون بالمدينة فى سبيل الضاحية هم القادرين على ذلك الترف فحسب . أما من هم أقل حظاً فلم يكن فى وسعهم الإقامة بعيداً عن خط الترولى .

ولم ينقطع بناء العشش المنكودة إذ أن أمواجاً من المهاجرين كانت تتدفق على البلاد ، وكانت نيويورك تتزعم حركة « إصلاح » العمارة السكنية — التى كان يصعب علينا تسميتها تقدماً . ولقد حصل أحد التصميمات على جائزة إحدى مجلات البناء مما جعله يصبح فى عام ١٨٧٩ طابعاً للعمارة التى أطلق عليها اسم « دمبل » Dumbell والمعروفة أيضاً باسم عمارة « القانون القديم » إذ أن تصميمها جعل نموذجاً بحكم القانون فى ذلك العام . وكانت قطع الأرض التى يقام عليها البناء محددة بخمسة وستين فى المائة ، وكانت حجرتان من ثلاثة

تتكون منها الشقة تطلان على مناور ضيقة ، فكان التقدم ضعيفاً بالنسبة لما كانت عليه عمارة « الطريق الحديدى » القديمة . وتذمر موريس هنت فى نقده للعرض المعمارى بالعرض المئوى عام ١٨٧٦ من أن المشكلة الرئيسية ، ويعنى بها النهوض بالمساكن لطبقات العمال والصناع ، قد أهملت تماماً . . . . . » ولكن تضرعه لإنشاء مساكن أفضل ذهب أدراج الرياح دون أن يلبسه أحد وكان عمل « ألفريد تريد واى وايت » من الاستثناءات النادرة كما كانت أعمال جمعية تحسين المساكن الذين كان لحماسهم أثر كبير فى بناء المساكن النظيفة الجيدة فى بروكلين ومانهاتان فيما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٠ . (تشاهد أمثلة بروكلين هذه بناحية شارعى هيكس وبالتيك ، أما أمثلة مانهاتان فهى موجودة بالشارع الأول والشارع الثانى والسبعين ، ولم يتوفر الحل إلا بعد صدور « القانون الجديد » لعام ١٩٠١ ، ذلك القانون الذى شجع استخدام قطع من الأرض أكبر مساحة، ولكن كانت الأبنية من طراز « دمبل » قد انتشرت بجزيرة مانهاتان انتشار الجرب .

كذلك لم تتحقق ظروف أفضل دون نضال طويل مرير . فقد استرعت العشش بالمدينة اهتمام الكنيسة والجمعيات الخيرية منذ مدة طويلة ، وكان لكثير منها بعثات تقدم المساعدات والمواساة للفقراء والبائسين ، كانت فى المجموع مثل صناديق صغيرة وسط كمية هائلة من القمامة . ولم يكن فى مقدور اللوائح ولا الأعمال الطيبة أن تفعل شيئاً فى مواجهة الألوف الذين تكتظ بهم المدينة وشروط العمل المجحفة وإهمال المجتمع التجارى مما امتد حتى انصرام القرن . ولكن شكل من المعونة الأكثر فعالية ظهر فى أواخر عام ١٨٧٠ عندما بدأ كثير من الأمريكيين يسمعون عن أعمال أكتافيا هيل وكانون صمويل أ . بارنيت فى كنيسة هوايتشابل اللندنية الشهيرة . كانت جين أدامز من أشهر حواريها الأمريكيين ، وهى التى أنشأت هل هاوس فى عام ١٨٨٩ مما أدخل

الأمل فى قلوب سكان سلوت سايد المكتظ بشيكاغو . ذهب العون الذى قدمته مس أدامز وزملاؤها العاملون معها أبعد من مجرد المساعدة الطبية أو النصيحة ، فى أول بناء أقيم لهل هاوس عملت على أن يشتمل على قاعة الفن ومدرسة لتعليم لها فصول ليلية . . . كان هذا أول عمل من نوعه يقوم فى محيط الرجل العامل بأمريكا ، اعترافاً بجوع الناس جميعاً إلى الجمال . أما دور بيت المستعمرة فى الموسيقى والفنون الدرامية بصفة خاصة ، فقد كان منذ زمن طويل دوراً هاماً فى أمريكا ، وهناك أكثر من ممثل ذى شهرة عالية ، كان اكتشاف موهبته بالمسرح المتواضع بمبنى المستعمرة .

وهناك تطور مميز آخر لعام ١٨٨٠ هو الذى تمثل فى ظهور « الكنيسة الإجتماعية » التى بدأت تضطلع بمسئوليات أكبر بتلبية بعض مطالب رجال الأبرشيات التجديد والتعليم والترفيه العام . وكان الدكتور وليم س . ريتزفورد من رجال كنيسة سان جورج الإيسكوبالية من بين أوائل من قاموا بتوسيع دائرة نشاط الأبرشية . ولقد نتج عن هذا تغيير فى تصميم الكنيسة ، فبدلا من اقتصار الأبنية على عمارة الكنيسة وبناء بسيط للأبرشية ، ألحقت بها أبنية للمدارس والعيادات والنشاط الترفيهى ، وعادت جميع التصميمات مرة أخرى تؤكد مكاناً فى المجتمع الذى كان ضاع وقت قدوم الثورة الصناعية ، ثم تعمل عرضاً على تشكيل نموذج أمريكى خالص لبناء الكنيسة .

وذاع خبر الإصلاح فى عام ١٨٨٠ عندما بدأ الأمريكيون فى التعجب من شكل الحياة التى تتطور إليها مدنهم التى يزداد اتساعها واكتظاظها بالسكان . كانت قناعة الأجيال التى ولت قد بدأت فى الوقوف جانباً لكى تسمح بانطلاق مشاعر بأن ثمة أحداثاً غير عادية ينبغى أن تحدث خصوصا فى دائرة الإصلاح السياسى ، ولم تعد تعليقات الزوار الأجانب تنبذ فى موجات غضب إقليمى . وفى

هذا الجو من الاستجواب الذاتى ظهر كتاب الفايكونت برايس المشهود (الكومنولث الأمريكى) . مدح المؤرخ البريطانى الأمريكيين وذمهم فى براعة وتمحيص حتى بدأ الأمريكيون ينظرون إلى أنفسهم لأول مرة . فإذا كان دستورنا طبقاً لمقاييسه قد أصاب استقراراً ، فرجع ذلك إلى موازنته بالتقدير الصحيح لبلدياتنا . قال معقباً فى عام ١٨٨٨ « لا يمكن إنكار أن حكم المدن هو الفشل الأوحد الواضح فى الولايات المتحدة » . وكان الأمريكيون على علم بحقارة شأن حكوماتهم المحلية ولكن لم يحدث أن أصدر عليهم مثله من النقاد حكماً فى مثل تلك الحدة .

كانت هناك سياسات « التطهير » منذ عام ١٨٠٠ ، ولكن لم تعش الواحدة منها سوى زمن قصير . ومع نمو المدينة إلى ما نستطيع أن نطلق عليه الفوضى البائسة ، كان الرئيس وأجهزته السياسية يعتبرون جزءاً من النموذج ، وعلى الرغم من تصرفهم غالباً بشكل ما بعد الحرب الأهلية ، فقد استمر النظام لزمن طويل ، لكن بعد عام ١٨٦٥ نمت المدن أسرع من أى وقت مضى ، وتبع هذا النمو نسبة متعادلة من الفساد . وكانت المدن الكبرى هى أوفرها فساداً . كان فى مقدور بوس تويد بنيويورك أن تباهى بأنها بذت سائر المدن من ناحيتى الفساد وعدد السكان . ولكن لم تنجح أية مدينة من هذا الخطر . كان المواطنون الغاضبون ، يقترعون فى الانتخابات ، ويأتون إلى الحكم بحكومة إصلاحية لكى تلتقى بالفشل بعد حكم عامين مثبطين للهمم . كان الفساد أعمق من أن يقومه مجرد التطهير السياسى ، فنحن كشعب لم تكن لدينا حتى عام ١٨٨٠ فكرة عن طبيعة المدينة ولا عن السبب فى إقامتها . وحتى عام ١٩٠٠ لم يكن ثمة فارق إدارى بين الحكومة والتجارة . قال تامانى بوس ريتشارد كروكر للنكولن ستيفنز « هل سمعت أبداً أن الشغل شغل ؟ (business is business)

إذن فالسياسة شغل والصحافة والطب وكافة الحرف والفنون والرياضة وكل شىء هو شغل . . . ، هذا صحيح وبخاصة فيما يتعلق بإدارة المدن — إن الذين يجلسون إلى المكاتب لم تكن لهم ثمة مهمة سوى جمع المال ، أما السلطة السياسية الاسمية التى كانت بالمدينة ، فقد اتخذت ثوباً من مجلس استشارى صورى مزدوج ، أما المنفّذ القوى فلم يسمع عنه شىء كان على شخص ما أن يدير دفة المدينة تحت هذه الظروف ، وسد الرئيس السياسى ذلك الفراغ . وحصلت بروكلين ، وكانت مدينة فى حد ذاتها عام ١٨٨٢ على أول عمدة ذى سطوة فى البلاد ، فى شخص سيث لو ، الذى أصبح فيما بعد عمدة لنيويورك ثم مديراً لجامعة كولمبيا .

وضعت الحكومة الاتحادية خط السير نحو الإصلاح الإدارى جنباً إلى جنب مع قرار بندلتون للخدمة المدنية عام ١٨٨٣ والذى وقعه الرئيس تشيستر ا . ارثور . ولم تكن الأساليب الحديثة للميزانية أو المراقبة المالية موجودة حتى عام ١٩٠٠ ، وحتى أفضل من تولوا منصب العمارة عرقلت أعمالهم الأساليبُ العتيقة التافهة . ولكن ثمة إشارة إلى التغيير تمثلت فى إنشاء الرابطة الأهلية للمجالس البلدية ، فى عام ١٨٩٤ لتحسين هيئات المدينة وإيضاح سلطة حكومتها . كان يجب تفهم المسئوليات المتواضعة لجمع القمامة وكسح البلاليع وتوزيع المياه ودراستها قبل تنظيمها تنظيماً سليماً . إن انتصار أندرو هازويل جرين فى تمهيد السبيل لتوحيد نيويورك الكبرى عام ١٨٩٨ لهو من معالم تاريخ أمريكا الحضرى . ودعا البرنامج البلدى الأول للرابطة الذى أعلن بعد سنة إلى ضرورة وجود قواعد أوفر للسكن ، وإلى الحاجة إلى عمدة قوى ومجلس استشارى ، والاقتراع على النيابة قصيرة الأمد بالنسبة لموظفى المدينة . وفى النهاية ، وفى موجة الإصلاح التى جاءت وقت الفترة التقدمية ، وجدت التحسينات الكثيرة سبيلها إلى الصدارة . وقدم جونز الملقب « بالحكم الذهبى »

والذى انتخب عمدة لتوليدو بأوهيو عام ١٨٩٧ ، رياض الأطفال المجانية بالمدارس العامة ، وأقام الملاعب وحدد ساعات العمل بثمانى ساعات لموظفى المدينة . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى اختير توم جونسون عمدة لكليفلاند ، ومن بين إصلاحاته العديدة النهوض بتخطيط المدينة . ومع مرور الوقت اكتسب الميل نحو التحسن قوة دافعة . وبدنو حركة تجميل المدينة أنجز الكثير للتخفيف من عفوان الجانب الحزين الذى كان يسود الحياة بالمدينة .

الجزء السادس

جمال المدينة

المدينة النامية الثانية

١٨٨٠ ١٩١٠

سرى تيار جديد فى المنظر الحضرى الأمريكى فى هذا الجيل لم يكن جميعه متجهاً نحو مجرد التوسع . فقد برم كثير من الأمريكيين بالفوضى ورأوا ، كما رأى الفيلسوف تشارلس بيرس ، أن على المجتمع أن يكبح جماح الفردية المطلقة العنان . وفى هوادة تبين أن هناك خطراً من الفوضى الحضرية وأن أمريكا لا تقاس بالفخامة فحسب — بل ينبغى للفن أيضاً أن يلعب دوره . وبنفس الروح والنشاط الذى كرس للتجارة، أصلح الأمريكيون الأخطاء الماضية . وكان القربان يتمثل فى حركة تجميل المدينة التى لولاها لما حصلنا على مكتباتنا العظيمة ولا على المتاحف ونهايات الخطوط والمراكز البلدية التى تستحوذ على خيال الجمهور هنا وفى الخارج. إنه العهد الذى ساهم فيه رجل الأعمال مساهمته الكبرى نحو التمدن الأمريكى وسارت الحكومة على هداه .

١ — القصر والنصب التذكارية :

قد يكون أصحاب الملايين الجدد من الأمريكيين فى منتهى الجرأة فى معاركهم الهائلة للسيطرة على الإمبراطوريات التجارية ، ولكن ما كان أكثر هيبتهم فى بادىء الأمر تجاه التجديد ، وتحفظهم عندما استلزمت الحاجة اتخاذ أشكال جديدة للمساكن . وحقاً إن آل بوتر بالمرز قد أقاموا قصراً من الحجر ذا أبراج بشيكاغو ، وصفه بونى دى كاستلان الوجيه الفرنسى بأنه « فاخر وبغيض » ، ولكن عندما بنى مارشال فيلد تاجر المنسوجات بشيكاغو ، لنفسه بيتاً بشارع بربرى عبارة عن قصر من الآجر المضغوط والحجر البنى ذا سقف جملونى ، لم يكن فى البناء ما يدل على أن فيلد كان واحداً من أغنى الناس وأوفرهم سلطة بالمدينة .

وكان لشبيهه ألكسندر ت . ستيوارت بنيويورك قصر أكبر بالشارع الخامس يماثله فى السلبية . وأخيراً حدد النموذج وليم كيسام فاندربلت ، حفيد الكومودور المشهور الذى أنفق ثلاثة ملايين من الدولارات فيما بين عامى ١٨٧٩ ، ١٨٨١ على بيت كان يشاهد يوماً ما بناصية الشارع الثانى والخمسين والشارع الخامس ، ويعتبر هذا البناء الذى صممه موريس هنت بشيراً بظهور « القصر » الخاص .

تقول « كونسويلو فاندربلت بالسان » ، دوقة مارلبورو ، التى أصبحت فيما بعد سيدة قصر إنجليزى عريق :

كم كانت مرحة تلك الحفلاتُ الساهرة عندما كان البيت يكاد يشتعل من الأضواء ، وكنت أنا وويلى نقبع على أيدينا وركبانا خلف حاجز مقصورة الموسيقيين ، نتطلع إلى المشهد المهرجانى تحتنا — وإلى مائدة الطعام المغطاة بالمفارش الدمشقية وعليها الأدوات الذهبية والورود الحمراء ، والأوانى البلورية والصينية ، والكبار فى ملابسهم الفاخرة . كانت قاعة الطعام هائلة المساحة وفى أحد أطرافها رف مدفأة مزدوج من طراز عصر النهضة . وبطرف آخر نافذة هائلة من الزجاج الملون تصور حفل الكهنوت الذهبى حيث يلتف حول ملكى إنجلترا وفرنسا فرسانهما ، وجميعهم فى أجمل زينة كزينة السيدات اللامعة جواهرهن ، والجالسات على مقاعد مكسوة بأقمشة مزركشة ومرتفعة الظهور ، وقد وقف خلفها الخدم فى سراويلهم المعقودة عند الركبة . يلى قاعة الطعام الفسيحة هذه حجرة صغيرة للإفطار زينت بالأقمشة الفلمنكية المزركشة ، ولوحة رمبراندت للرئيس التركى . ثم تأتى قاعة الاستقبال البيضاء بستائرها من قماش البوشيه المزركش ، وهنا كان المكتب اللاكيه الجميل والدولاب الجانبى المحلى بالبرونز من عمل جوتيير والذى صنع خصيصاً لمارى أنطوانيت .

تلى قاعة الاستقبال حجرة الجلوس وهى عبارة عن صالون من طراز عصر النهضة يطل على الشارع الخامس .

وعلى الرغم من ساعات الملل التى لابد أن تكون قد مرت بتلك القاعات ، حيث سيطرت الرسميات على الإتيكيت الأسبانى بكل مافيه من قسوة ، فما أمتع ما أعطت للشاهد العادى وما أكرم الرعاية التى مدت فيها إلى الفنون .

ومما سجل فى كتاب « حياة هنرى كلاى فريك » لجورج هارفى ، أن أحد بتسبورج الذى كان شريكاً لكارنيجى وهو فى الواحدة والثلاثين ، كان يمشى يوماً بالشارع الخامس فى صحبة أندرو ميلون ، وزير الخزانة فيما بعد ، وإذ بهما يقفان قبالة عمارة هنت الكبيرة ، وكان العمل مازال دائراً فى إقامة هيكلها ، وتراهنا على مصاريف صيانتها . كان ذلك فى عام ١٨٨٠ ، أى قبل أن ينتقل فريك نفسه إلى مدينة نيويورك، ويستأجر أحد قصور فاندربلت ، بخمس وعشرين سنة وكان قد باع بمتلكاته لشركة الولايات المتحدة للصلب .

وفى عام ١٩١٤ انتقل فريك إلى قصره الخاص الذى بناه له كاريير وهاستنجز نظير مبلغ ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ دولار . هذا القصر وهو واحد من آخر القصور الباقية بالشارع يضم الآن ، كما أراد بانيه ، مجموعة أنخر المجموعات الفنية بالعالم، جمعه فريك ثم تركه للجمهور فى هيئة متحف . ولا يسعنا سوى التقدم بالشكر لهذا الفضل من جانب أصحاب الملايين الذين طغى عليهم إغراء المعماريين والفنانين لذاك العصر ، والشاهد على ذلك مجموعة « هافمير » الموجودة الآن بمتحف مترو بوليتان للفنون ، والتى جمعت بمشورة من مارى كاسات . ثم القصر الإيطالى لمسز جاك جاردنر بفنواى فى بوسطن الذى ساعد كل من جون سنجر سارجنت وبرنارد بيرنسون على تكديسه بالكنوز .

قام القصر بعد القصر بالشارع الكبير ، فإذا دنا عام ١٩٠٠ كان الشارع قد أصبح أحد معالم الأمة ، يثير حسد وإعجاب الجميع ، ولم تستطع الهجمات الصادرة عن منصات الخطابة الوطنية ضد إسرافه سوى أن تجعله يبدو أكثر فتنة وسحراً . وكان مطمح كثير من رجال الأعمال وزوجاتهم من يسيرون نحو الثراء أن يكون لهم عنوان بالشارع الخامس .

كان الحجر الجيرى هو مادة البناء الرئيسى فى عصر القصور ، ولو أنه كان يستبدل أحياناً بالرخام . أما الزخارف فكانت تستخدم بعناية تامة سواء بالداخل أو بالخارج ، وكان الذوق الذى يسود الأثاث أسمى بكثير ، وبما توفر للمنازل التى بنيت قبل عام ١٨٨٠ ، فقد أعطى جانب كبير من الاهتمام إلى نوع الأثاث وبخاصة إلى الطلاء . وفى بعض الأحيان كان يستدعى فنانون مثل أوجستوس سان جودنز وجون لافارج للاشتراك فى العمل بقدراتهم . وسار طراز قصر هنت على منوال طراز عصر فرنسيس الأول بفرنسا ، وبقى سائداً لمدة من الزمن حتى أواخر عام ١٨٩٠ حين تحول الذوق إلى الكلاسيكية الفرنسية لعصر لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر .

ولا يشاهد اليوم بنيويورك سوى أمثلة قليلة للقصر الخاص ولكن كثيراً منها يمكن العثور عليه بنيويورك ، ورود أيلاند ، حيث كان أثرياء نيويورك يقضون الصيف فى جماعات كبيرة . كان هذا يوم البهجة بالنسبة لمثل هذا الملجأ . . . وهنا بنى هنت « أوكر كورت » فى عام ١٨٨٨ لأوجدن جوليت ، الذى مكنته ثروته العقارية بنيويورك من هذا الإشراف . وصمم هنت أيضاً « الدار الرخامية » الكلاسيكية لوليم كسيام فاندربلت عام ١٨٩٢ . وبعد ثلاث سنوات أقام بناء « بريكرز » المشهور لكورنيليوس فاندربلت الثانى الذى افتتحته ابنته الكونتيس لازلو تشيشينى اليوم للجمهور لحساب جمعية نيوبورت

للترميم . وصمم هوراس ترامبوور ، معمارى فيلادلفيا مبنى « الألمز » لمليونير الفحم إدوين بروند ، وهى دار فاخرة من طراز لويس الخامس عشر ، داخلها ثمين وحدائقها فخمة .

واليوم غالباً ما نقع فى خطأ الاعتقاد أن هذا الولع بالفخامة كان مقصوراً على مواطنينا من أصحاب الملايين ، على حين كان الشعب الأمريكى يهرب من عروض الترف . إننا شعب مسرف . . . وإسرافنا يتخذ طرقاً عديدة

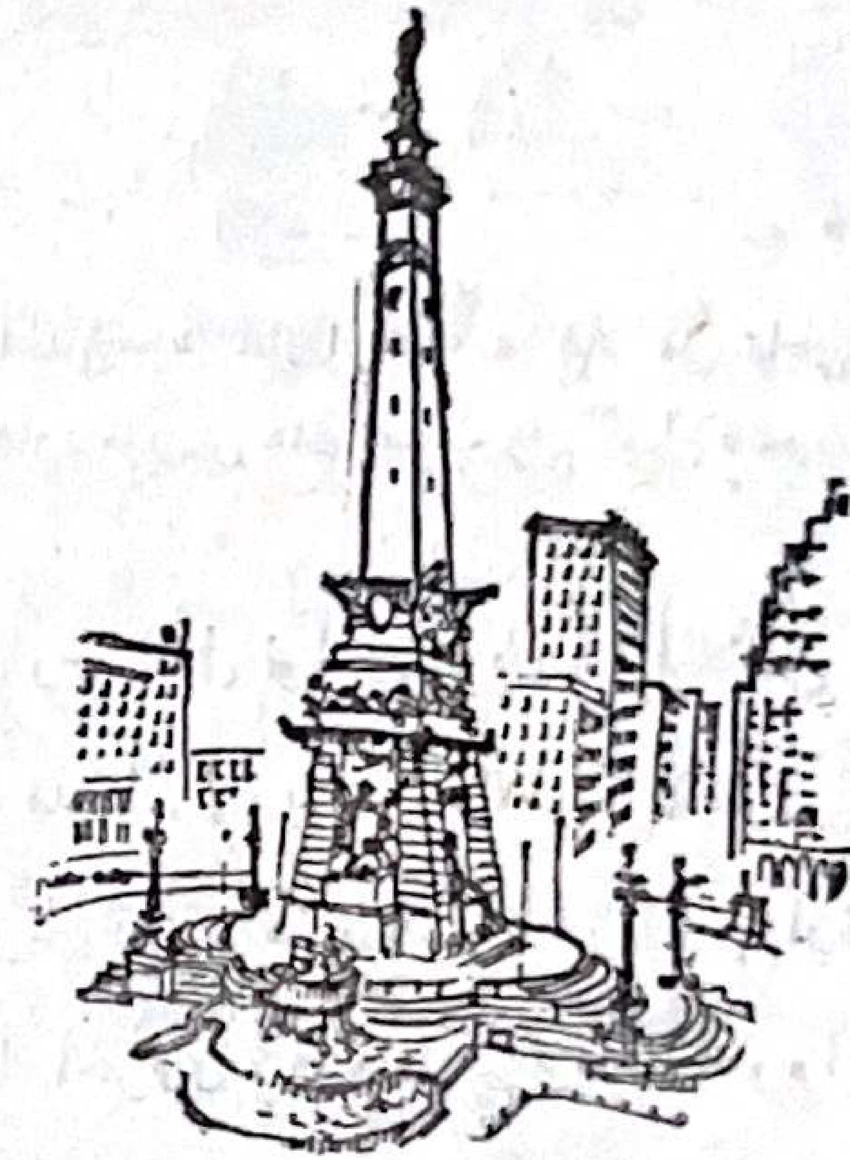


المواجهة المطلة على الحديقة « للدار الرخامية » فيلا على شاطئ البحر بنيويورك فى رود أيلاند من تصميم ريتشارد موريس هنت لحساب وايم كيسام فاندربلت عام ١٨٩ .

ولو أنه قد يجد مخارج له فى نواحى الرياضة والملابس ، وقلما يجدها فى نواحى الفنون أو زخرفة مدننا . إن بناء ثراة أمريكا للقصور الخاصة كان أحد مظاهر الفترة لا أكثر . وكان تصميم هنت لدار فاندربلت إشارة للتغيير ، ولكن سرعان ما سار على منوالها آخرون ، فقام ماكيم وميد ، ووايت فيما بين عامى ١٨٨٦ و ١٨٩٦ ببناء المكتبة العامة بمدينة بوسطن ، وهى بناء استوحى من عمل ليون باتيستا ألبرتى وهنرى لا بروست . البناء وجدرانه من رسم شفانس وله

بهو رخامى جميل ودرج أنيق وهو يعتبر واحداً من أعظم الأبنية بالبلاد .

وكانت هذه علامات ذوق جديد فى الواقع ولو أن الشعب لم يكن على وعى تام بها . وحركت نُصب أخرى قلب أمريكا ، ففى يوم حزين من أيام ديسمبر عام ١٨٨٤ شاهد الرئيس تشيسترا . آرثر رفع الغطاء الألومنيوم إلى قمة النصب التذكارى لواشنطن ، وهو حدث يعلن انتهاء العملية بعد عمل دام ثلاثين عاماً أو تزيد . وعلى هذا البصيص الكلاسيكى الجميل أقامت أمريكا أعلى هياكل بنائية أقامها الإنسان ، فبعد سنتين رفع تمثال الحرية لبارتولدى ، ويده الممسكة بالشعلة عالياً على قاعدة من تصميم هنت جوار « الباب الذهبى » لميناء نيويورك . وقال الرئيس كليفلاند لشعب أمريكا فى ترحيبه بهدية فرنسا الفاخرة السخية « لن ننسى أن الحرية قد جعلت هنا موطناً لها ، كما لن نهمل الهيكل الذى اختارته وأنشدت « إما لازاروس » أغنيتها الجميلة فى التمثال الجديد « أعطنى فقراءك



النصب التذكارى للجنود والبحارة فى إنديانا بوليس صممه عام ١٨٨٧ المعمارى الألمانى برونو شميتز وانتهى العمل به عام ١٩٠٢ .

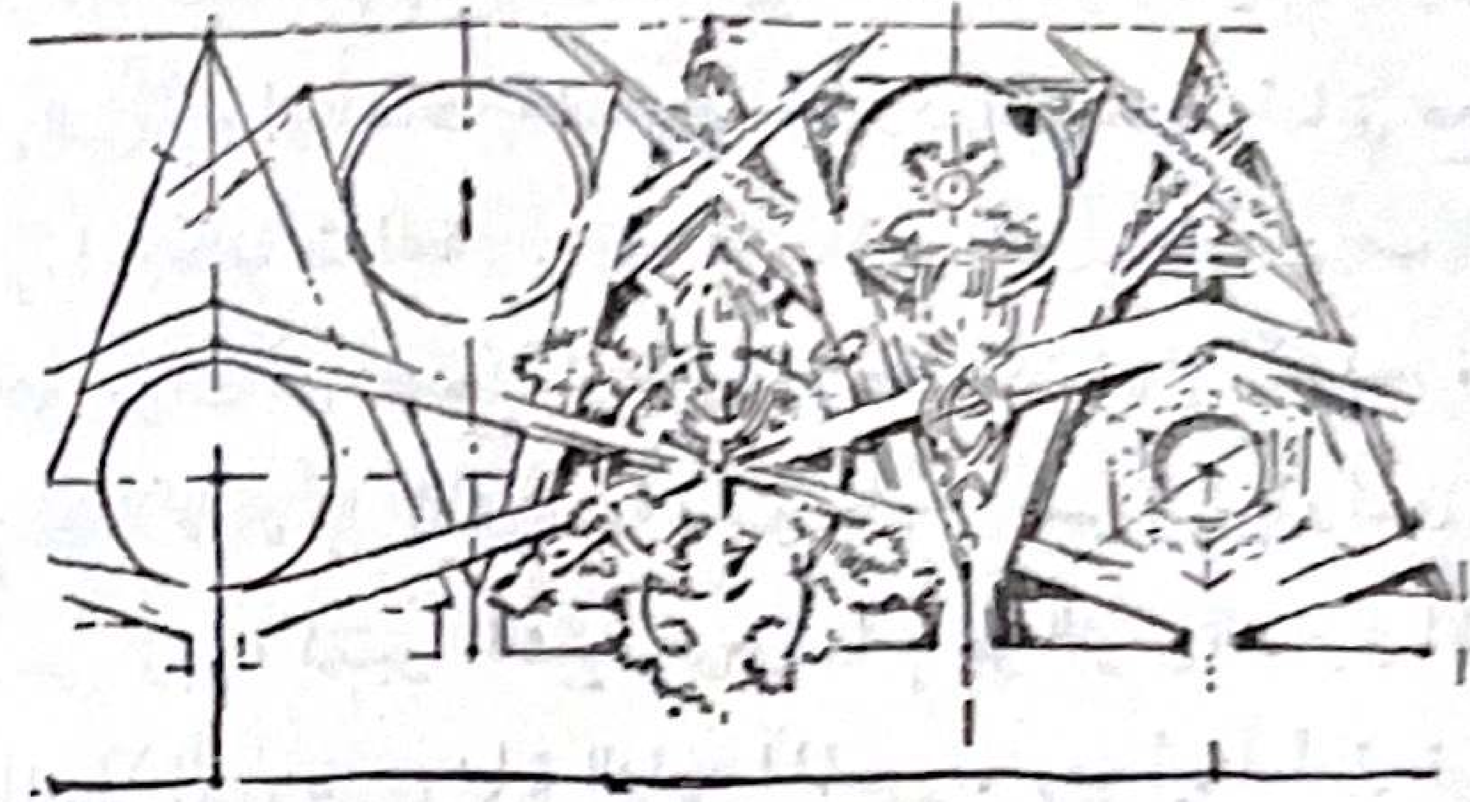
ومتعبيك ، وجمهورك المختلط الذى يصبو إلى إستنشاق الحرية . . . » إن لأمريكا الآن نصبين منظريين لا مثيل لهما إلا بعيداً فى التاريخ ، فى أيام اليونان الهيلينية أو روما الإمبراطورية .

أما النصب الثالث فقد ظهر عام ١٨٨٩ فى العيد المئوى لتولية واشنطن الحكم بنيويورك . وعلى سبيل التكريم قام الرئيس هاريسون بتمثل الرئيس الأول ، فسار فى سفينة من إليزابيث بورت بنيوجرسى إلى أول شارع « وول » عبر أحد المرافىء حيث تسبح الزوارق الصغيرة ذات الأشرعة المزدوجة والمعديات والسفن النهرية والرفاصات واليخوت والزوارق البخارية تتسابق مع بعضها وتقفز وراء بعضها متدافعة . . . وعلى حافة ميدان واشنطن رحب بالرئيس قوس كبير مؤقت من تصميم ستانفورد وايت ، كان أجمل الأقواس منذ تلك التى أقيمت للافايت قبل ذلك بخمسة وستين عاماً . تحمس النيويوركيون لابتكار وايت حتى إنهم اكتتبوا لتشييد قوس دائم هو القوس الصخرى الذى يقوم الآن بالميدان الذى يقع فى نهاية الشارع الخامس ، وهو أيضاً أول قوس نصر دائم أقيم بأمريكا . كان النصب التذكارى لواشنطن ، وتمثال الحرية وقوس واشنطن رموزاً لقوة جديدة وانعطافاً جديداً من جانب الشعب الأمريكى .

وفى تمثال الحرية يمكن مشاهدة أكثر من جسم الحرية رافعاً يده بنورها أكثر من رمز للصداقة التى بين الجمهوريتين العظيمتين . . . لقد قام التمثال الجديد ليربط بين الأمتين على النمط الكلاسيكى التقليدى . فقد بدأ الفنانون والمعماريون الأمريكيون بتلقى العلم فى فرنسا ، وكانت المدرسة المعمارية الوحيدة فى العالم التى تمتاز عن غيرها والتى لها تقاليد موجودة فى باريس . . وعلى المدرسة العليا للفنون الجميلة تدفق طلاب الفنون الذين حصلوا — على نفقة الحكومة الفرنسية — على تعليم من الطراز الأول ، إذ لم تكن ثمة مصروفات للدراسة . وبعد ثلاثة

أو أربعة أعوام فى الخارج يعودون إلى الوطن وهم يتقنون لغة أجنبية على الأقل، وفى متناول أيديهم الأمثلة الكبرى للفن العالمى من إدنبره إلى اسطنبول .

كان لويس سولفيان ، وقد أمضى جزءاً كبيراً من حياته يناضل ضد التقاليد الكلاسيكية ، لا يتحرج مع ذلك من الاعتراف بدينه لفرنسا . لقد فتحت المدرسة عينيه ، كما سجل فى كتابه « تاريخ حياة فكرة » ، « على نوع ومقدرة الفكرة الفرنسية وخصوبتها وحزمها وصلابتها ، وفوق كل شىء إلى عنف



تصميم زخرفة معمارية للويس سوليفان

ترتيبها تحت سطح ناعم الملمس » . كان مبدأ « المعرفة والنظام » درساً فرنسياً للفنانين الأمريكيين ، وبخاصة المعماريين ، الذين عادوا لإنشاء طراز لم يكن ، على حد قول فيسك كيمبال ، له مثيل فى أى مكان فى ذاك الوقت ، حتى فى فرنسا نفسها .

فى أول الأمر عاد كثيرون من ممثلى الكلاسيكية من فرنسا تحت التأثير الأركيولوجى لفيوليت لو دوك ، أحد أعداء المدرسة ، وكان زعيما الانشقاق التصويرى ريتشاردسون وسوليفان من تلاميذ المدرسة المشهورة ، ولكن

كثيرين من الرجال الذين اتهموا بوقوعهم تحت تأثيرها لم يسعهم أبداً أن يضعوا أقدامهم داخل الدور ، لم يختلف إليها لا دانيل هـ . برنهام ولا ستانفورد وايت . ولقد اكتشف وايت بعد عدة سنوات بمكتب ريتشاردسون ، الكلاسيكية خلال رحلة إلى فرنسا فى صحبة تشارلس فولن ماكيم وأوجستس سان جودنز .

إن درساً من مدرسة الفنون الجميلة ، ومن أوربا فى هذا الموضوع كان فيه قيمة الماضى . كان من أولى الخطوات التى اتخذها ماكيم عقب تركه المدرسة أن يكتشف ماضينا بالطواف خلال نيوانجلاند عام ١٨٧٧ مع شركائه فى المستقبل ، ستانفورد وايت ووليم رذرفورد ميد ، بينما كان الانشقاق التصويرى لوايت ينال الاستحسان كطراز بعد المعرض المئوى بفيلادلفيا ، وهبط عليهم الباروك الأمريكى لكنه كان فريسة للإغفال . إن نهضة الباروك الأمريكى (التى ما زالت تصاحبنا فى شكل الطراز الاستعمارى الناهض) تنبثق عن تلك الرحلة وفى الحال بدأ الأميريكيون فى البناء وفق تقاليد أسلافهم .

٢ — النهضة الأمريكية .

كانت القصور الخاصة والنصب الضخمة ، وكان اكتشاف الباروك الأمريكى ، من معالم الطريق نحو الذوق الجديد . وفجأة ظهرت صورة على ضفاف بحيرة متشيجان ، مندفعة فى قوة كزهرة صيف مباغتة ، وفرك الناس أعينهم وجاؤوا بالآلاف . ورفرفت الأعلام تحت شمس الغرب الأوسط المحرقة وامتلأ الجو بالماء مندفعاً من النافورات مختلطاً بغمغمة الناس فى تعبير عن استحسانهم . وانعكست صور الأبنية الكبيرة البيضاء على صفحة البحيرة الهائلة ، واحتل تمثال الحرية الضخم الأعمدة التذكارية مكان الشرف . تلمع من ورائه لمحة من بحيرة ميتشيجان الزرقاء على حين كانت ظلال قبة السرور تطفو فى منتصف الطريق فوق الأمواج . كان هذا هو معرض كولومبيا العالمى عام ١٨٩٣ ، وتتيه شيكاغو على كل هذا بأنه قد

قامت على المروج إلى جانب البحر المتغلغل داخل الأرض ساحة أمريكية تحف بها القصور العامة غنية بزينتها وتماثيلها التى تضارع حتى تلك التى كانت بروما القديمة. وسحر بعضهم من هذا التظاهر فى وقته كما سحر كثيرون منه فيما بعد، ومع ذلك فإن هذا العالم المؤقت من القضبان والملاط قد غير من ذوق أمة.

وجاء أحد النقاد من ذوى الإدراك وذهب ليعود مرة ثانية إذ كان قد أخذه المنظر. ويرى هنرى أدامز أن «باريس لم تأت أبداً بمثل هذا». ونقرأ فى فقرة من كتاب (تعليم هنرى أدامز) «هل أعد الأمريكى ليرتاح إلى كل هذا..؟ الواقع أنه يبدو وكأنه مرتاح إليه كما لو كان كله ملكاً له. لقد أحس بالجمال فهو فخور به، وفى معظم وقته كان يتصرف كما لو كان قد أمضى حياته فى المنظر قائماً على فلاحة بستان أو على زخرفة معمارية». وأصر أدامز، وقد أدرك ذوق الجمهور تجاه هذه الأبنية، على أن شيكاغو كانت التعبير الأول عن الفكر الأمريكى كوحدة، وأن هنا ينبغى على الإنسان أن يبدأ».

أما المعرض Fair الذى كان له الأثر البالغ فى نفس أدامز وفى نفوس عدد لا يحصى من الآخرين، فقد أدين إدانة بالغة قد تكون أبلغ من إدانة عصر التجارة الذى أنشأ به. فبينما يعتبر اليوم رجال الأعمال فى العصر الذى، رغم قسوتهم عظماء المنظمين لطريق الحياة الأمريكى، فإن عمارتهم وتماثيلهم ومصوريهم ومعمارى مناظرهم ومخططى مدنهم ما زالوا يقدّمون إلينا على أنهم مقلدون طاتون تدربوا فى المدرسة الفرنسية، وأنهم برجوعهم إلى التقليد الباروكى الأمريكى والرومانى الأمريكى قد حطموا زهرة الفن الأمريكى الذى يتمثل فى الإشتقاق التصويرى... وإذا كنا الآن ننظر بتعقل أكثر إلى دوكفر وموروجان وهاريمان أفلا يجدر بنا أن نفعل المثل تجاه برنهام وماكيم وسان جودنز وأولمستد وغيرهم ممن شاركوا فى تصميم المعرض

ونعتبرهم دواماً من عظماء الفنانين الأمريكيين.

إن القصة الساحرة للمعرض ينبغى أن تروى بالتفصيل، فقد كانت مبادرة رجال الأعمال بشيكاغو هى الخطوة الأولى، وكان مما يعتبر «ضربة معلم» تعاقدهم مع «فريد يريك لو أولمستيد ودانيل ه. برنهام» ليكونوا ضمن مستشاريهم، ويرجع الفضل إلى أولمستيد فى عمل التخطيط للساقط، وإلى برنهام فى ربط العمل كله، وكان مسئولاً أيضاً عن دعوة فطاحل المعماريين والمثالين والرسامين لذاك العصر إلى الاشتراك فى إنشائه. نذكر من البارزين فيهم هنت وسان جودنز وماكيم وفرنسيس مليت. ولقد اختار المعماريون بالإجماع التقليد الكلاسيكى للعمارة، واستقر رأيهم على خط كورنيش موحد للمبانى الواقعة بمكان الشرف. وعلى منوال جفرسون عادوا أدراجهم إلى عمارة القدماء لأنها «كانت مما حاز رضاء آلاف السنين..»، أو كما قال واحد منهم — هنرى فان برنت من مدينة كنساس — إنهم كانوا يتطلعون إلى «طراز رسمى موحد — طراز يخرج ويعبر عن أسمى مدينة فى التاريخ وليس، شكلا للقرون الوسطى أو أى شكل آخر للفن الرومانتيكى أو الأثرى أو المنظرى...»

وانبثق نصرهم عن حالات ثلاث — وحدة الخطة، ووحدة العمارة والعظمة. وإلى هذه ينبغى أن نضيف حالة رابعة هى التعاون بين جميع الفنون... ولقد استخدمت العودة إلى التقليد الكلاسيكى العظيم أحسن استخدام حتى إنه عندما أعلن برنهام عن «وجود نوعين من الجمال المعمارى يتمثل الأول فى المبنى المفرد، والثانى فى نظام البناء ولياقته، أما الروابط بين الأبنية وبعضها فكانت أهم من كل شىء»، فلعل هذه الفكرة لم تكن معروفة فى العمارة الأمريكية ولا فى

تخطيط المدينة منذ عصر داميه وجفرسون ، ولكن مالا شك فيه أن البذور قد وقعت على الأرض الصالحة .

حقيقة إن خيطاً رفيعاً من الرعاية الحكومية قد استمر حتى خلال عصر البخار والحديد . وبينما كان الطراز المنظرى هو الطراز المألوف جداً ، اتخذت الحكومة الاتحادية نفسها النماذج الرومانية الأمريكية . وفى عام ١٨٥٥ بدأ كوستانتينو بروميدى عمله الهرقلى فى زخرفة الكابيتول بأعمال الفريسكو . وأتم ذلك الفنان الإيطالى المتواضع الذى أقصى عن وطنه بسبب مبادئه الجمهورية ، أتم فى عام ١٨٦٥ عمله فى لوحة من الافرسك ، تأليه واشنطن ، التى تملأ فراغ القبة وكان وقتئذ فى الستين من عمره ومات بعد ذلك بأربعة عشر عاماً وهو مازال يعمل بالإفريز ، ولم يحصل على تقدير لعمل يديه إلا حديثاً بفضل مترجمة حياته مسز جون ر . موردك . وفى منتصف القرن أيضاً حل آمى بورهام يونج — وهو الآن من المعماريين المنسيين — محل روبرت ميلز كمعمارى لإدارة الخزانة (كان ذلك عام ١٨٥٢) ومن لوحة الرسم الخاصة به خرجت مجموعة من مكاتب البريد والجمارك يشاهد كثير منها حتى اليوم خلال البلاد ، ولكن ما يذكر به هو تصميماته لكابيتول فيرمونت بمونبلييه ، ودار الجمارك بوسطون ، ومبانى يونج الحكومية فى بورتلاند . ومين وبردفيدايس وورود أيلاند وجاالفستون وتكساس وجالينا بإيلينوى التى تسترعى الانتباه لجمال نسبها ، والتحفظ الكلاسيكى البادى فى عمل هؤلاء المعماريين الأمريكيين النازعين إلى الفن الرومانى .

وبإقرار قانون تارسينى عام ١٨٩٣ ، جدد الكونجرس تقليد الرعاية وذلك بتصريحه للوزير أن يحصل على تصميمات للمبانى العامة عن طريق المسابقة بين زعماء مهنة العمارة . كانت الجائزة عبارة عن ستة فى المائة من تكاليف البناء تمنح

للفائز فى المسابقة . بهذا القانون منحت الحكومة الاتحادية التقدير الرسمى للعمارة كفن لازم للمجتمع كما أن الحكومة وقد توفرت لديها أحسن مواهب البلاد سرعان ما انعكست رعايتها للفنون على نوع أبنيتها (لسوء الحظ أنه حدث فى عام ١٩١٢ فى اجتماع آخر للكونجرس وتحت الضغط المتواصل لحملات التوفير أن استبدل القانون ، ولكن ليس قبل إتمام العمل بدار الجمارك بنيويورك لكاس جيلبرت) .

سارت الحكومات المحليه على نفس المنوال مبدية اهتماماً حيوياً نحو عمارة أجل شأناً ، وقام كابيتول ولاية بعد الآخر ، وخصوصاً فى الغرب . وأنجز كاس جيلبرت ، تصميمات كابيتول مينيسوتا فى سان بول عام ١٨٩٦ ، وكابيتول أركنساس فى ليتل روك عام ١٨٩٩ . أما كابيتول رود أيلاند (١٨٩٥ - ١٩٠١) فهو من عمل ماكيم ، وميد ، ووايت . وصمم جورج ب . بوست وأولاده كابيتول وسكونسين (١٩٠٦ — ١٧) فى ماديسون . وكان من أقوى الأعمال كابيتول بنسلفانيا (١٩٠٤ — ٦) فى هاريسبورج لجوزيف م . هستون ، وتميزه جدرانه التى أبدعها إدوين آبى ومجموعات النحت لجورج جراى بارنارد . وفى مدينة جفرسون يقوم الكابيتول الذى أتمه تراسى وسوارتوت عام ١٩١٧ كأوفر هذه الأبنية رومانية من ناحيتى المقياس والعمارة . وبغض النظر عن فشل أو اثنين ، فإن مبانى الكابيتول هذه تتميز بالفخامة ، وبخاصة من الداخل ، إذا لا تضارعها أية أبنية أخرى حيث تقوم الزخارف وحيث وجدت جميع الفنون مكاناً لها .

وفى أيامنا هذه يقوم التجريد وتقوم الوظيفة أساساً للأعمال المعمارية . ولكن أبنية الكابيتول هذه ذات القباب ، تدعو الأمريكيين إلى فخامة بصرية من الذهب والمرمر ، لا تتوافر فى أبنية الولايات الجديدة أو فى واقع

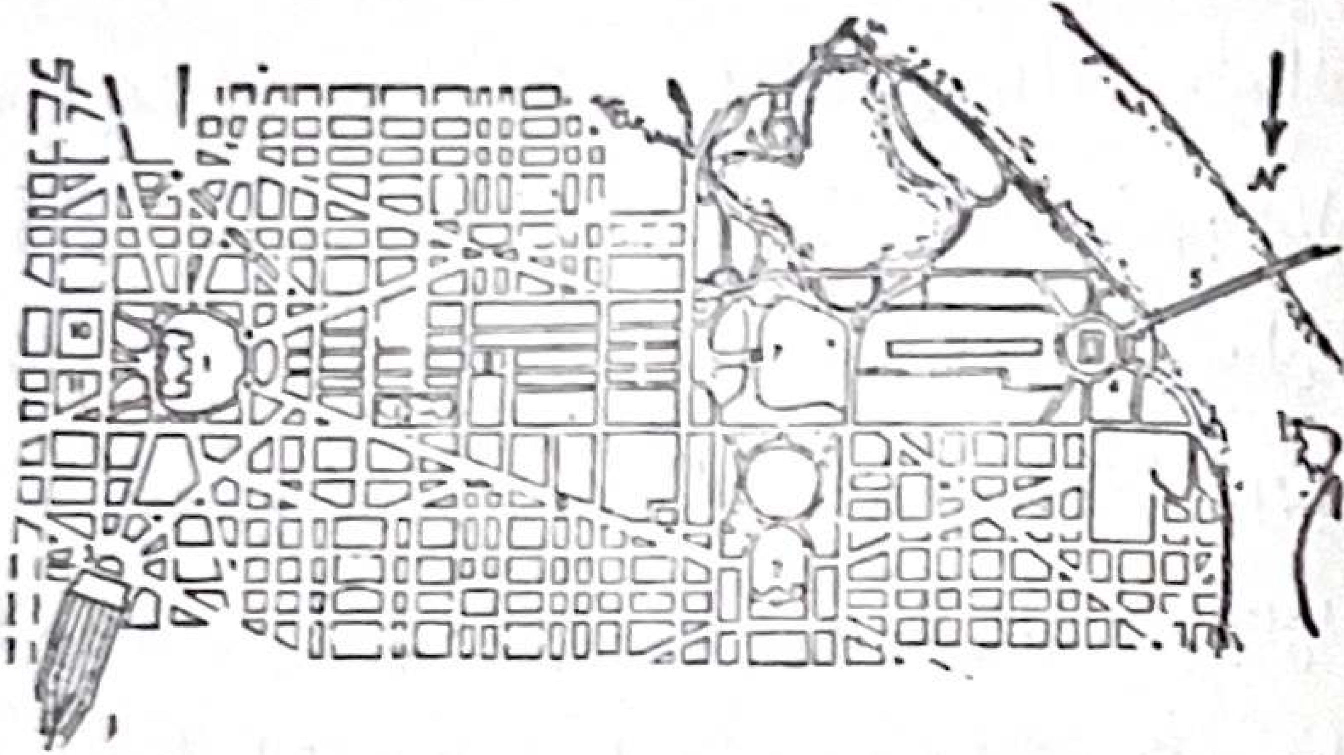
الحال فى أى بناء من أبنية الحكومة الآن .

تصادف الاهتمام الجديد بالنصب والأبنية العامة مع حلول الوقت لتحسين مقر الحكومة الاتحادية . كان عمل « لانفان » بواشنطن قد أصابه الإهمال بعد المجهودات الأولى . وكانت النهضة الرومانتيكية قد غزت العاصمة بالمعهد القوطى السميثون وبعصر البخار والحديد ، وسيرت خطاً حديدياً عبر « المول » the mall وتحولت المدينة الاتحادية بعد استخدامها مستودعاً ومستشفى خلال الحرب الأهلية إلى (سلخانة) . وقال هنرى جيمس حينئذ «إن الكابيتول ، ذلك المبنى الفاخر ، ينثر مجموعات من الأعمدة ويحمل قبته المنفردة فى نهاية منظور من الحانات وحوانيت التبغ .»

عقد الشعب الأمريكى العزم بإغفاله الفردية السبنسرية ، على أن الفن سوف يأتى بالنظام إلى العاصمة الوطنية ، وكانت الحركة الأولى هى إنعاش خطة لانفان عن طريق لجنة ماكيلان عام ١٩٠١ . وكانت ثمة محاولة قد جرت منذ أربعين سنة قبل ذلك التاريخ لتكوين لجنة تتولى أمر تحسين المدينة عقب التماس رفعه جماعة من الفنانين إلى الرئيس بوكانان والكونجرس ، ولكن لم تسفر الحركة عن شيء . ثم فى أيام الرئيس ثيودور روزفلت شكل السناتور جيمس ماكيلان، من متشيجان ، لجنة فرعية عن لجنة مجلس الشيوخ لمنطقة كولومبيا ، وكان من بين أعضائها بورنهام وماكيم وسان جودنز وأولمستد . ومدينة واشنطن التى نراها اليوم هى نتيجة عمل تلك اللجنة .

عكف الأعضاء على دراسة خطة لانفان ، ثم ذهبوا إلى الخارج لاستطلاع ما يستطيع الماضى أن يقدم . ولدى عودتهم ضموا التحسينات إلى عمل لانفان فى خطة ١٩٠١ ، وكان فى أول القائمة ترميم المول يتبعه تحديد لمواقع الأبنية العامة الجديد ، ثم النصب التذكارية القديمة والجديدة مما كان يتصل بنموذج

التحسين العام . وعلاوة على ذلك وضع تنظيم للمتنزهات يربطها بعضها ببعض . وكان برنهام هو الذى أقنع ألكسندر كاسات مدير سكة حديد بنسلفانيا بإزالة المحطة من الممر . واقترح المعمارى موقعاً جنوبها ولكن كاسات وافق بعد إدخال التحسينات على الفكرة ، وبالتعاون مع سكة حديد بلتيمور وأوهيو على بناء محطة اليونيون حيث تقوم الآن فى أقصى الشمال . وهكذا عاد قلب واشنطن بالتقريب إلى نظامه الأصلى لعام ١٧٩٠ .



١ ـ الكابيتول　٢ ـ البيت الأبيض　٣ ـ محطة يونيون
٤ ـ نصب لنكولن التذكارى　٥ ـ جسر أرلنجتون التذكارى
٦ ـ نصب جفرسون التذكارى　٧ ـ تمثال واشنطون
٨ ـ الممر (المول)　٩ ـ شارع بنسلفانيا
١٠ ـ مكتبة الكونجرس　١١ ـ المحكمة العليا

القطاع المركزى لمدينة واشنطن (منطقة كولومبيا) . تبين مواقع التماثيل العامة كما هى اليوم .

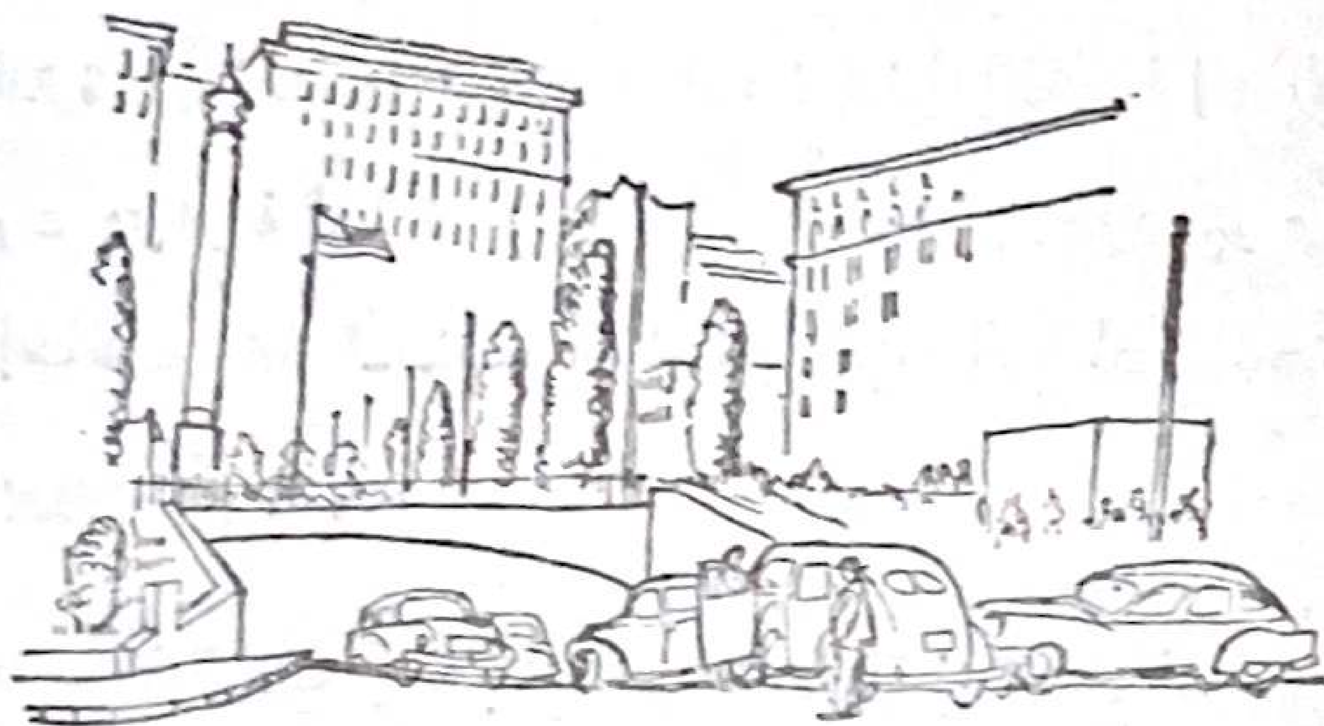
وفى عام ١٩١٠ وبناء على طلب من السناتور إليهوروت تشكلت لجنة الفنون الجميلة من سبعة أعضاء لبذل المشورة وإقرار التطورات المستقبلة فى منطقة كولمبيا . وأضح الرئيس تيودور روزفلت للمعهد الأمريكى للعمارة كيفية

العمل فقال ، عندما يجرى الاستعداد مستقبلا لمبنى عام ينبغى أن يقام طبقاً لخطة مدروسة بعناية تكون قد اتبعت منذ زمن طويل . . . ولا ينبغى أن تكون جميلة فى حد ذاتها فحسب ، وإنما تتلاءم فى علاقاتها مع نظام الأبنية العامة جميعه بما فى ذلك متنزهات وطرق المنطقة .

إن ما بدأ كجزء تدريب فى مرسم من مراسم مدرسة الفنون الجميلة بباريس ثم اتخذ بعدئذ هيئة مؤقتة بشيكاغو عام ١٨٩٣ قد وصل الآن إلى الاستقرار فى العاصمة الوطنية . فمن « بنجور » فى مين إلى سان دييجو بكاليفورنيا ، حاولت كل مدينة وبلدة بذل جهد نحو التحسين الذاتى . ومن أولى هذه المدن كانت بوسطن الكبيرة التى شكلت فى عام ١٩٨٣ لجنتها لمتنزه متروبوليتان بمركز المدينة والمجتمعات المحيطة به . وفى ذلك العام كان فى استطاعة بوسطن أن تحصى من أملاكها ١٩٠٠ فدان تقريباً من أراضى المتنزهات ، وتسعة عشر ميلا من شاطىء المحيط مخصصة للجمهور . بدأت مدينة كنساس أيضاً تحسيناتها فى نفس الوقت بوضع نظام للمتنزهات والشوارع الكبرى . أما التحسينات بسان لويس فقد انبثقت عن معرض عام ١٩٠٤ عندما جعل متحف الفن وهو المبنى الدائم الوحيد بالمعرض مركزا لتطوير متنزه فورست . وفى سيدار رابيدز فى إيووا ، قدم نادى المدينة للتجارة أول اقتراحات للتحسين عام ١٩٠١ ، وكانت توجه النظر إلى تطوير شاطىء نهر سيدار . وشكلت لجنة لتحسين شاطىء النهر بعد ذلك بعام واحد . وفى الخمس عشرة عاماً التى تلت تحول جميع القطاع المركزى بالمدينة إلى منظور أنيق من الجسور والمتنزهات الشاطئية ، وقامت دى موين عاصمة الولاية بتنفيذ جانب كبير من مثل هذا التحويل بجبهتها المائية ، على أساس من تفكير لجانها ، للتحسين المدنى وتخطيط البلدة . وإلى جانب الأنظمة الجديدة للمتنزهات والجبهات المائية كانت المراكز المدنية . ولقد كانت

مبانى الكابيتول والبلدية تبدو موضعاً للسخرية دون التصميم المدنى . وكان من مستلزمات التغيير إزالة أسلاك التليفون وأعمدتها من شارع ستيت فى ماديسون بويسكونسين مما هيأ للكابيتول ذى القبة المحيط الذى يستحقه . وفى هاريسبورج كانت هناك صحوة مماثلة قرب انصرام القرن . وقرب الفراغ من كابيتول بنسلفانيا العظيم بدىء فى عمل آخر . وخططت الولاية والمدينة من حولها مركزاً مدنياً حول مبنى الكابيتول عام ١٩١٧ وتم العمل به فى خلال العشرين عاماً التى تلت .

وبنيت المتاحف والمكتبات فى العشرين عاماً التى تخللت فترة تجميل المدينة . وفى عام ١٨٩٨ تقرر إدماج عدد كبير من مؤسسات المكاتب العامة التى تبرع بها الأفراد فى مكتبة واحدة . ومن بين هذه المكتبات كانت مكتبة أستور التى تبرع بها جون جاكوب أستور ومؤسسة تيلدن التى تركها صمويل ج . تيلدن ، المرشح الديموقراطى للرياسة عام ١٨٧٦ .



مدخل جسر مانهاتان بنيويورك من تصميم كارير وهاستنجز

وأقيمت مسابقة لمبنى جديد يجمعها كلها ، ونجح فيها كارير وهاستنجز وتم البناء وهو من أحسن مؤسسات المدينة فى عام ١٩١١ . ويرجع الفضل

لها ستجر أيضاً فى تصميم القاعدتين البرونزيتين لعمودى الأعلام القائمين أمامه وقام بتنفيذهما رافائيل ج . منكونى ، وتم صبهما بستوديوهات تيفانى المشهورة . وحصلت بافالو على قاعة أولبرايت الجميلة الفن من أعمال جرين وويكس عام ١٩٠٥ . وفى موجة الاهتمام الجديد بالفنون قامت عدة مدن بحفظ مجموعاتها الفنية بالقاعات الأنيقة .

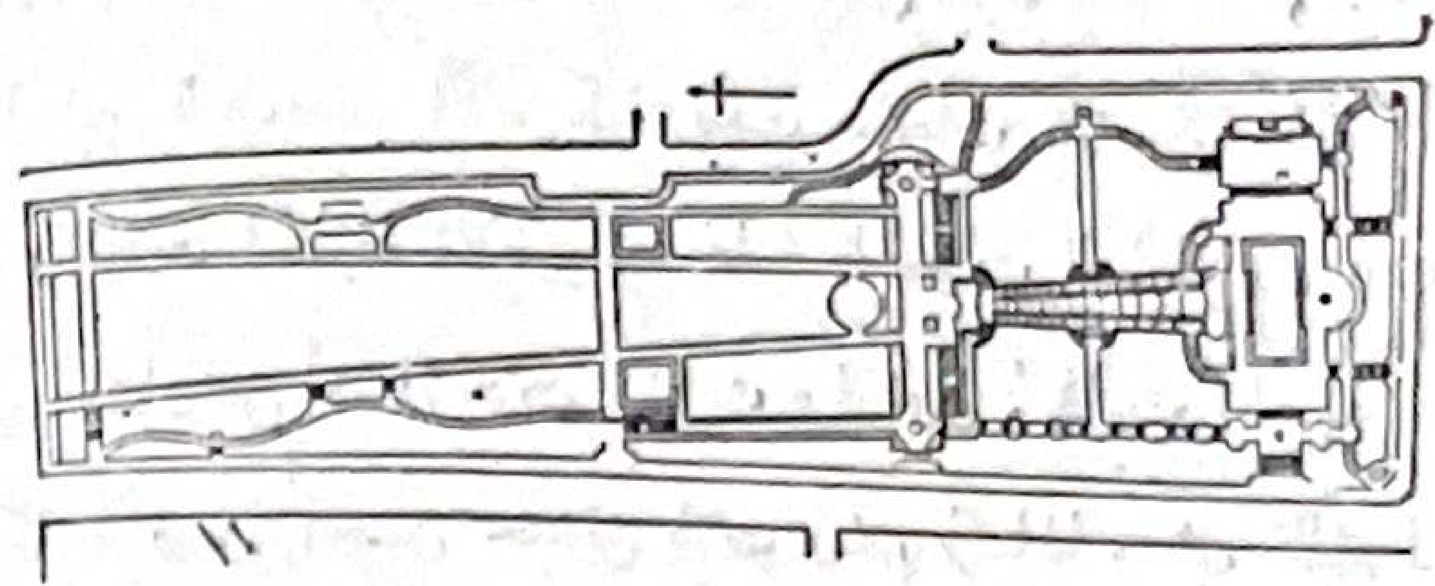
وخرجت عمارة الكنيسة عن نفوذ ريتشاردسون ، وعلى الرغم من أن عدة كنائس قد أقيمت ، فإن قليلا منها هى التى نفذت على المنوال الكلاسيكى . وعموماً كان لرالف أدامز كرام المتحمس للقوطية ما أراده فى هذا الشأن . فقد نجح ذلك الرجل المهتم بفن القرون الوسطى فى اكتساب رعاية الكثيرين من جميع القطاعات بتبشيره بأن الفن القوطى هو الفن المسيحى الأوحد . ونحن ندين له ولشركائه جودهيو وفرجيوس بكنيسة سان توماس القاهرة (١٩٠٨) بنيويورك والكنيسة المعمدانية الأولى (١٩٠٩) فى بتسبورج ، والكنيسة المشيخية الرابعة بشيكاغو (١٩١٢) كان من دواعى امتياز عمارة الكنيسة فى تلك الفترة أن انضمت الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية إلى الإسكوبالية فى بناء بيوت مزخرفة للعبادة . (وفرضت أعمال كرام وجودهيو وفرجيوسن الممتازة إضافات منها الكنيسة الصغيرة بأكاديمية الولايات المتحدة العسكرية فى وست بوينت عام ١٩٠٤ .

ومرت ساحة الكلية أيضاً بتغييرات عندما عاد (التصميم الكبير) إلى « قرية الأكاديمية » . فإذا عقدنا مقارنة بين تصميم أولمستيد وفوكس لمبنى بركلى وجامعة كاليفورنيا (١٨٦٦) وبين تصميم لجامعة ليلاند ستانفورد الصغيرة (١٨٨٨) لهالنا التغيير . فالتصميم الأول على نمط داونتج ، والثانى متغال فى الرسمية . أما التصميم الذى عمل بعد ذلك لساحة جامعة كاليفورنيا (١٩٠٢)

لإميل بنارد وجون جالن هوارد فهو من أحسن الأساليب الكلاسيكية . ومع التوسع الكبير للجامعات الأمريكية بنيت ساحات كلاسيكية كثيرة فى ذلك الوقت . وتغيرت الحديقة الأمريكية تماماً كما تغيرت الساحة إلى نسبة كبيرة تحت تأثير تشارلس أدامز بلات واديث وارتون ، لجاءت الحديقة الإيطالية إلى أمريكا . ومن أحسن حدائق بلات رغم إهمالها ، هى تلك الموجودة بأملاك هارولد ماكورميك فى ليك فورست . أما أحسن نموذج معروف لتأثيره فهو ميريديان هيل بواشنطن المألوف لعشاق موسيقى حفلاتة الصيفية . وتمتعت الحديقة الفرنسية أيضاً بوفرة من الشيوع . وعلى الرغم من أن كثيراً من أعظم هذه الحدائق قد ذهب أمام القوى الجزئة ، فإنه يمكن مشاهدة واحدة أو اثنتين لجاك جريبر وأولمستيد الصغير على شاطىء الأطلنطى بنيوبورت وفى لونج أيلاند وفى الأماكن المحدثة بفيلادلفيا .

ولكى يكتمل مهرجان العصر ظهرت صناعة الصواريخ ، واستخدمت الألعاب النارية فى كل مناسبة سواء كانت عامة أم خاصة ، وحتى أمريكا كان لها أسرتها المشهورة من فنانى الصواريخ وهى أسرة بينز . ومن بين الجموع الذين كانوا يحضرون عروضهم الرئيس تيودور روزفلت الذى قيل إنه « لم يكن يستطيع كف يده عن الموضوع »

وحتى شركات السكك الحديدية الرزينة أصيبت بعدوى المظهر الاستعراضى فبدلا من المستودعات المليئة بالدخان لعصر البخار والحديد أقيمت المحطات الجميلة لإيواء الركاب فى انتظارهم ، وصار للمدينة التى مازالت السكة الحديدية تطوف بها ، زخرف جديد ، فبنى بورنهام أكثر من محطة كبيرة ، وبمحطة نهاية الخط الحديدى بيتسبورج قاعة للانتظار بشكل النهب وهو شكل من أشكال الزينة قليل الاستعمال فى الولايات المتحدة — جزءاً من زخرفها . وشاهد ألكسندر



تصميم متنزه ميريديان هيل بواشنطن على الطراز الفرنسي الإيطالي الرسمي ويرى الشلال إلى اليمين عمل التصميم جورج بورناب وهوراس و . بيسلى ، وغرس المزروعات لفيتال وبرنكر هوف وجيفرت .

كاسات فى زيارة لشقيقته المصورة الشهيرة مارى كاسات التى عاشت بالقرب من باريس كيف كهربت سكة حديد «باريس-أورليز» قضبانها بالعاصمة الفرنسية ، وعقد العزم على أن تكون لسكة حديد بنسلفانيا محطة بنيويورك ، وجاءت عملية الكهربة بالحل . وفى عام ١٩٠٦ كلف ماكيم وميد ووايت ببناء محطة بنسلفانيا التذكارية . وتبعتها المحطة المركزية بنيويورك بعد كهربة خطوطها إذ تعاقدت مع المعماريين ريد وستم ووارين ووتمور لإنشاء الجراند سنترال . ويرجع الفضل إلى حد كبير إلى المهارة الهندسية للكولونيل وليم ولجوس الذى اخترع طريقة تسيير القطارات تحت الأرض فى أن بدت المحطة من أجمل محطات العالم وأوفرها راحة .

وعلى الرغم من تباين إمكانيات التنفيذ الذى لامفر منه فإن لجميع تلك المبانى ، حتى المكتبات المتواضعة التى حققها كرم أندرو كارنيجى ، طابعاً يكشف عن تطلعات العصر الطرازية . . . طابعاً نبع من تقليد كلاسيكى معترف به أو طراز شعبي بالضرورة ، تزينه الفنون جميعها ليحكم عليه الناس أجمعون . كتب ماكيم عام ١٩٠٩ إلى لورنس جرانت وايت ابن شريكه الراحل يقول

« عندما تنتهى من عملك بالجانب الآخر من العالم ثم تعود إلى الوطن لتبنى ، سوف تجد فرصاً تنتظر لم يتح لأى بلد آخر أن يقدمها فى العصر الحديث . إنه الأسلوب الرومانى ، وهو الأسلوب الذى يجب تأكيده » .

كان عصر تجميل المدينة من العصور التى سيطر عليها مصممو العمائر . وكانت مكافأة المعماريين على سبقهم فى الإحساس بتحسين المدينة فى أمريكا أن كلفوا ببنائها . وجاءت المبادرة للتحسين من جماعات التجارة والمهن ومن بينهم زملاء من المعماريين ومعماريى المناظر فمن تولوا القيادة . وفى كل مدينة حيث كان يوجد فصل من المعهد الأمريكى للعمارة كانت تنهال التصميمات والكتيبات والتقريرات المفصلة .

أما أعظم الجوائز فقد احتفظ بها لأعظم مصممى العمارة شهرة دانيل ﻫ . بورنهام . فبالإضافة إلى عمله فى معرض شيكاغو الدولى وفى واشنطن ، قام بعمل تصميمات لكليفلاند بسان فرنسسكو (بالاشتراك مع إدوارد ﻫ . بنت) ومانيلا بجزر الفلبين . وعلى الرغم من أن أعماله الهامة حملته إلى جميع نواحى البلاد ، فقد ظل أمر تحسين شيكاغو دائماً أمله الأعظم فى الحياة . وفى عام ١٨٩٧ كان قد أنهى إلى نادى التجار بأن « الوقت قد حان لكى تضفى شيكاغو على نفسها شيئاً من الجاذبية » ، ثم أنه أعد بعض الاقتراحات ولكنها لم تسفر عن شىء لم ييأس وإنما داوم على عرض الأفكار بقصد التحسين ، إذ أنه كان يعتقد دائماً أن المدينة يجب أن تكون مكاناً يعيش فيه الرجال والنساء وينمو فيه الأطفال ، وكانت الفكرة الأساسية لديه أن يضع أسباباً للعمل صحية ومحببة ومرافق للنزهة وفيرة ومتاحة للجميع . ثم جاء عام ١٩٠٦ وفيه دعاة نادى التجار بشيكاغو إلى تحضير تصميم توضيحى للمدينة . وفى الأعوام الثلاثة التالية كرس نفسه ومعونة عدد كبير من المساعدين



سلاملك على النمط الرومانى من تصميم برنارد ر. مايك فى معرض بناما باسيفيك بسان فرنسسكو عام ١٩١٥ وهو نموذج متأخر لتأثير معرض شيكاغو الكولومبى (مازال قائماً ولكن ناله الإهمال).

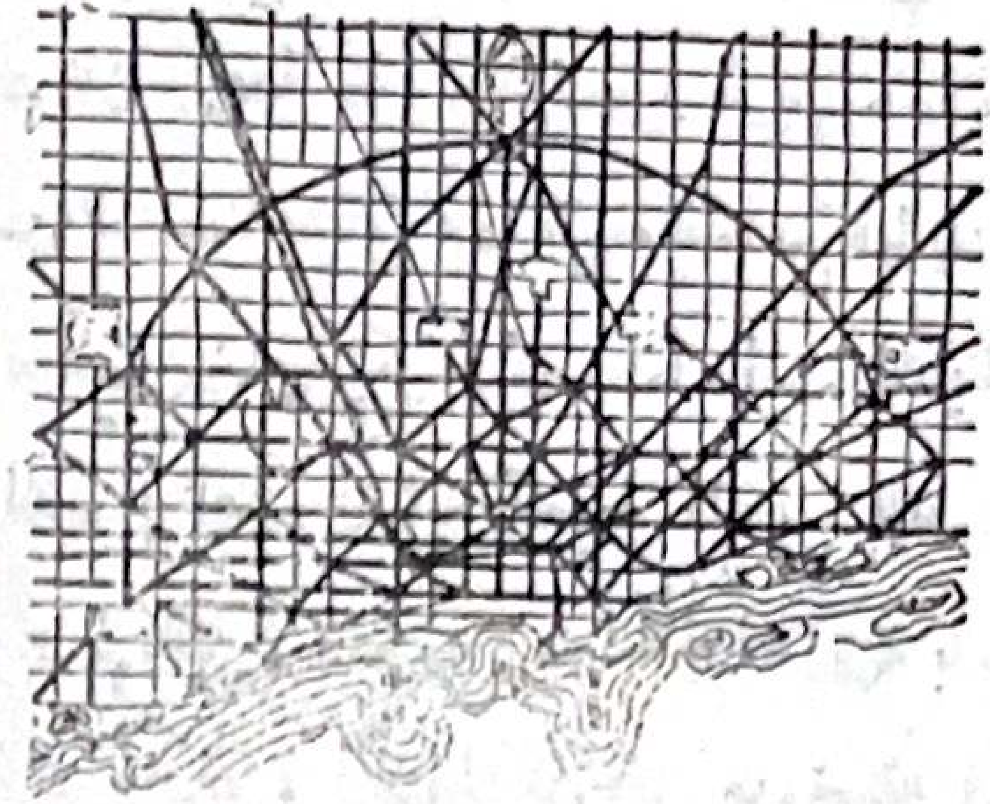
لتحضير التصميم . وكان هذا عملا محبباً له إذ أنه رفض أية أتعاب عن أى من تصمياته . كان المظهر الغير المألوف لتصميم برنهام يتمثل فى امتداده . فأولا لم يقصر التخطيط على المدينة بل امتد به إلى المنطقة الخارجة عنها . وثانياً ، أخذ السكة الحديدية فى الاعتبار وكذلك الطرق السفرية والمتنزهات والملاعب والغابات وشواطىء الاستحام . أما ثالث ميزات التصميم فهى ترتيب التأثير المعمارى الممكن توفيره فى تخطيط ماهر . ففى المركز كان يرغب فى أبنية منخفضة تحكمها القبة العالية لمبنى البلدية ، أما المبانى العالية فكانت تشكل المحيط الخارجى . قُدّم التخطيط تقديماً بديعاً للجمهور بواسطة نادى التجار فى شكل كتاب جميل ، كان أول تخطيط توضيحى للمدينة الأمريكية ذى مجال إقليمى . وطبع فيما بعد كتيب «واكر» متضمناً بياناً مبسطاً عن الخطة ، وصدرت منه آلاف النسخ واستخدم ككتاب مدرسى بمدارس شيكاغو .

لم يؤثر أى تصميم على مدينة أمريكية مثلما فعل حلم برنهام الذى استحوذ على مخيلة شيكاغو . وحتى فى العهد الفاسد للعمدة «بيج بل» تومسون كانت

الاقتراحات التى تضمنها التصميم للتحسين تسير قدماً . شاطىء البحيرة الجديد ، وتوسيع شارع متشيجان وإنشاء غابة «كوك» وطريق «واكر» للمركبات ، كانت هذه من أحسن التحسينات التى تمت نتيجة للتصميم فيما بعد . ولسوء الحظ الشديد لم يتحقق تصميم برنهام لمركز مدنى ، وما زالت المدينة تفتقر إلى هذا المركز . ومع كل الذيوع الذى أصابه تخطيط المدن ، فإنه مما يدعو إلى الثناء على عبقرية برنهام أن لم يظهر له مثيل حتى فى الخطة المعروفة باسم الخطة الإقليمية لعام ١٩٢٩ لمدينة نيويورك ، الذى لم يكن مفر من تعمقه فى شئون الإدارة والهندسة والمشاكل القانونية . كان العهد يتغير وكانت هناك أمارات تشير إلى أن أشياء أخرى سوف تشغل الشعب الأمريكى . وحتى ذلك الحين كانت السيارة التى تعتبر من مظاهر الثراء توشك أن تكون فى متناول الجميع ، فأتم هنرى فورد طرازه الأول (T) فى السنة التى نشر فيها تخطيط برنهام . وسرعان ما نسى متيسرو الحال ، ممن كانوا يهجرون المدينة فى سبيل جناتهم بالضواحى ، التسعة أعشار من الآخرين الذين بقوا فى المركز حيث كانت فاعلية المدينة تنشر الظلام على جمالها .

وقبل أن نترك النهضة الأمريكية ، التى صنعت مثل هذا التغيير المشهور فى العمارة الأمريكية كما فى كافة الفنون يحسن بنا أن نذكر الكلمات المأثورة عن برنهام لمخططى المدن التى كتبها قبيل وفاته عام ١٩١٢ . «لاتعملوا تخطيطات صغيرة ، فليس لها السحر الذى يثير دماء الناس وقد لا يكون لها شأن هى نفسها . . . اعملوا تخطيطات كبيرة وليكن هدفكم عالياً فى الأمل كما فى العمل ، ذاكرين دائماً أن الشكل الهندسى الفخم المعقول إذا سجل مرة فلن يموت أبداً ، بل إنه سيبقى خالداً بعد مماتنا مؤكداً نفسه فى إصرار دائم النمو . تذكروا أن أولادنا وأحفادنا سوف يقومون بأعمال تذهلنا ، فاجعلوا

الجزء السابع
مدينة الأبراج
١٩١٠ - ١٩٣٣



تخطيط شيكاغو لعام ١٩٠٩ . يبين هذا التلخيص لخطة المرور بها الطابع الإقليمى فى عمل برنهام وبنيت

شعاركم النظام واجعلوا الجمال منارکم . سوف تظل هذه الكلمات خالدة فى المدينة التى جلب إليها السعادة رجل بصير فى شكل التصميم المدنى كما سوف تذكرها الأجيال القادمة من السكان الأمريكيين .

تعتبر الفترة القصيرة الهامة من عام ١٩١٠ إلى عام ١٩٣٣ المرحلة الثالثة لرأسمالية التمويل التى كانت قد بدأت مع نهوض رجل المال الفرد ، ثم تطورت إلى الشركة المساهمة الضخمة ، ثم إنها الآن تأخذ دوراً جديداً مع ظهور الإنتاج الضخم . ومن أحسن ما يعبر عن هذه الحقبة الجديدة أعمال هنرى فورد عام ١٩٠٩ عندما أقام فى المجتمع الهادىء الصغير بهايلاند بارك فى متشيجان أول منشأة للإنتاج الضخم للسيارات التى نقلت عنها جميع أمم العالم . وبظهور الصناعات الكيميائية وزيادة إنتاج المعادن الخفيفة والسبائك ، ثم ظهور مصانع طرق الحديد ذات السرعة الهائلة ، كان فى مقدور العصر الذى شاهد بداية صنع السيارة والطائرة تتحول إلى معدات للراحة اليومية ، أن يجمع بين الإنتاج الجماعى وتابعه الضرورى التوزيع الضخم .

واعتباراً من عام ١٩١٦ بدأ مجموع مسافات السكك الحديدية فى النقصان ، وعلى الرغم من أن عصر السيارة العظيم لم يكن قد بدأ بعد ، كان هناك من يرى فى أول طريق عابر للإقليم عام ١٩٢٧ رمزاً للتغييرات الضخمة التى أتت بها الآلة ذات الاحتراق الداخلى إلى الأمة وبصفة خاصة إلى المدينة . كان هذا عصر دار السينما والكافتيريا (افتتحت أول كافيتيريا أوتوماتيكية فى فيلادلفيا عام ١٩٠٢) ومخزن المتنوعات drugstore (جزء منه صيدلية وجزء به صنبور للصودا وآخر سوق للمتنوعات) والمدرسة العالية الموحدة .

كانت هناك حرب أنهت كل الحروب ، ووجدت أمريكا نفسها بين القوى العالمية ، كان أحد الساسة الأمريكيين ، الرئيس وودرو ولسون صاحب يد طولى فى إنشاء عصبة الأمم ، أول محاولة متماسكة للحكومة العالمية وبمثابة ترحيب منا بالدور الجديد مضينا فى رفع ناطحات السحاب أعلى مما كانت . ولم يحدث بعدئذ من التغييرات الهامة أو المثيرة فى المدينة ما يضارع خط السماء الجديد الذى

أنشأته نزوة رجال الأعمال الأمريكيين فى الوصول إلى السحاب . وكان أول نموذج منظرى حقيقى يتمثل فى عمارة وولورث التى تم العمل بها عام ١٩١٣ ، وهى تعتبر منافسة نيويورك لبرج إيفل بباريس . وآخر مبانى الفترة عمارة إمباير ستيت التى ترتفع إلى ١٠٢ طابق وما زالت أعلى بناء أقامه الإنسان فى العالم .

١ — ناطحة السحاب .

كتب الشاعر روبرت بروك لوطنه انجلترا عام ١٩١٣ يقول « قد يبدو ميناء نيويورك فى أجمل صورة له أثناء الليل . فإنك تدلف فوق معدية جزيرة ستاتين من الظلام مباشرة تحت ناطحات السحاب الهائلة . وهى فى تراجعها تكون حشداً مع بعضها يتجمع فى أكوام الواحد تلو الآخر كخط من النار وحارس ملوكى فوق صفحة الماء السوداء ذات الخطوط الذهبية . وتبدو حدة استقامتها كجرف الجبل إذ ينساب من جانبها إيست ريفر (النهر الشرقى) ونهر الهدسون . يضمان ذلك الجبل فيما بينهما وإلى اليمين يمتد جسر بروكلين المعلق امتداده العظيم وتقوسه الخفيف وتوضحه الأضواء . تجرى فوقه مركبات الترام المنيرة ، كواكب المناسج من نار تقذف على الجسر مرة بعد أخرى مستمر فى نسج قماش الوجود الإنسانى ، ومن بعد تتضاءل جميع هذه الأضواء حتى تصير نصف دائرة مشعة تحملق فى الفضاء فى ترقب هادىء غامض وبعيداً من ناحية البحر ترى الوميض الذهبى لكونى أيلاند . . . »

وصف الألوف هذا المنظر ، وسيداوم الألوف على وصفه فليس هناك ما يضارع قممانهاتان فى أية بقعة من بقاع العالم ، إلا فى أمريكا نفسها حيث نجد تقليداً ، كما فى شيكاغو وسان فرنسيسكو ، هذا هو الشكل الطبعى للعاصمة الأمريكية كما نراها اليوم ، ناطحة سحاب أو مجموعة من ناطحات السحاب فى مركز معظم المدن ، أو كما فى المدن الكبرى ، عدة مجموعات منها وأبراج مبعثرة . ويبدو خط

السماء فى أول الأمر منخفضاً ثم يرتفع فجأة فى قمم من الأحجار والصلب . . . منظر متعرج هو من خصائص أمريكا .

استغرق المهندسون خمسة وعشرين عاماً بعد إنجاز وليم لوبارون جينى هيكله ذا الإطار الصلب كى يكتشفوا أحسن الطرق لتشكيل البناء العالى . فهناك المجهودات المبكرة لماكيم وميد ووايت ولويس سوليفان عام ١٨٩٠ . ثم مجهودات برنهام (عمارة فلاتيرون بنيويورك عام ١٩٠١) وإرنست فلاج (برج سنجر بنيويورك عام ١٩٠٧) وغيرها . وأخيراً وفى عام ١٩١٣ وبانتهاء العمل ببرج وولورث بنيويورك صار لأمريكا أول ناطحة سحاب ناجحة على هيئة البرج . واستغل كل من تروبردج ولفنجستون ناصية بشارع وول فأقاما به مبنى ترست كومبانى فى نفس الوقت تقريباً ، وجعلوا فى أعلى بنائهما الكلاسيكى رسماً مأخوذاً عن مقبرة موسلوس بهاليكارناسوس . وفى مبنى ستاندارد أويل فى سفح برودواى ركبت واجهة قصر من روما البابوية تطل على انحناءة الشارع ، وفى قمة المبنى مبخرة تخرج منها فى برد الشتاء لفائف من الدخان الأبيض والبخار تتماوج فى الهواء .

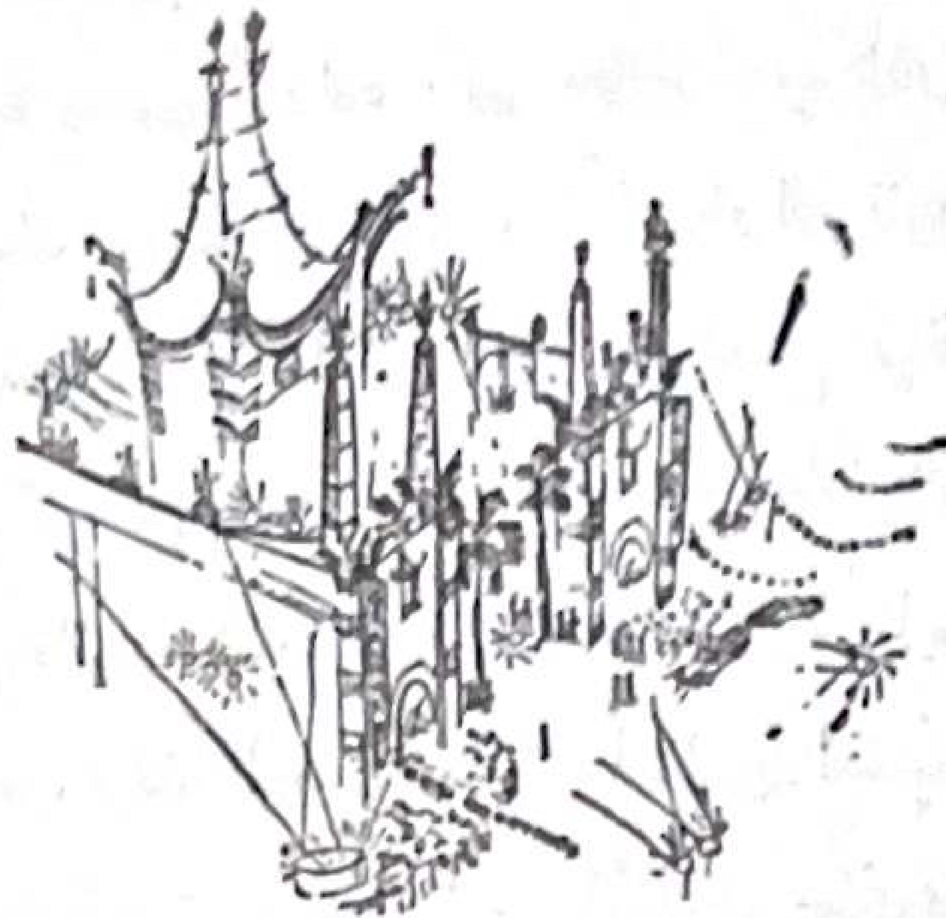
وبزغ فجر عصر ثان للمبنى العالى . فنشأ شارع وول جديد به ناطحات سحاب بمعنى الكلمة ، حلت محل الأبنية القديمة المنخفضة ولكل واحدة منها برج مختلف ، غالباً ما تزينه التماثيل مثل الجسم الذهبي المجنح الكبير بالمكتب الرئيسى لشركة التليفون والتلغراف الأمريكية بنيويورك ولكيلا تتخلف شيكاغو أنشأت حياً عجيباً به الماء والشوارع الكبيرة والأبراج على طول نهر شيكاغو . وعلى هدى من توجيهات خطة برنهام أنشىء شارعان سفريان متوازيان على الشاطئين يفصلان مرور التجارة من مرور التسلية الذاهب إلى البحيرة ، بينما عبر النهر أنفقت ثلاثة ملايين من الدولارات لإنشاء جسر ليواصل شارع متشجان

طريقه نحو الشمال . وحول الجسر تجمعت ناطحات السحاب الجديدة وهى عمارة لندن جرانتى وعمارة ريجلى وواجهتها من البلاط الأبيض ، وبرج تريبيون (المحكمة) (١٩٢٤) لريموند هولد وجون م . هوبلز ، وفى هذه الأخيرة (تعبير صريح حر عن القوطية كما فى برج وولوث) . ويتمثل أجمل ما لدى شيكاغو من أبنية فى ناطحة سحاب هى من ناحية نقاء المعمار فى القمة ، تعبر عن هيكلها الصلب بدعامات مستمرة لا تتكسر ، ناطحة سحاب ذات طابع أحدث ، فريدة فى تصميمها وزخرفها ، ذات جدران عاجية محبة هى التى تحتلها شركة إرفنج ترست برقم ١ بشارع وول فى نيويورك ، وضعت تصميمها شركة فورهيز وجملين أند ووكر عام ١٩٢٩ (اليوم فورهيز ، ووكر أند سميث) .

اتجه الذوق نحو الترف الأكثر بهجة ووجد طريقه خلال البلاد بانتشار ناطحات السحاب فى كل مدينة أمريكية . فكان فى مقدورنا استخدام العمالقة الجدد للفنادق كما للمكاتب ، فالريتز كارلتون من إخراج نيويورك عام ١٩١٢ كان فى وصاته كالبلازا قبل ذلك بسنين قلائل . ولكن الأعجب من ذلك هو البرج الذى أقيم فيما بعد ، برج شيرى — نيذرلاند ، الذى يبدو وكأن مصمميه شولتز وويفر قد أعادا إلى الحياة حصن ماكسفيلد باريش . وبمرور الطرز حتى شارع متشيجان فى عام ١٩٢٠ ، كان فندق دريك (١٩٢١ ، لبنجامين ه . مارشال) يدعو زائر شيكاغو إلى قضاء وقته بالجانب الشمالى ، مغرياً إياه بالمبنى الشامخ الذى أقيم من الحجر الأسود عام ١٩١٠ . وفى سان فرنسسكو ترفع عمارة مارك هوبكنز برجها على قمة نوب هيل مضيفة بذخاً آخر إلى بذخ الطبيعة نفسها حول الجولدن جيت (الباب الذهبى) .

نوع جديد من مبانى المنظر الحضرى ، كان قصر السينما . فالآن حيث

يربط جهاز التلفزيون الأمريكيين إلى مقاعدهم قرب المدفأة ، لن يطول بهم الوقت حتى ينسوا المتعة التى كانوا يشعرون بها فى مسارح قلب المدينة



مسرح سيد جرومان الصينى بهليوود (١٩٢٧) للمعماريينماير وهولر ، حيث تشاهد العروض الأولى للأفلام الشهيرة .

فى أيام رودلف فالنتينو . ولم يأل أصحاب دور العرض جهداً فى سبيل تزيين قصورهم . ومسرح جرومان الصينى بهوليود واحد من أكثرها صفاء ومتانة ، وكان لكل مدينة دارها ذات الطابع الخاص . كان الذهاب إليها كالولوج إلى رؤيا من رؤى مصممى المسرح الخياليين من القرن الثامن عشر الإيطالى . وحتى اليوم فإن زيارة لمسرح روكسى (١٩٢٧) فى نيويورك للمعمارى وولتر و . ألشلاجر تجعل الإنسان يقف مشدوهاً بينما تأخذ الأعمدة الذهبية ببصره ، إلى السقف المتألق البراق .

أخذت الفخامة التى أطلقت النهضة الأمريكية لها العنان ، تموت فى بطء شديد ، إذ أن نهايات الخطوط الحديدية والبنوك وعمارات المكاتب استمرت

في القيود على نطاق غير مألوف خارج أمريكا . فمثل بناية كسلر بولاية
سط جنيتة موريتون ترينال — من تصميم جلاكس منذ عام ١٩١٤ .
كما كان بيتكنو كنيسة كلاسيكية في محطة بوسطن (١٩٢٤) من تصميم
مونتام والكدسوت ووليمس ووارن . وتحاوت التوالي ، في عمارتي
عام . وكانت إحدى المداخل تأثير معرض شيكاغو الدولي في محطة
نيويورك هي بيتك بروكلين الإمداد . البنك ذو الواجهة (الشكل المثمن
التي يعلو واجهة البناء في الطراز المعماري من تصميم يورك وسوير والتي
أتم بروكلين حيث عام ١٩٢٤ . وبعد عشرين عاماً ظهر منافس له في
الشارع هو فرع مانوفكتشررز ترست ، حيث يقوم غطاء كله من الألواح
على الأعمدة المتحجرة . وهذا أحد المصارف التجارية التي بناها يورك وسوير .
قد ألقت مؤسستها مستوى جديداً من الزواق في بيان مصارفها كما يبرز
جيداً كل من دار المكتب الرئيسي لجرانتي ترست (١٩١٣) ويحتوى بنك
بورى الاتحاد (١٩٢٣) ، بالشارع الثاني والأربعين لنفس المؤسسة ، على
بهو مصرفي ضخم يحتل الأيكون هناك ما يضارعه بالبلاد . قاعة من
الرخام اللامع وله سقف عال من الطلاء والياقوت . وأعمدة من الرخام
القائم مثبتة على الجدران . كان المصرف الأمريكي في مثل هذه الأبنية
يعود نسبه إلى قاعة التجار الفلورنسيين والبندقيين من عهد النهضة
الإيطالية . وهكذا تحتفظ بتسبورج ، كما بنك ميلون ، من تصميم
تروبريدج وليفنجستون ، ثم عمارة مركز المدينة القرمزية ، التي تم بناؤها
هورنبوستل مثل بالأعمدة الرومانية . وما حول منية الصلب مدينة ساند
أيضاً مبنى عمارة الجسور والبطارة التذكارية لهنري هورنبوستل . وفي
بتسبورج الراقي جانسن وكوكس (المعارض التي أتمها سنة بيت الأحد
عام ١٩٢٣) . وحتى ... كانت تتبع بعمرتها الكلاسيكي

في بناية « الشارع الرئيسي » ، وهو المبنى الوحيد في البلدة التي كان يجلب السعادة
إلى أبناء البلدة .

وعلى رغم من أن أبنية المكتبية لم يعد لها نفس الانتشار التي كان لها
قبل الحرب ، فقد انتشرت طوال عام ١٩٢٠ ، وبعض الكنائس — كما كان
ذلك عمارة منها النهوض بالأبنية التجارية — ذهبت إلى حد جعل دار العبادة
في عمارة عالية من ذات الشقق المكتبية ، ابتغاء تغطية المصروفات من دخل
المكاتب والشقق ، وبقدر ما كانت هذه المحاولات بعيدة عن الامتياز المعماري ،
كان فشلها المالي . ولكن كان هناك استثناء يتمثل في مبنى « شيكاغو تمبل » وهو
البرج القوطي المدبب الذي بنته في عام ١٩٢٣ مؤسسة « هولابيرد وروش » ،
فهو يثبت أن الكنيسة ناطحة السحاب ما زالت جديرة بالتجربة . وكانت
رسالة « كرام » عن القوطية ، الخالصة ، قد غزت الآن حركة النهضة على الأقل
فيما يتعلق بعمارة الكنيسة . وقام هو نفسه بالتصميم والبناء ولو في خطى
بطيئة . إن كنيسة الشرق المشيخية العالية بيتسبورج حيث أضيفت الملحقات
الاجتماعية ، في براعة إلى المبنى الرئيسي هي من أحسن أعماله ولو أن الجمود
يسود داخلها بخلاف تموج القرون الوسطى . وإلى « كرام » و « فرجسون » ،
يرجع الفضل في تصميم كاتدرائية نيويورك التي حلت محل المشروع الرومانسي
المتقدم ويقوم واحد من أكبر الأبنية القوطية في العالم في مورنتج سايد هايتس
في انتظار المال لتكملته . وتجاه كنيسة ريفرسايد المعمدانية لألن وبلتون في
وكولنز القريبة منه . تقوم هذه الأعجوبة البديعة من الأبنية القوطية في بقعة
شمخة . تطل على نهر الهدسون . مرصعة خط السماء الطويل ببرجها كما تقوم
شامخاً على ورع جون د . روكفلر . وفي بروكلين ، قام « هلمل وكوربت » ،
وقد تحول عن التقليد الكلاسيكي ، بتصميم كنيسة سان جريجوري الجميلة على

نط مبكر للكنيسة المسيحية المستطيلة الشكل . وعبر الريف فى سان بول بمينيسوتا لم يخفق معمارى نيويورك ، ويتنى وارن ، فى ولعه بالكلاسيكية ، ففى المذبح العالى بكاتدرائية سان بول — ومنبره من الرخام الأسود المحلى بالرخام الذهبى — قد أنشأ زخرفاً من أحسن الزخارف بعمارة الكنيسة الأمريكية . وفى الكنائس الصغيرة كانت الأفضلية للباروك الأمريكى واليونانى الناهض . ولكن لسوء الحظ كان مصممو هذه الطرز يخشون عادة حرارة اللون والزخرف الذى كان يرغب فيه جيريمى تايلور .

لم تذهب موجة التصميم المدنى ولا تخطيط المدن اللذين انبثقا عن معرض شيكاغو الكولومبى هباءاً بأى حال من الأحوال . كانت أجزاء من الخطط التى وضعت فى عهد برنهام مازالت تحت التنفيذ ، وكانت تصميمات جديدة قيد الإعداد تحت تأثيره ، من أحسن المعروف منها تصميمات أوكلاند وبيركلى بكاليفورنيا من أعمال «ورنر هيجيمان» ، وتصميم نيوهافن من وضع كاس جيلبرت وفريد يريك لو أولمستد الابن ، وتلك التى لنوروود ومجتمعات ماساشوستس الأخرى لآرثر أ . شوركليف ، وتصميم بنجهامتون بنيويورك لتشارلس ملفورد روبنسون ، وتلك الخاصة ببورتلاند بأوريجون ومينابوليس لإدوارد هـ . بنيت . كان « بنيت » عاملاً بين المخططين وقد كان شريكاً لبرنهام من عام ١٩٠٣ حتى وفاة الأخير عام ١٩١٢ .

وفى الواقع ، كان كثير من الفضل يرجع إلى مبادرة برنهام وبنيت فى حصول سان فرنسسكو على أكبر مركز مدنى فى البلاد . وبعد حريق عام ١٩٠٦ عقدت المدينة العزم على عمل شىء يمحو ذكر الكارثة . ففى عام ١٩١٢ قام جون جالن هوارد وفريد يريك هـ . ماير وجون ريد الابن على نهج « برنهام وبنيت » فى خطة شيكاغو بتصميم المركز قريباً جداً مما نعرفه اليوم ، ولو أن المبانى

مفردة كانت من عمل معماريين آخرين خلال فترة طويلة من الزمن . إن القبة العالية لدار البلدية تسيطر على الأشكال الكلاسيكية المنخفضة بالمكتبة العامة ، ودار الأوبرا مبنى الفرقة الأمريكية وغيرها . وفى نفس السنوات العشر أعطيت المراكز المدنية الصغيرة فى سبرنجفيلد بماساشوستس بنائين من الطراز الكلاسيكى وبرجاً للأجراس مرتفعاً من تصميم بل وكوربت .



طريق متنزه بنجامين فرنكلين بفيلادلفيا من تصميم المعمارى ومخطط المدن الفرنسى جاك جربيير عام ١٩١٨ ، ويبدو متحف فيلادلفيا الفنى فى نهاية خط المحور .

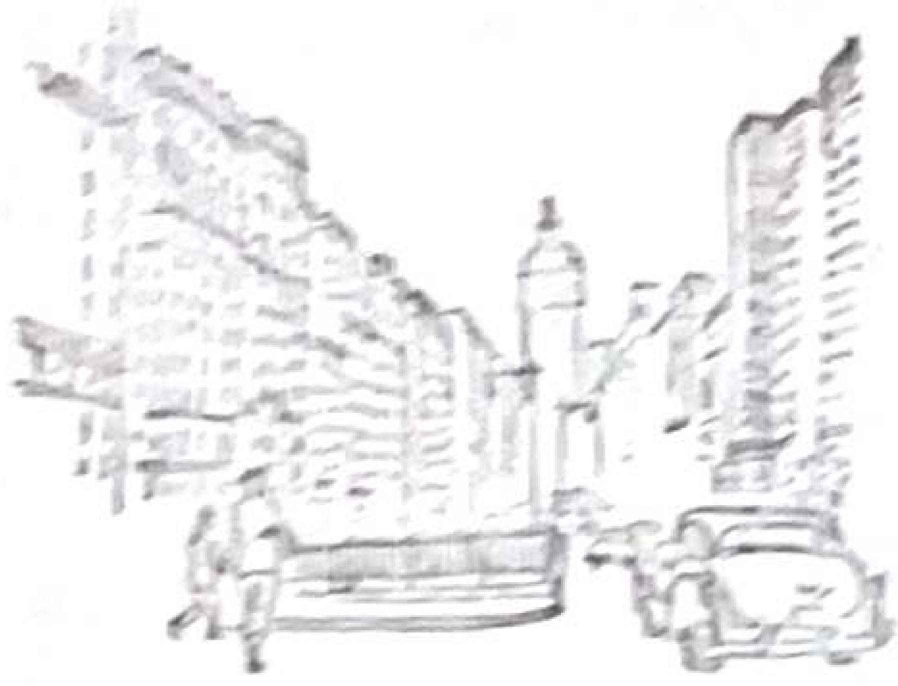
وفى فيلادلفيا يتم إنشاء شارع من أعظم شوارع أمريكا فى عام ١٩٢٠ ، وهو شارع بنجامين فرنكلين فى باركواى . ومنذ زمن كان قد اقترح ضم مركز المدينة إلى متنزه فيرمونت الذى يمتد إلى الشمال الغربى . وبدىء العمل فى عام ١٩١٠ ولكن التصميم النهائى لم يقبل حتى عام ١٩١٨ عندما خطط جاك جربيير شارعه التذكارى المغروسة على جانبيه الأشجار . ومن أجل تتويج المشروع بدأ هوراس ترمبوور بالاشتراك مع «زانتزا ينجر ، وبورى» العمل فى متحف

فيلادلفيا الفن الشعبي على شكل المعبد عام ١٩١٨ ، متشبثين بذلك بمجموعة لا مثيل لها إلا في واشنطن .

ومن أشد صور تطورات عام ١٩٢٠ كان شارع بارك في نيويورك . فبعد أن تمت سكة حديد نيويورك سنترال بكهربة خطوطها داخل نيويورك وبناء محطة النهاية الكبيرة ، أصبح شارع بارك فجأة شارعاً عصرياً . وأقبل أثرياء نيويورك ، وقد نال منهم التعب من سكنى البيوت الواسعة ، على المنازل ذات الشقق يقضون بها الأيام التي تستلزم وجودهم بالمدينة .

ومن الشارع السادس والأربعين إلى الشارع السادس والتسعين أي حوالى ميلين ونصف الميل ، أقيمت أبنية على نسق واحد من الفخامة من الآجر والحجر الجيرى . ولكي يكون الانتقال سهلا لأصحاب المنازل الخاصة المذكورين ، ابتكرت الشقة المزدوجة أو ذات الطابقين لتهيء المساحة المناسبة والدرج الخاص تماماً كما في البيت . وفي نهاية الشارع أقام المعماريان وارن وو تمور برج بناء نيويورك سنترال عام ١٩٢٥ لتحديد نهاية المنظر . لقد أنهوا المنظر بأجنحة وضعوا بها أنفاقاً ذات بوائك عالية لسير السيارات ، وفي الوسط الدهليز الطويل الضيق ، بزخارفه من الرخام الشرقي الوردى اللون والحديد المطروق الأسود والذهبي ومصاعدها ذات اللونين الأحمر والذهبي . ولحقت شيكاغو بالموكب وأنشأت منطقة من دور الشقق عصرية الطراز شمال برج المحكمة على طريق ليك شور (شاطيء البحيرة) وتقوم فيها الأبنية المترفة من الحجر الجيرى على طول حافة البحيرة قد تضيف علامة جديدة إلى خط السماء .

ولمعاونة متيسرى الحال في ترتيب شققهم بهــذه الأبراج ، ظهر صانع الديكور الداخلى ، صاحب مهنة جديدة بأمريكا . فقد أسلم المعماريون ، لسبب ما ، هذا الجانب المربح من مهنتهم حوالى انصرام القرن ،



شارع بارك وفي نهايته برج مبنى نيويورك سنترال من تصميم وارن وو تمور .

عندما أطلعت « إلسى دى وولف » الممثلة السابقة الأغنياء على كيفية زخرفة بيوتهم ، وذاعت المهنة ، وانتشرت بمرور السنين ، وسيطرت عليها النساء إلى حد كبير ... إنها ناحية عجيبة من الثقافة الأمريكية . لقد أغدق المزخرفون على الحياة بالشقة الأناقة التي وصلت إلى أوجها في نيويورك وشيكاغو في ذلك الوقت . وكما لاحظت مس دى وولف التي غدت فيما بعد « ليدى مندل » ربة البيت الشهيرة عن العشر سنوات التي أعقبت الحرب كان ذلك عهد « الخروج على التقدم » .

حقاً إن مستثمر العقار الأمريكي قلما كان يتجاوز إنشاءاته بشارع بارك وشمالى شيكاغو التي يجرى هدمها اليوم لتحل الواجهة الزجاجية الجرداء محل تلك المزينة بالآجر والحجر .

٢ — المضاربة والسيارة .

كانت أمريكا في عهد « موسيقى الجاز » هي التي ظهرت كبيرة في المسرح العالمي في السنوات العشر التي أعقبت الحرب العالمية الأولى . ولأول مرة دعى الأمريكيون للاضطلاع بمسئوليات لم يضطلعوا بها من قبل ، إذ أنهم تحولوا إلى مصرفيين

ومنتجين العالم. كان ج. ب موورجان وشركاؤه يعملون بارتباط وثيق مع بنوك انجلترا وفرنسا. وكان ديلون وريد وشركاؤه قائمين على تمويل أقطاب الفحم والصلب بالرور، كما كان هنرى فورد ينثر الإعانات كالحبوب على وجه الأرض. وكانت نيويورك الثانية بعد لندن بالنسبة للأعمال المصرفية، والثانية بعد باريس بالنسبة للموضة. ولقد اكتشف زوار أمريكا فى الأجيال المتقدمة طاقتنا للبناء. والآن يستطيع الجميع أن يشاهدوا — كما قال روبرت بروك — إن فن العمارة قد أصبح أمريكياً.

هذا العصر، القصير والبرىء جداً، رغم تصوره نفسه جريئاً، كان عليه أن يحول المدن القديمة وينشىء الجديدة. فضاعفت مراكز لوس أنجيلوس ودترويت الأساسية قبل الحرب العالمية الأولى، عدد سكانها فى العشر سنوات التى تلت ١٩١٤. وفى عام ١٩١١ خرجت صورة متحركة من المستعمرة «العفيفة» التى غدت هوليوود فيما بعد. وفى خلال الأعوام القليلة التالية نزحت الصناعة الرضيعة من نيويورك إلى الشاطىء الغربى المشمس، وأضيفت رقعة أخرى غريبة إلى المنظر الحضرى بأمريكا. لم يصحب ظهور صناعة السيارات بدترويت سوى قدر أقل من الزخرف، ومع ذلك كان لها خطرها. «وهامترامك» التى كانت فى يوم من الأيام مجتمعاً زراعياً على حافة المدينة التى تحولت اليوم إلى مدينة داخل مدينة دترويت، كان تعداد سكانها ٣٥٨٩ نسمة عام ١٩١٠، وقفز الرقم إلى ٤٥,٦١٥ بعد عشر سنوات، وذلك بفضل قدوم منشآت دودج، وبفضل مصنع هنرى فورد الكبير بالقرب من هايلاند بارك.

أطلق على هذه الفترة اسم «عصر البراءة المختلة» Age of Frenzied Innocence، وهل من سبيل آخر لوصف فورة فلوريدا التى تسببت عنها هذه الكثرة من المدن..؟ إن تاريخ فلوريدا الحديثة يرجع إلى عام ١٨٨٠

عندما بدأت السكك الحديدية فى عبور الولاية لأول مرة، بمجهود هنرى ب. بلانت، وجل سكك حديد أتلانتا، وهنرى م. فلاجلر، الذى كان ذات مرة شريكاً لجون د. روكفلر. أما الأول فقد اختار أن يطور الشاطىء الغربى من شبه الجزيرة، واختار الآخر الشاطىء الشرقى، وقد ثبت أنه أكثر غرابة. اكتشف فلاجلر الولاية أثناء رحلة ترفيهية، وأولع بإمكانية تطوير إلدورادو جديدة «مروج الذهب». ولما كانت ملايين ستاندارد أويل تسنده، فقد استطاع فى يسر أن يبتاع السكك الحديدية ويوسعها ابتداء من عام ١٨٨٨ بجاكسونفيل. ووحد تدريجاً ما أصبح فيما بعد سكة حديد الشاطىء الشرقى بفلوريدا، ودفع بها إلى الجنوب. وحيثما مست بلدة قائمة كان يبنى فندقاً. فإذا لم تكن هناك بلدة كان ينشىء واحدة. كان أول فندق له هو فندق بونس دى ليون فى سانت أوجستين للمعماريين كارير وهاستنجز، وتبعته فنادق أخرى فى بالم بيتش وميامى، والبلدتان مدينتان بوجودهما لطرقه الحديدية، وبحلول عام ١٩١٢، السنة التى قضى فيها نحبه، كانت القضبان قد وصلت إلى كى وست.



مصنع فورد بهايلاند بارك، من تصميم معمارى الصناعة
ألبرت كاهن عام ١٩٠٨

وفى عام ١٩١٢ تكونت أول شركة عقارية فى شاطىء ميامى ، وبعد عشر سنوات قام واحد من أسوأ صحفيى أمريكا سيرة يحث صحف العالم على قبول جزر ميامى الصناعية كمنبع لجميع فاتنات السباحة . وبعد أن تم عمل فلاجلر الأرضى استمر تطور فلوريدا بطيئاً مقتصراً فى صورة واسعة على بناء الفنادق . وكان الاهتمام بالولاية كمشتى يزداد نمواً . وحوالى عام ١٩٢٤ كان الرواج العقارى فى كل مكان ، وبخاصة فى ميامى وحولها ، ويبدو أن انتخاب كالفين كوليدج رئيساً فى نوفمبر من ذلك العام كان أشبه بإعلان عن قدوم عصر آخر . وبدأت المضاربة على أشدها ، وتقاطر الناس على الولاية بشكل لم يسبق له مثيل . وجربت جميع خدع الرواج السابقة مرة أخرى ، وسار بيع وشراء الأرض والبناء نفسه بسرعة جعلت النقل الحديدى الذى حمل فوق طاقته من مواد البناء ينهار . ففى أغسطس عام ١٩٢٥ رفضت سكة حديد الشاطىء الشرقى بفلوريدا أن تشحن أى شىء إلى ميامى غير الوقود ، والمواشى والدواجن ومواد الطعام ، وازداد الانهيار سوءاً عندما تجمعت الألوف من عربات البضاعة فى جاكسنفيل ذلك الشتاء . وتحول الناس إلى النقل بالمراكب ولكن حتى هذه الوسيلة القديمة قد فشلت عندما انقلبت إحدى السفن فى يناير عام ١٩٢٦ وسدت البوغاز المؤدى إلى ميناء ميامى .

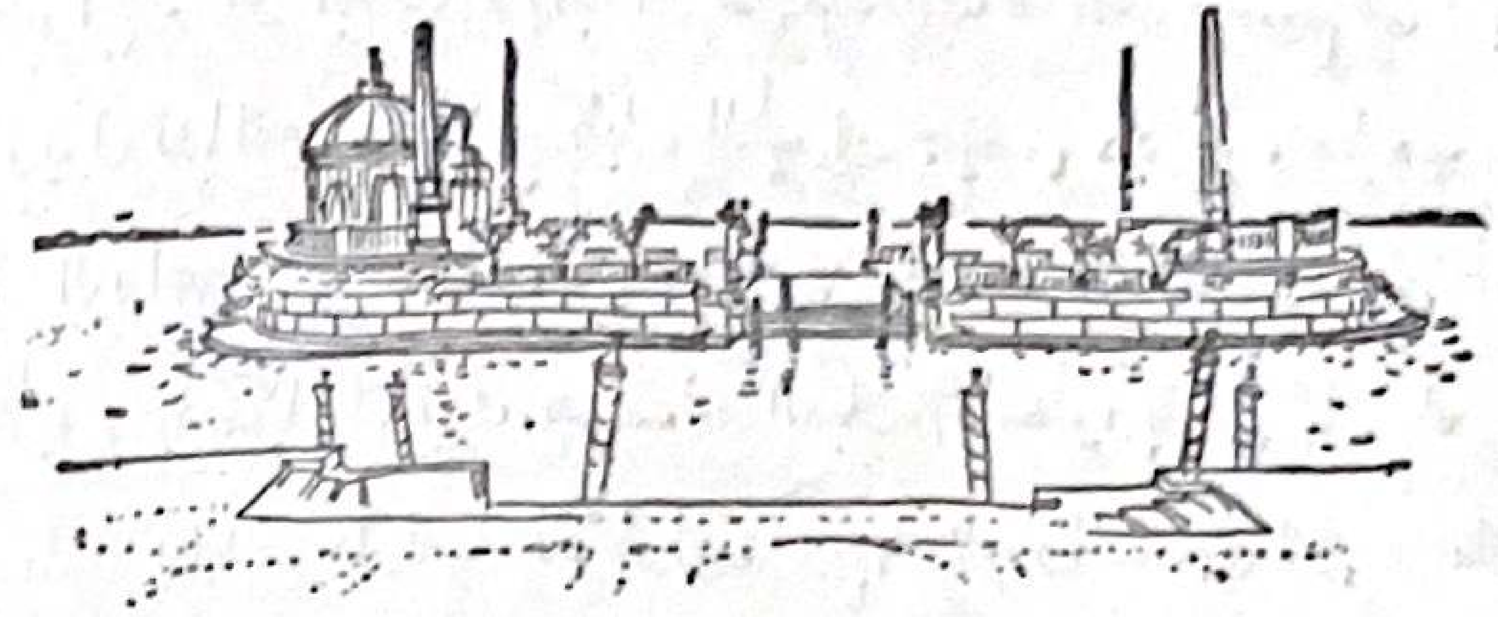
لم يقف الرواج فجأة . فقد انضم إلى « الهستيريا » فقراء من جورجيا هيلز يدعون — تحقيراً لهم — « بالهجاصين » ، مع أغنى الأسر بالبلاد ، وانشغل جميعهم إما بالمضاربة أو بتنميتها . كان كل شىء يؤدى على أساس دفعة مقدمة قدرها عشرة فى المائة ، كما كان الحال فى شيكاغو منذ تسعين عاماً . وكانت الملكيات تغير الملاك بسرعة بسبب انهيار عمل تسجيل البيوع . وسويت معظم الصفقات بعد فترة طويلة من انهيار الرواج ، عندما اختفى الجميع ما عدا المالك

الأصلى للعين . وفى ١٥ سبتمبر اجتاحت الشاطىء الشرقى زوبعة من أسوأ الزوابع فى التاريخ الأمريكى ، وانتهت الكارثة بهرج . ولم تبدأ فلوريدا فى استعادة نفسها إلا فى منتصف عام ١٩٣٠ .

كان الرواج العقارى الذى لحق بالبلاد يشاهد — كما كان الحال فى الأجيال السابقة — بأطراف المدينة . وبتحسين خدمات التبادل ووجود السيارة فى متناول الجميع ، سارت هجرة الأثرياء من المركز إلى الأطراف بخطوات متزايدة وتوقف بناء منازل البلدان إلا فى حالات نادرة . وتلك التى بنيت لم تكن تستحق أبداً أن تسمى قصوراً خاصة . فإذا بنى الأثرياء بيوتاً جديدة فهى بيوت ضواح ، أو فيلات ريفية أو سلاملكات للنزهة . وصمم ف . بورال هوفان وبول تشالفين « فيلا فزكايا » للمليونير جيمس ديرنج ، صاحب مصانع المهمات الزراعية فى أطراف ميامى عام ١٩١٧ ، وقد استورد من أوروبا أثاث غرف بأكملها لتأثيث هــذه الفيلا الأسطورية التى كان لها حديقة على النمط الإيطالى ، مترامية الأطراف ، بها نافورات وتماثيل وتطل على خليج بسكاى . وبنى وليم راندولف هيرست — هاوى التحف المسرف فى هوايته وقطب الصحافة — لنفسه « لاكويستا انكنتادا » والتى تعرف باسم أكثر شيوعاً هو « المزرعة » The Ranch ، وهو قصر ذو برجين توأمين على تلال سان سيميون التى تطل على مياه المحيط الهادى الزرقاء ، وهما نموذجان متميزان فى عصر يسعى إلى الراحة ولا يعبأ بالإسراف . وبالم بيتش — رغم وجودها بفلوريدا — بعيداً بعض الشىء عن هذا الرواج ، كانت مدينة بسمعتها كمشتى حديث الطراز لنزوات أصحاب الملايين . هنا كانت الفيلا الفخمة تلو الأخرى من الطراز الأسبانى تقوم على الشواطىء الرملية من وحى إديسون ميزنر . وكان هذا المعمارى الفذ الذى جاء أصلا من سان فرنسسكو على قدرة فى إقناع عملائه

أن يصبوا ملايينهم فى هذه المباهج . وعلى الرغم من أن بالم بيتش قد مستها فيما بعد كارثة المضاربة فقد تركت أثراً للإسراف لا مناهض له فى يومنا هذا .

لم يكن فرض ضريبة الدخل هو الذى أحدث التغيير بقدر ما كان قدوم الجيل الجديد الناقم الثائر ، الذى نبذ طقوس وقصور آبائه . هُجر منزل البلدة إلى الشقة عام ١٩٢٠ ، وحتى أكثر من ذلك إلى أمكنة هادئة مثل « أولد وستبورى » و « أو يستربای » بالقرب من نيويورك . وزادت الأموال الجديدة من خيلاء الضواحى القائمة مثل ليك فورست بالقرب من شيكاغو ، أو بورلنجيم بالقرب



الجزيرة الصناعية المتفرعة عن حدائق فيلا فيزكايا ، بميامى ، فى فلوريدا . وهى الآن متحف ديد الإقليمى . والنحت لألكسندر س . كالدر .

من سان فرنسيسكو . وفى الشتاء يعتبر بالم بيتش وسانتا باربارا أسلم الموانى . وبدأ الشارع الخامس لعام ١٩٠٠ فى الزوال كما تنبأ هنرى جيمس أنه حادث فى البلد الذى يعتبر التغيير مرادفاً للتقدم .

كانت بيوت الضواحى الكبيرة فى الشرق والغرب الأوسط معظمها من الطراز الاستعمارى الحديث لديلانو ، وألدريتش ، وتشارلس ا . بلات ، وفى جروس بوينت وجروس فارمز خارج دترويت لنماذج كثيرة من أحسن أعمال الأخير .

وفى أطراف نيويورك وفيلادلفيا ، تحول البعض إلى منزل المزرعة النورماندى كما فعل ملور، وميجز ، وهاو . أما فى نيوأرلينز فقد بنى ريتشارد كوش مساكن بديعة على النمط الإغريقى الناهض ، بينما فى باسادينا وجنوب كاليفورنيا عموماً قدمت الإرساليات إيحاءات لمساكن الضواحى . وعلى الرغم من أن المبانى التى أقيمت فى هذه الفترة لم تكن فى عظم بيوت البلدة المبكرة ، فإنها أضفت امتيازاً على حياة الضواحى اختفى فى أيامنا هذه .

٣ — مجتمعات خططت سلفاً .

ظهرت السيارة فى أعداد متزايدة فى القرن العشرين . وسرعان ما أنذرت السوق الهائلة للسيارات المستعملة ، هنرى فورد وغيره من منتجى السيارات الرخيصة ، بمواجهة من المنافسة . ولكن على الرغم من عدد السيارات بقيت ضاحية عنابر النوم من الاستثناءات لا القواعد . واستمر البناء داخل المدن . صفوف وصفوف من المنازل بنيت على الأرض الفضاء من المدن الكبيرة حيث كانت الإعفاءات الضريبية أو المرافق العامة التى أنشأتها البلدية تشجع التطوير وخاصة فى بروكلين وفيلادلفيا وبلتيمور وشيكاغو ولوس أنجيليس . لم تستفد هذه المبانى من التخطيط ، ولكن العصر كان يتميز باستخدام المخططين فى جهات أخرى . وفى عام ١٩١٠ صمم جروسفنور أتربورى وإخوان أولمستيد حدائق فورست هيلز فى كوينز بنيويورك كمشروع تطبيق مولته مؤسسة راسل سيج . وباستخدامهم لمحطة سكة حديد المقايضين ، أقاموا قرية منظمة من الآجر لها ميدان هام يشكل المركز وشوارع مغروسة بها الأشجار فى صفوف ، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان على الحكومة الفيدرالية أن تهيء مساكن العمال بمن يعملون فى الصناعات الدفاعية ، فأخرجت مدناً يميزها تخطيطها مثل قرية يوركشيب بالقرب من كامدن بنيوجيرسى من تصميم إليكتوس د . ليتشفيلد

وأتلانتك هايتس فى بورتسموث [بنيوهامبشاير] من تصميم كيلهام وهوبكنز .

جاء الإلهام بكثير من هذه التخطيطات نتيجة لحركة إنشاء الحدائق بالمدينة بانجلترا التى كان فيها الحل لمشاكل الحياة الحديثة ، وذلك بإدماج أحسن مظاهر البلدة والريف . وفى أمريكا كان الإحساس بتأثير مدينة الحدائق شديداً بعد عام ١٩٠٥ . ولأول مرة كانت البلدان السكنية تصمم بواسطة مخططين ومعماريين مدربين ، وطرحت الخطة جانباً لمصلحة نموذج الشارع الرومانتيكى ذى الخطوط المنحنية .

وبالإضافة إلى المجتمعات الجديدة فى حزام الضواحى ، امتد التخطيط إلى البلدان الصناعية فى الجنوب والغرب ،حيث اضطرت الشركات إلى أن تهيىء مساكن لموظفيها على الرغم من ردالفعل المبكر لإضراب بولمان.فبدىء فى إنشاء كينزبورت وتنيسى من تصميم جون نولن فى عام ١٩١٠ ، عندما بنت شركة تينيسى ايستمان منشآتها هناك فى عام ١٩٢٠ .وسار تطور البلدة على هدى شركة ساعدت هذا التطور، فكانت كوهلر بويسكونسين ، موطن الأدوات الصحية ، بلدة أخرى خططت بعناية ،كما أن تايرون بنيومكسيكو تمتاز بعمارتها الرفيعة المستوى . وفى عام ١٩١٧ قامت شركة فيليبس دودج باستدعاء برترام جودهيو لبناء بلدة لمعدنى النحاس . وكان المعمارى فى أوج قوته ، وقد فرغ تواً من تصميم معرض سان ديجو لعام ١٩١٥ ، وكما فعل بالمعرض اتخذ الباروك الأسبانى للجنوب الغربى كطراز له . ووضع تصميم ميدان به محطة للسكة الحديدية وأبنية للمكاتب،ومخازن ومسرح للصور المتحركة وكنيسة وفندق .وربطت البواكى بين المبانى الرئيسية مضفية وحدة على التصميم وظلالا على المواطنين . لم تنته تايرون أبداً ، إذ أبطأت عمليات التعدين قرب نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولكنها بقيت واحدة من أنجح البلدان الصناعية بأمريكا فى تصميمها . وفى ولاية أريزونا المجاورة ،

فى أجو ، من أملاك نفس الشركة ، بنيت بلدة أخرى من تصميم المعماريين كنيون ومين . ورغم جودة تصميمها فإنها لا تعدل عمل جودهيو .



تايرون ، بنيومكسيكو مركز تخطيط البلدة التعدينية . صممها لشركة فيلبس دودج المعمارى برترام ج . جود هيوم عام ١٩١٧ .

فى أثناء امتداد منظر الضواحى كان التأكيد على التخطيط الرومانتيكى الحديث وعلى المروج ، ونادراً ما كان على العمارة . وفى ليك فورست ، الضاحية المعروفة ، قام هوارد فان دورن شو فى ميدان السوق ذى البواكى (١٩١٣) بمحاولة لتزويد الضاحية بنواة من العمارة الثابتة . واقتصرت تخطيطات كثيرة ، عندما انسلخت عن الشبكات ، على تخطيط الشوارع . ومن حين لآخر يقام مركز للبلدة . أما المبنى نفسه فقد ترك شأنه إلى صغار المستثمرين أو ملاك المستقبل . ويروى سنكلير لويس فى روايته (دودزوورث) ، إلى الشمال من السمت ، بين تلال ترتفع فوق نهر شالوسا ، كانت تقام واحدة من الضواحى المثيرة للدهشة والتى ظهرت فى أمريكا منذ عام ١٩١٠ . فقد حافظ الذين أقاموها فى أبعد الحدود على جمال الغابة والتلال والنهر . ولم تكن الطرق عريضة مستقيمة كالأخاديد تشق سبيلها بين التلال ، ولكن طرقاً زراعية ملتوية جذابة . . . إذا ما استطعنا أن نقصى عنها السيارات . هنا بين الأشجار والحدائق تقوم المنازل المثيرة

الدهشة ..؟؟، ويرى بطل الرواية سام دودزوورث، أن ثمة شيئاً يبعث على قليل من السخرية هو الخلط ما بين أسبانيا وديفون والنرويج والجزائر ،ثم نقل كل هذا إلى التلال الرملية لبلدان الغرب الأوسط ، حيث نصب (اليانكى) أخيراً كينا الهنود . ولكن الأمر كله كان عبارة عن لعبة عجيبة بالنسبة له ، لعبة مرحة إلى أبعد حدود المرح ، وبهيجة بعد وقار الأبنية القديمة والأسقف الجمالونية للشوارع السكنية القديمة التى بنيت أيام المجد . » ثم يستطرد قائلا « هنا ، على الأقل ،كانت جميع الألوان والشذوذ الذى ذهب إلى الخارج فى طلبها » .

جاءت إلى الضاحية مجموعات معمارية جديدة مع النزوح عن دار الشقق بوسط المدينة . وحوالى عام ١٩١٠ ابتكر أندرو توماس وهو معمارى من نيويورك ، ما أسماه (شقة الحديقة) . فبدلا من جعل واجهة مبناه تطل على الشارع ، جعلها إلى خلف المسكن وجعل حولها بقعة خضراء من الحشائش والشجيرات . كما صمم لشركة كوينزبورو بجاكسون هايتس فى لونج أيلاند عدداً هائلا من الشقق ذات الحدائق تطل على حدائق داخلية . واستطاع توماس — والفضل يرجع إليه أيضاً فى ابتكار المطبخ الصغير — أن يقدم إلى عملائه مجموعة من الابتكارات نتيجة لإعادة ترتيب التصميم التقليدى « دار الشقق » ، ولكنه ضحى بالامتياز المعمارى فى سبيل هذه العملية . ولسوء الحظ لم يكن لمقلديه نفس الضمير الحى الذى كان له بالنسبة للعمل، كما لم يكن لهم نفس السخاء بالنسبة للمساحة المخصصة للشقق ،والنتيجة أن الضواحى الأمريكية غالباً ما تكتظ بمساكن متعددة قبيحة المنظر .

إن أهم مظاهر تطورات هذه الفترة المعتمدة ، مثل كافة المظاهر الأخرى ، على خدمة المقايضة الجيدة ، كان فى شيكرهايتس بالقرب من كليفلاند، فى عام ١٩١٦ اشترى أوريس باكستون ومانتيس جيمس فان سويرنجن ، وهما أخوان هزا عالم المال عام ١٩٢٠ بعمليات طرقهما الحديدية ، إذ اشتريا ٢٥٦ فدانا تقريباً

من الأرض الزراعية (اتسعت فيما بعد) وأقاما خطاً عابراً سريعاً إلى قلب المدينة . وبدلا من تقسيم أرضهما إلى قطع متساوية المساحة والثمن ، قسماها فى مهارة بشوارع ملتوية واحتفظا بالأشجار . وهكذا كان فى مقدورهما أن يبيعاها قطعاً مختلفة المساحة بحيث تناسب رغبات ذوى الدخل الكبير . واستطاع مستوطنو المستقبل بشيكرهايتس أن يبنوا منازلهم الخاصة التى تناسب مطالبهم ودخولهم . وعلى الرغم من سماحهم بحرية الطراز للمنازل التى تبنى ، فإن آ ل فان سويرينجنز قد اتخذوا حيطتهم لكى تكون التصميمات على درجة عالية ، حتى إن كان لهم لجنة من المعماريين لفحصها قبل التصريح بالبناء . وكانت الطرز المحببة هى الاستعمارى والإنجليزى والفرنسى التى تعكس ذوق الضاحية العصر . وأقيمت دور الشقق بالقرب من المحطة لهؤلاء الذين يرغبون فى حياة الريف ولكن لايريدون أن يتملكوا منازل . ومثل كثير من الضواحى الأمريكية كان التأكيد بشيكرهايتس يقع على الخضرة والطبيعة أكثر مما يقع على العمارة ، مع استمرارها فى تطبيق تقليد الأرض المفتوحة التى تميز منظر الضاحية. وفى أماكن كثيرة بالشرق ، وفى جميع أنحاء الغرب الأوسط ، مازال يعتبر من غير الملائم بناء سور أو زراعة سياج من النباتات بين الساكن والجار .

وخلافاً لمنظر شيكرهايتس الممتازة ، كانت التجربة المتواضعة لرادبورن ، بنيوجرسى ، إذ تعكس عن قرب أناقة المدن الإنجليزية الحدائقية فى لتشورث وولوين . وساهم كثيرون من المعماريين والمخططين فى التصميم ، من بينهم أندرو توماس ، وهنرى رايت ، وروبرت كوهن ، وكلارنس س . ستاين ، وفريدريك ل . أكرمان ، وتوماس آدامز . وكما فى فورست هيلز ، كانت هنا محطة للسكة الحديد قريبة ، ولكن إضافة طريقين سفريين قدم المجتمع نفسه للعالم بصفته « بلدة عصر الآلة » وكان أحد الأغراض الرئيسية هو الاحتفاظ

بحركة المرور فى الدرجة الدنيا ، وفصل المشاة عن السيارة ، واحتجاز أقصى مساحة ممكنة للملاعب والمتنزهات . توصل المصممون إلى هذا باستعمال الشوارع المسدودة الأطراف ذات الممرات الخضراء خلف المنازل . وتباينت رادبورن مع شيكرهايتس باحتوائها على مساكن للعائلة الواحدة من الطراز الاستعمارى الموحد ، وبعض شقق الحدائق ، ومركز تجارى صغير ومدارس .

وعلى الرغم من انعدام النجاح المالى ، وعلى الرغم من أنها اليوم تعانى من ابتلاع التوسع لبناء الضواحى بشمالى نيوجرسى لها ، فهى باقية خلفاً ظاهراً للمدينة الحدائقية الإنجليزية بأمريكا .

وقرابة الوقت الذى أكملت فيه رادبورن ، كانت فورة الرواج فى البناء فى أعقاب الحرب قد انتهت منبئة بكساد عام ١٩٣٠ . ولكن الضاحية كانت قد وصلت إلى مضارعة المدينة كسبيل للحياة ، فبدأت المجلات والصحف والمخازن والراديو ، كما بدأ البائعون فى تركيز اهتمامهم فى هذه السوق السخية الجديدة التى كانت تأخذ فى النمو خارج المراكز القديمة . وهنا وجد مزخرفو الأثاث بعضاً من أحسن عملائهم ، ومدرسة حديثة من مخططى الحدائق ممثلة فى أمبرتو إينوستى ، وماريان جروجر كوفين وبياتريكس فاراند ، وروبرت لدلو فاولر ، الذين قدموا مصنفات من البيوت الكبيرة الحديثة على نسق القديم للعصر السابق . وكان لهذا العالم راويته ف . سكوت فيتزجيرالد الذى يصور لنا فى « جاتسبى العظيم » السنين العشرة لمنع المسكرات فى الشاطىء الشمالى من لونج أيلاند . كانت الأساسات تخطط لمجموعة الضواحى التى سوف تنشأ مع الطرق السفرية ، معتمدة بقدر أعظم على السيارة وعربة النقل والتمويل السهل للبيوت ، عن طريق إدارة الإسكان الاتحادية .

٤ — كفاءة المدينة .

بينما استمرت المدينة الأمريكية فى الارتفاع عند المركز ، واستمرت أطرافها

فى الامتداد ، كان تغيير على درجة من الأهمية يتخذ مكانه من إدارتها ، وكان من مستلزمات المستقبل لمدينة الجيل الماضى المطالبة بحكومة حضرية جيدة . وشيئاً فشيئاً تحولت الحكومة إلى دفعة عندما ازداد عدد المؤمنين بأن مجرد الإصلاح السياسى لم يكن يكفى ، وأن فى مقدور الإدارة العلمية وحدها حل المشاكل المعقدة للمدينة الحديثة. ويدفع الحركة دفع قوية مشهد ومدينة جالفستون التى خرجت على أثر هوجة جزرية عام ١٩٠٠ ، واختل نظامها بصورة ميؤوسة بعد الكارثة . أسفرت إحدى نتائج الحركة عن إنشاء شكل حكومى أطلق عليه اسم « الانتداب » ، وفى ظله كانت تحكم البلدية بمجموعة صغيرة من المفوضين المنتخبين من ذوى السلطان دون الحاجة إلى عمدة . ويخضع علم حكم المدينة إلى الموضة كأى شىء آخر ، فبعد عشرة أعوام كان علماء السياسة يمدحون ويفضلون أسلوب المجلس الاستشارى الرئاسى على سائر الأشكال ، فتأسس أولا فى ديتون عام ١٩١٤ وكان نظاماً يسمح بانتخاب مجلس وعمدة ، وهؤلاء يختارون أحد الخبراء ، ويفضل من كان ذا خبرة من الغرباء ، ليحكم المدينة ، تماماً كما يعين مجلس الإدارة مديراً لإدارة أعمال إحدى الشركات . كانت أمريكا تعود إلى الوراء إلى عهد مأمور المدينة الذى كان مألوفاً فى البلديات الإيطالية أيام القرون الوسطى ، والذى كان يعرف باسم « بودستا » . واتخذ اتحاد البلديات الأهلى ، تحت زعامة ريتشارد س . تشايلدز وآخرين ، النظام الجديد وفيما عدا المدن الكبيرة جداً ، يتبع هذا النظام اليوم بتوسع فى أنحاء البلاد .

وجنباً إلى جنب مع هذه المجهودات كان ظهور مكتبات البلدية للمراجع ، والمكاتب الخاصة للأبحاث البلدية ، لجان التخطيط ، والميزانيات الموحدة ، وجميع المرافق الحديثة للحكومة المحلية . وحوالى عام ١٩١٣ بدأت الجامعات فى تدريب الرجال كإداريين للشئون البلدية . وبهذه الطريقة سارت حكومات المدينة على إثر نهضة حكومات الولاية والاتحاد فى زحفها نحو الإدارة الكفء .

وحتى عام ١٩٢٠ كانت الروح العلمية تتسلط على حقل الإدارة ، وكانت المجهودات المترددة وقت انتهاء العصر من شئون الماضي . ورحب بكفاءة المدينة كالعادة . وحتى الحكومات التي كانت تقوم عليها أجهزة سياسية ، رأت أن الناس يتوقعون حداً أدنى من الخدمات على الأقل ، استخدموا مهندسين وخبراء آخرين في المناصب ذات المسئولية .

وفي أثناء الركب اختفى جمال المدينة تدريجياً ، لم يكن لدى الإداري الكفء وقت للفنون ، التي كان يطلق عليها غالباً اسم « تنميق الواجهة » . وإلى جانب هذا كانت التحسينات الأمريكية الجليلة الشأن عرضة للفساد أثناء إقامتها . وقد مست الكابيتول الفاخر بينسلفانيا فضيحة شغلت هاريسبورج لعشر سنوات ، ولو أن الفساد قد بولغ في وصفه كما أثبت ذلك الحاكم بنيباكر ، وعند تنفيذ خطة شيكاغو ربح جهاز بج بيل تومبسون السيء السمعة من المصروفات الطائلة ، وكان العمل الكبير لبورنهام قرب نهايته عندما غمرته الفضيحة . وكانت النتيجة أن رفضت الكفاءة الجديدة الزواج من الفنون أو نسيت أنها جزء ضروري من المنظر الحضري .

كان من طبيعة الوضع المتغير العبور من التصميم المدني إلى نظام المناطق بعد عام ١٩١٦ . وكانت النهضة الأمريكية وهي في أوجها تلمس التخطيط المدني بمعايير الرؤية ، جنباً إلى جنب مع تزويد الناس بنور أسطع وهواء أكثر وشروط أحسن للحياة . أما الكفاءة المدنية فقد لمست التخطيط المدني بمعايير المراقبة القانونية للارتفاع وفائدة المباني ، مما يعرف بنظام المناطق . وخطا نظام المناطق كنظام الإدارة البلدية المتقدم خطوة ثمينة إلى الأمام ، ولكنه لم يكن إلا جهازاً من عدة أجهزة لبناء مدن أحسن .

من نتاج كفاءة المدينة سلطة ميناء نيويورك المشهور التي أنشأتها ولايتا

نيويورك ونيوجرسي عام ١٩٢١ . فعلى الرغم من مرفقها العظيم قامت مرافق ميناء نيويورك كيفما اتفق ، تماماً كما قامت شبكة الخطوط الحديدية التي تمونها . وفي عام ١٩١٧ احتجزت ١٠٠,٠٠٠ عربة بضاعة بأحواش نيوجرسي بسبب انهيار قريب بالميناء ، وفي محاولة للتغلب على التخصص البلدي المحلي وتنافس السكك الحديدية ، قررت الولايتان إنشاء الهيئة الإدارية من أجل مباشرة المسائل الخاصة في المرفأ وما حوله . وكان العمل الأول لهذه السلطة هو محاولة توحيد السكك الحديدية ومرافق الميناء في حزام من الخطوط ، يضم أنفاق البضاعة تحت مانهاتان ، ولكن مجهوداتها أسفرت عن لاشيء بسبب معارضة شركات السكك الحديدية ، وتحولت السلطة ، وهي اليوم في منتهى القوة ، إلى إنشاء المرافق لسير السيارات . وفي عام ١٩٢٩ تسلمت نفق هولاند الذي بني قبل ذلك بعامين . وبفضل ضريبة المكوس البالغة خمسين سنتاً ، كان في مقدورها بناء أنفاق أخرى وجسور جديدة وإنشاء طرق سفرية تصل ما بينهما . بدأ نهوض السلطة في ذلك العام . وهي اليوم حكومة في حد ذاتها في منطقة نيويورك وتمتعها بما يقرب من الاستقلال ، ولوجود النظام الضريبي الخاص بها في شكل المكوس ، تستمر في خططها من أجل التطوير ، تاركة السكك الحديدية تعول نفوسها .

واسترعت الأشغال العامة ، وبصفة أساسية مباني الطرق السفرية ودوائر الشوارع ، عناية كفاءة المدينة ، وبدأ إنشاء الطرق بالأسلوب العلمي الحديث حوالي عام ١٩١٢ ، وبعد أربعة أعوام أقرت لائحة المعونة الاتحادية للطرق منبثة بمخصصات شخصية لتحسين الطرق . وتراوح مجموع الدخل الذي أنفق على الطرق السفرية من بليون دولار عام ١٩٢١ إلى بليونين قرابة عام ١٩٢٨ . وفي العام الأخير (١٩٢٨) أنشيء أول تقاطع بنيوجرسي ، وبعد سنتين

شوهد خط سماء بولاسكى عبر شق جرسى . وقرب القرن التالى كان لفرنسا أحسن نظام الطرق السفرية فى العالم ، وبعد ثلاثين عاماً كانت أمريكا فى المقدمة سابقة غيرها بشوط طويل . وسارت الكفاءة وإنشاء الطرق السفرية جنباً إلى جنب . كتب روبرت أفريل عام ١٩٢٠ يقول « لم تشعر ضمائر الناس ولا الحكومة المحلية على صورة جلية بمشاكل الإسكان والكساء وإطعام المعوزين ، أو بعبارة أخرى حجبت إدارة الأشغال العامة إدارة الترفيه ، كما أن التخطيط اقتصاره على الإدارة الأولى مكان يساير الزمن » .

من تجسدات تلك الروح العلمية فى ذاك العصر كان روبرت موسز الذى لعب ومازال يلعب دوراً كبيراً فى الشئون المدنية بنيويورك . كان من طلاب جامعات ييل وأكسفورد وكولومبيا . وعمل لعدة سنوات بالمؤسسات الخاصة التى كرست نفسها لتزويد الإدارة العامة بوسائل الكفاءة . وعندما كان الفرد أ . سميث حاكماً لولاية نيويورك ، التحق موسز بخدمة الحكومة حيث استقر به المقام منذ ذلك الحين مكوناً سمعته العالية كإدارى للمتنزهات والطرق السفرية . كان الرجل الذى حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا برسالته « الخدمة المدنية فى بريطانيا العظمى » يطلع أمريكا على الأساليب الأوربية للحكومة الجيدة . واليوم وعلى الرغم من زمرة خبراء إدارة المرافق يقف مثلاً عظيماً للتنفذ السريع لعام ١٩٢٠ ، خلافاً للمصممين المدنيين ممن عملوا فى تجميل المدينة أمثال فريد ريك لو أولمستد ، وتشارلس فولن ماكيم ، ودانيل ﻫ . بورنهام وكانوا من الفنانين .

وهكذا انتهى الأمر إلى الجانب القانونى والإدارى والاجتماعى من تخطيط المدينة . وعلى الرغم من إصرار هربرت هوفر على أن « خسائر فادحة فى السعادة الإنسانية وفى المال قد نتجت عن انعدام تخطيط المدينة » فإن

رجال الأعمال قد فقدوا الاهتمام بالتخطيط اللهم إلا فيما يتعلق بنواحى المنفعة التى تؤثر على أعمالهم الخاصة . وشكل نظام المناطق ، كعلاج دولى عقبة فى سبيل التخطيط إذ أنه يميل إلى تحديد نموذج للمدن ، كما يؤكد نظاماً أكثر شدة بالنسبة لشروط الإسكان . ثم جاءت الصرخة أكثر إصراراً من جانب المجتمع التجارى بأن التخطيط كان شكلاً من أشكال تدخل الحكومة فى المشروعات الخاصة . ولم يكن رجل الأعمال يقضى ليله بالمدينة التى أنشأها ، فكان يهرع إلى الضاحية إذا ماجن الليل . وانعكس هذا السلوك على الحاكم ، حيث لم يكن حتى نظام المناطق مقبولا تماماً حتى أوائل الثلاثين سنة بعد الألف وتسعمائة . واستمر التأييد للحكومات الخاصة وقيودها العنصرية حتى عام ١٩٤٠ يقف سداً فى مواجهة أى تخطيط فعال فى أماكن عديدة .

إن أهم مساهمة لكفاية المدينة فى ذاك الوقت كانت التخطيط الإقليمى لمدينة نيويورك ومحيطها ذى الطابع التذكارى . بدأ التخطيط عام ١٩٢٢ وانتهى عام ١٩٢٩ تحت إشراف تشارلس د . نورتون ، وفريد يريك أ . ديلانو ، وتوماس أدامز ، فمسحت ٥٥٢٨ ميلا مربعاً يسكنها ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ ، تضم شمال نيوجرسى وجنوب ولاية نيويورك وجنوب كونكتيكت وبها ٥٠٠ بلدية . وحمداً للمعونة السخية التى قدمتها مؤسسة راسل سيج فقد كانت ممتازة فى عمقها وفى تفاصيلها ، عالجت فى ثمانية مجلدات تسجيلية ومصورة الموضوعات الآتية — العوامل الاقتصادية الكبرى فى نمو العواصم والإعداد له ، السكان ، وقيم الأرض . والحكومة ، وحركة المرور بالطرق السفرية ، والعبور والنقل ، واللهو الشعبى ، والمبانى واستعمالها والفضاء الذى حولها ، الجيرة وتخطيط المجتمع والشروط الطبيعية للخدمات العامة . وهنا ، كما فى تخطيط بورنهام لشيكاغو ، افترض فى المنطقة أن تكون قاعدة التخطيط الرئيسى ، وعلى الرغم من كونها مغامرة شخصية فقد كان لها بعض التأثير على ما استقبل من العمل

التى تم فى المدينة وحولها . فلا . وضعت نموذج ممرات المتنزهات والمتنزهات الإقليمية التى تمت حول مدينة نيويورك .

٥ — النموذج الحديث للمدينة .

لم يكن انتشار الكفاية فى عام ١٩٢٠ انتشاراً عاماً بأى حال من الأحوال . فأصبحت أكبر المدن فى أنظمة يعمها فساد بائس ولكن أحداً لم يهتم بأكثر من معارضة تحدى المتمتعين من منع المسكرات . قليل هم من كانوا يشعرون بما يجرى بالنموذج الحضرى على الرغم من ملاحظة الاجتماعيين التغييرات المزعجة ومنها الهجرة من مركز المدينة . وكان الأثرياء أول من تحرك ، ولكن تبعهم الأقل ثراء ، إلى جزء جديد من المدينة لا من الضاحية . وكانت عشش ماقبل عام ١٩١٤ المتكاثرة يتم إخلاؤها ، وقد بدأ المهاجرون المحدثون فى تحسين أحوالهم ، بينما وجد أبناؤهم الناقمون على « الجانب المظلم » للحضرية القديمة مساكن بجهات أخرى وعلاوة على ذلك لم تكن العشش تبنى كما كانت تبنى قبل الحرب ، إذ أن الهجرة من أوربا قد انقطعت بصورة فعالة بمقتضى قانون عام ١٩٢٤ . صحيح أن عشش الزنوج استمرت فى الازدياد عدداً وسكاناً ، وفى أماكن كثيرة كانت تشبه الجحور الأولى . كان رجال العصابات فى شيكاغو يرتكبون الجرائم فى وضح النهار ، وكان الناس من ذوى المكانة يرتعدون خوفاً ، ولكنهم يذهبون إلى بيوتهم فى الضواحى يحدوهم شعور بالأمان . ووراء الرخاء الذى يملأ الجو ، كان التدقيق فى التحقيق يظهر أن المشكلات كانت خطيرة .

لاحظ المرحوم الأستاذ إدواردس . لندمان . كما لاحظ تلر أندرسون فى ذلك الوقت ، أن المدن الأمريكية كانت تتخذ نموذجاً وظيفياً له شكل دوائر مشتركة المركز حول بؤرة مركزية . فالمنطقة الشاطئية الوسطية استخدمت

المكاتب والمخازن والفنادق والمسارح الكبرى تميزها ناطحة سحاب أو مجموعة منها . ثم تأتى حلقة من العشش السكنية ، قد تكون أصلا منازل موسرة تخلى عنها متيسرو الحال ، وفى بعض الحالات الطبقة العاملة . وهنا يسكن فقراء العابرين ، وهنا كانت الصناعات الثانوية والمخازن والأسواق الرخيصة أما الحلقة التالية فتتألف من المجموعات ذات الدخل الأقل الذين يعيشون بالقرب من العمل . أما دور الشقق والمنازل المتواضعة وبعض الصناعات فكانت فى الحلقة الثالثة والحلقة الرابعة من المساكن الفردية ، بينما تتألف الحلقة الخامسة والأخيرة من الضواحى السكنية ، والبلدان الصناعية ، والاستثمارات العقارية . كان النموذج يختلف من مدينة إلى أخرى ، ولكنه فى تلك الفترة كان عاماً للجميع . ولم يختف النور الوردى ومعه الرخاء إلا فى أثناء أزمة عام ١٩٢٩ ، وحينئذ اكتشف الأمريكيون أن الآفات والبؤس ينالون من مدنهم .

وعلى الرغم من كساد البناء عام ١٩٢٥ ، والإنذارات التى رددها تدهور السوق الزراعى ، كانت التجارة لا بأس بها واستمرت المبانى فى الارتفاع داخل المدينة . لقد بدأ بناء كثير من أعلى ناطحات السحاب بالبلاد فى عام ١٩٢٨ أو عام ١٩٢٩ ، وانتهى العمل فيها بعد انهيار اقتصاد البلاد . ومن الأبنية العديدة بنيويورك كان برج سيتيز سرفيس ، وشركة مانهاتان توست ، وبرج إيرفنج ترست ، وعمارة كريزلر . وفى بتسبورج كان المعمارى تشارلس ز . كلودر يشرف على بناء « كاتدرائية المعرفة » . وقد قيل إن البرج ذا الأربعين طابقاً الذى أصبح فيما بعد جامعة بتسبورج كان من وحى جون راسكين ، ولكن المرجح أن المعمارى قد نظر إلى وليم بيكفورد مؤلف « فاتهك » Vathek أوليس فى وجود بناء دير فونتهيل الثابت من الحديد والحجر هنا ما يؤيد ذلك ؛ (يحتوى البناء على أشغال من الحديد الزهر لصمويل يلين ، أعظم شخصية فنية فى أمريكا) . استمرت شيكاغو فى بناء دور الشقق

في الجانب الشمالي القريب ، ولم يرفع التمثال العظيم لتبرز على قمة القاعدة المهيبة بعمارة التجارة حتى عام ١٩٣٠ . إن ناطحة السحاب هذه هي نقطة تجمع أعظم وديان شيكاغو وهي تضع اللمسة الأخيرة بشارع لاسي . ولم يكن ثمة مفر من اقتياد نيويورك إلى المنافسة سعياً وراء لقب الملكية ، لأعلى بناء في العالم . وحتى في عام ١٩٣٠ كان صوت المطارق التي تعمل بقوة الضغط الهوائي يملأ الجو في نغمة جريئة . ليس من الصعب تصور حماس المعماريين شريف ، ولامب ، وهاريسون وهم يرقبون عمارة الإمباير ستيت وهي تبرز إلى الحقيقة . لقد أعدت المشروع بكفاءة تامة مؤسسة إخوان ستاريت وإكن للبناء لدرجة أن الصلب كان ينقل إلى الموقع من أحواش سكة حديد نيوجرسي ، ثم يرفع مباشرة إلى مكانه دون عرقلة المرور . وكان الإطار الحديدي يرتفع بمعدل طابق واحد في اليوم طوال بناء الطوابق المائة والاثنين . ولكيلا يضيع الوقت في السماح للفرقة المكونة من ٣٥٠٠ عامل بتناول الغداء بعيداً عن العمارة ، أنشيء مطعم مؤقت بينما كان البناء يتقدم نحو الارتفاع ، تماماً كما فعل برونيليسكي لراحة عماله عند رفع قبة سانتا ماريا ديل فيوري بفلورنسا في القرن الخامس عشر . وفي عام ١٩٣٠ انتهى العمل بالبناء الذي قدر له أن يكون لمدة طويلة الفيل الأبيض في مدينة كانت عندئذ تحتوي على أكثر من كفايتها من مساحات المكاتب . ولكنها كانت وما زالت أعلى بناء في العالم وأثراً لعهد مدينة الأبراج . كان التأكيد على البناء وتجرد ناطحة سحاب العصر الحالي والأسقف الواطئة وفقر الزخرفة بالردهات مما ينذر باتجاه جديد . كانت الكلاسيكية ماتزال هناك ، ولكن كانت تنتزع عنها جميع جاذبيتها ، كما كان ينتزع الإمتاع من التصوير والنحت . وافت النهضة الأمريكية على نهايتها حتى على الرغم من أن قصراً خاصاً أخيراً كان قد جاء إلى نيويورك في عام ١٩٣٢ هو مسكن وليم جود بن لويو بالشارع الثالث والتسعين المتفرع من بارك

أفنيو ، والذي صممه المعماريان ووكر وجيليت . كانت أيام ناطحة السحاب معدودة . وعندما دعت الحاجة لبنائها مرة أخرى كانت مجردة عن أبراجها الثمينة ، فتترك لتقوم غير متوجه في المدينة وبعد أربعين سنة من تقريظ روبرت بروك ، وهو كاتب إنجليزي مشهور آخر ، اضطر ساشفريل سيتويل إلى أن يقول إن جميع مباني نيويورك وكأن قممها لم يتمه العمل فيها ، اتجاه يؤيده المثل الذي يقدمه مركز روكفلر .

توقفت التجارة في ربيع عام ١٩٣٣ ، وتبددت الأحلام القديمة ومعها جميع آثار جمال المدينة . . . عالم جديد كان على الأمريكيين أن يجابهوه بعد عام ١٩٣٣ . وعلى كفاية المدينة يقع الآن عبء محاولة حل المشاكل الحضرية المتعددة ومقابلة الفوضى المتزايدة في المنظر الحضري .

الجزء الثامن

المدينة الإقليمية

١٩٣٣

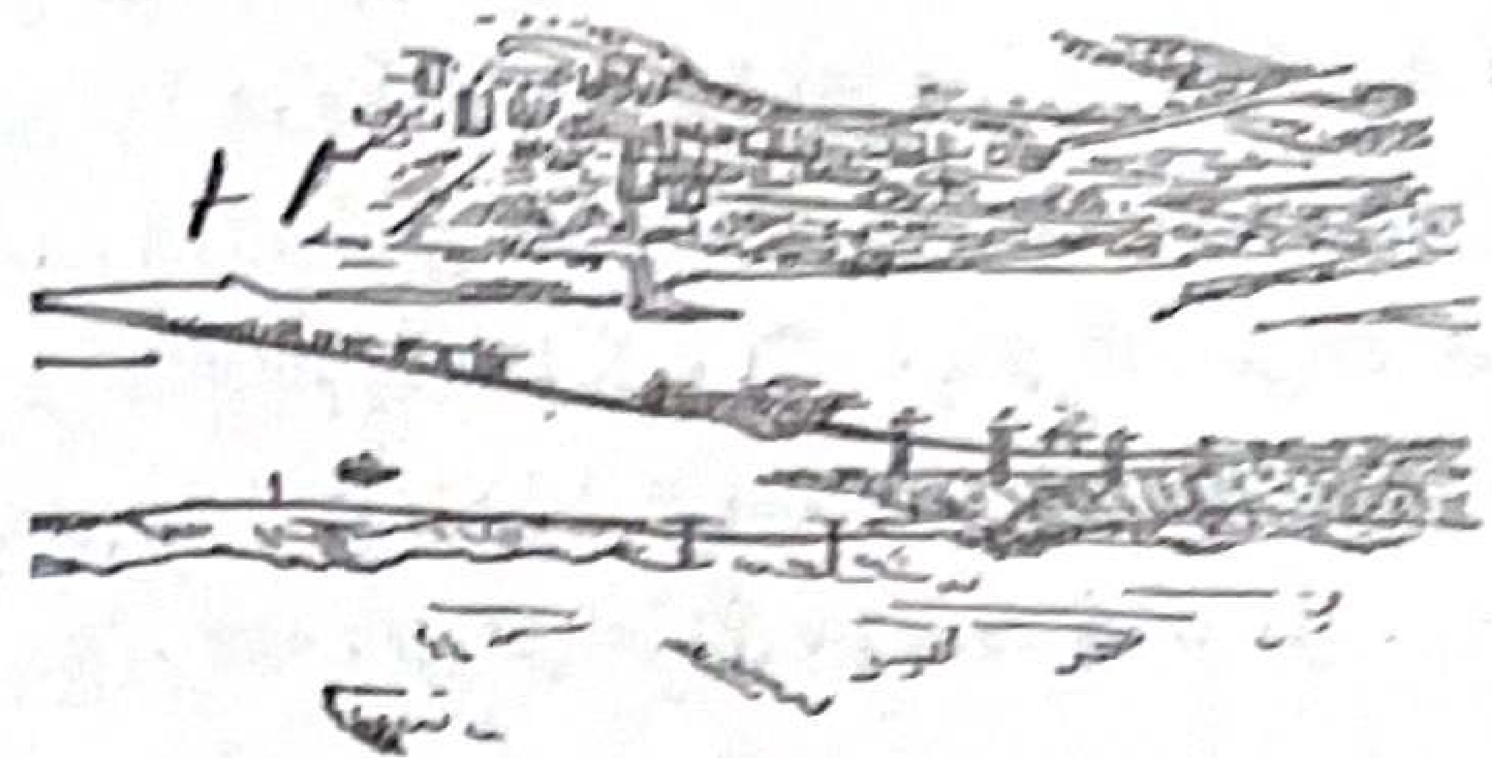
١ — النظام الجديد والحرب العالمية الثانية .

مع انهيار سوق الأسهم فى أكتوبر عام ١٩٢٩ ، طرأ على الاقتصاد الأمريكى تغيير جذرى ، فتغير نظام التمويل الرأسمالى الذى ساد الخمسة والسبعين عاماً تدريجياً إلى نظام الرأسمالية التعاونية حيث اشترك كل من الحكومة والزراعة وحتى العمال فى أعمال توجه اقتصادنا . وباطراد تزايد الطلب على هذا النظام بدأت الحكومة الأمريكية التى كانت حتى ذلك الحين أداة تنظيمية فى حمل المسئوليات تجاه الترفيه والخدمة لجهز النظام المالى الحكومى لكى يندمج مع التجارة فى عمل اشتراكى بما لم يحدث أبداً من قبل .

كانت أول صدمة من صدمات الفشل عبارة عن كارثة بالنسبة لمدننا . وبسبب الدخل المحدود للمدينة كانت مالية البلدية تعانى على الدوام من عدم الاستقرار ، وتتحمل الآن مشكلة الترفيه بينما ارتفعت البطالة إلى رقم ينذر بالخطر — ١٣،٠٠٠،٠٠٠ فى عام ١٩٣٣ . كان الترفيه وهو عبارة عن خدمة بمثابة الطفل المتبنى للبلديات ، قد مضى عليه وقت وهو يتقدم على الأشغال العامة بينما استمر المتعطلون فى التجمهر داخل المدن .

وفى ذات الوقت قامت ثورة معوقة فى شئون النقل الأمريكى . وعلى الرغم من إنشاء طرق سفرية ممتدة فى عام ١٩٢٠ ، كانت السيارة والحافلة وسيارة النقل بصعوبة قد بدأت فى منافسة قوة السكة الحديدية . الآن كان يهجر القطار جملة إلى الآلة ذات الاحتراق الداخلى ، التى كانت تدلل على أنها الوسيلة الأرخص لنقل الناس والبضائع . وفى عام ١٩٢٦ مثلا كان إيراد « الأتوبيس » أقل من خمس الإيراد المتحصل من ركاب القطار ، وفى عام ١٩٣١ كان الإيراد ضعف إيراد المارد البخارى . كان الانتقال إلى سيارة النقل عملا أوفر تميزاً إذ

لن البضائع بعد كل كانت المصدر الرئيسى لإيراد السكك الحديدية . وفى عام ١٩٢٠ قصرت سيارات النقل نفسها على نقل ما غلا ثمنه فى حدود منطقة تبلغ خمسين ميلا : وبعد عام ١٩٢٩ رفضت نقل البضائع الأرخص لمسافات أطول



منظر خليج سان فرنسيسكو ومدينة سان فرنسيسكو — أوكلاند وجسور الباب الذهبى

فى عام ١٩٢٨ كان ١٫٩ فى المائة فقط من القطن الذاهب إلى هوستون ، وجالفستون وتكساس سيتى ينقل على العربات ، ولكن بعد أربعة أعوام كان ما يقرب من نصف كمية القطن الذاهب إلى هستون وحدها ينقل بالطرق السفرية . وأصبحت السيارة الآن هى والحافلة وسيارة النقل من ضروريات الاقتصاد الأمريكى .

عندما بدأ فرنكلين د . روزفلت البرنامج الكبير للنظام الجديد للتخفيف من حدة البطالة ، كان إنشاء الطرق السفرية من بين أول البنود فى القائمة — وبخاصة الطرق السفرية الداخلة إلى مدننا الكبرى والخارجة منها . وطابقت مصروفات الولاية والمدينة المصروفات الاتحادية ، وأنشئت سلطات جديدة مجاراة لسلطة ميناء نيويورك الرائدة ، كما أنشئت طرق سفرية محدودة جديدة فى نيويورك وحولها ساعدت على سهولة الدخول إن المدينة والخروج منها

عن طريق الضواحى . واندفع البرنامج ، فقبل دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية بوقت قصير ، كان العمل قد انتهى فى أول طريق سفرى طويل وحديث وهو أول رباط بأبواب بنسلفانيا ، وهو الآن يمتد من فيلادلفيا إلى بتسبورج وأبعد من ذلك إلى خط ولاية أوهيو . إن مقياس نمو حجم هذه التطورات هو جسر ، أوكلاند باى ، بسان فرنسيسكو الذى يبلغ طوله ثمانية أميال وربع الميل والذى تم بناؤه عام ١٩٣٧ . ولم يتخذ الطريق السفرى الممتاز مكانه المعترف به فى الحياة الأمريكية إلا تحت النظام الجديد . وحتى أوائل عام ١٩٣٠ كانت الضواحى والتطورات العقارية مرتبطة عموماً ارتباطاً وثيقاً بخطوط العربات والسكك الحديدية كما فى شيكرهايتس مثلاً . وبرواج الأعمال بعد عام ١٩٣٥ اكتشف الناس أن الطرق السفرية قد جعلت السيارة أكثر تناولا لشئون التبادل التجارى ، وبدأ المهتمون بشئون العقارات فى إقامة تطوراتهم السكنية بعيداً عن خطوط العبور والسكك الحديدية .

ومع كافة فضائل السيارة ، فإن التوسع فى الرقعة الحضرية ما كان ليتحقق لو لم يكن التمويل السكنى أقل وأسهل . فالفئات العالية من الارباح ، والرهنيات من الباطن ، والتمويل بشروط قصيرة الأجل ، وغيرها من القيود كان قد ارتفع بتكاليف المساكن مما جعل شراءها صعباً على كثير من الأمريكيين قبل عام ١٩٣٣ . وبإنشاء نظام الرهن الذى تضمنه الحكومة تغيرت صورة التمويل بأكملها . ولم يكن لهذه البدعة سابقة لاهنا ولا فى الخارج . وتقدمت حكومة روزفلت بهذا الابتكار كوسيلة لإنعاش صناعة البناء فى صراعها مع البطالة . وفى مقابل رسم سنوى صغير من مالك المسكن ، كانت إدارة الإسكان التعاونية تضمن الرهن ، وبهذه المساندة كان لشركة الرهونات — سواء أكان بنك ادخارات أو شركة تأمين على الحياة أو أى مؤسسة مالية أخرى — ربح قدره ٤ فى المائة فقط ، ويحدد سداد القرض خلال مدة خمسة وعشرين

عاما . كان ذلك يتباين تبايناً حاداً مع قيمة الربح البالغة ٦ أو ٧ فى المائة لمدة خمسة سنوات والرهن من الباطن ، ذلك النظام الذى كان متبعاً فى العشرة سنين الماضية . وقرابة عام ١٩٣٩ ، كان جهاز النظام الجديد هذا ، يعمل على خلق الضاحية الشعبية على مستوى لم يشاهد فى أمريكا من قبل .

وفى نضالهم المستميت لقهر البطالة ، غير رجال النظام الجديد المنظر الطبيعى الأمريكى بطريق غير مباشر . ومن متعلقات الموضوع تقديم روزفلت للائحة الأربعين ساعة عام ١٩٣٣ قد يكون العامل انضم إلى التاجر فى معدية بروكلين عام ١٨٢٠ ، ولكنه قلما كان يشاهد فى أعداد كبيرة فى القطار ، أو العربة ذات الحصان أو الترولى ذاهباً إلى الضواحى . وعلى الرغم من شرح « هاربيت بيتشرستو » لفضائل كوخ الضواحى عام ١٨٧٠ ، فقد بقيت الضاحية جنة الرجل الثرى حتى لبعد عام ١٩٣٣ . ماذا كانت فائدة السكك الحديدية والطريق السفرى القديم إذا كان على الموظف الأمريكى عام ١٩١٠ أن يعمل ستين ساعة أسبوعياً فى المتوسط . ؟ إذ لم تصبح الأربعون ساعة أساساً إلا فى عام ١٩٣٠ . . . والآن يستطيع الرجل الأمريكى العادى أن ينتقل يومياً من الضاحية التى يسكنها مثل جاره الثرى ، وهو يحصل على إجازة فى نهاية الأسبوع فيكرس وقته فيها لأسرته ولتحسين بيته وتبعت هجرة المدينة إلى الضاحية تسهيلات تجارية جديدة ، فى الثلاثين عاماً المتأخرة افتتحت فروع لمخازن المنطقة الشاطئية بهوايت بلينز وجرينتش خارج نيويورك ، وفى أفانستون خارج شيكاغو . وسارت المصانع وراء الهجرة واكتشف أصحابها أن عمالهم يستطيعون الوصول إليها بالسيارة . كانت هذه الهجرة الأخيرة ملحوظة خصوصاً جنوبى كاليفورنيا التى كانت تعتمد على السيارة اعتماداً كلياً .

جلب التخطيط الفيزيقى للنظام الجديد تقدماً أبعد من النطاق المحدود للطرق

السفرية والأشغال العامة . وأعلن الرئيس روزفلت فى عام ١٩٣٣ ، وأن الوقت قد حان له التخطيط إلى حقل أكثر اتساعاً » . وفى هذه الحالة كان يعنى « شركة مساهمة فى زى حكومى ، ولكن تمتلكها المرونة والقدرة على الابتكار التى تميز المؤسسة الخاصة » . كان هذا يتمثل فى هيئة وادى تينيسى وهى حلم من أحلام عضو مجلس الشيوخ نوريس منذ عام ١٩٢٢ — ما أتى بالتخطيط الإقليمى إلى حوض مجارى نهر تينيسى . وبالتخطيط الدقيق والمراقبة الجيدة للمشروعات التى تبدأ من تفتيت الأرض ومراقبة الملاريا إلى إنتاج القوة الكهربائية الرخيصة والملاحة المتطورة لتغير شكل واد نهرى بأكمله . وأثبتت هيئة وادى تينيسى أهميتها فى الحرب العالمية الثانية . واليوم ، وعلى الرغم من بعض المعارضة والمقاومة ، فإن ما أنشأته من مزارع مكهربة ومدن ذرية يقف أمام العالم مثالا ممتازاً للعبقرية الأمريكية .

من بين الناس الذين كانوا حول فرنكلين ديلانو روزفلت المرحوم هارولد إيكس الجمهورى السابق ، وبول موزر الذى حمل تقليد وزوفلت السابق فى عمله فى صيانة المتنزهات الأهلية والإبقاء عليها . وعقب تكوين هيئة وادى تينيسى عام ١٩٣٣ بوقت قصير ، عين إيكس بوصفه وزيراً للداخلية ، لجنة أهلية للتخطيط (عرفت فيما بعد باسم اللجنة الأهلية للموارد الوطنية) مزودة بتعليمات لتطوير الأمة ، وجرت دارسات هامة للاقتصاد الأمريكى من جميع وجوهه ، ولأول مرة اعترفت الحكومة الاتحادية بمدننا كعامل أساسى فى الحياة الاقتصادية الوطنية . كانت إشارة لخروج تخطيط المدينة من الركود الذى وقع فيه عام ١٩٢٠ . وفى الموجة الأولى لكفاية المدينة تحولت المدن إلى هيئات استشارية خاصة حققت الأرقام الرئيسية لتخطيط المدينة عام ١٩٢٠ . وفى الأعوام الثلاثينية ، انتشرت اللجان وتضاعفت بفضل

اهتمام الحكومة الاتحادية الجديد بتخطيط المدينة . وبفضل ما كان تحت تصرف المدن من اعتمادات لمقاومة البطالة ، كان فى مقدورها القيام بدراسات عميقة للمشكلات المحلية وتوجيه مصروفاتها توجيها صحيحاً لسد حاجة البطالة ولتحسين الأحوال . أصبح الشعب الأمريكى على دراية بالمشكلات الاجتماعية والاقتصادية بعدئذ . ومن ثم عقد التصميم على إدراك كنه هذه المشكلات والسير قدماً فى طريق حلها — كانت النتيجة أن قبلت معظم الحكومات البلدية التخطيط كجزء هام من العملية الإدارية ، وعلى الرغم من أن النتائج كانت غير مباشرة غالباً ، فإنه لا يمكن الإقلال من شأن تخطيط المدينة فى ذاك الوقت أو الآن بالنسبة لفائدته لكل من موظفى المدينة وحكومتها .

كان مما اكتشفه البحث الجديد امتداد الآفات الحضرية . وجنباً إلى جنب مع انتعاش تخطيط المدينة ، جاء الاهتمام المتجدد بإزالة العشش وإنشاء مساكن أفضل . . وبدأ الأمر بالمؤتمر الذى عقده الرئيس فى شأن بناء المساكن وتمليكها من مشروعات هربرت هوفر . لقد وضح الآن للجميع أن التشريعات المنظمة لم تكن كافية ، لأن المشروعات الخاصة لم تكن قادرة على مقابلة الحاجة إلى الإسكان بالنسبة لذوى الدخول البسيطة . وكان فى مقدور الحكومة وحدها توفير المسكن المناسب لهؤلاء الذين لا يستطيعون الإنفاق على مساكنهم وشققهم وكان هذا امتداداً لسلطة الحكومة يسلم به الآن قادة العقاريين كأمر ذى نفع . وبدأت سلسلة من التحسينات السكنية مولها وتملكها الشعب ولكن أقامتها مؤسسات خاصة للبناء ، بدأتها الحكومة الاتحادية كجزء من برنامج الأشغال العامة لعام ١٩٣٤ . وفى نفس الوقت أقامت حكومات الولاية والحكومات المحلية سلطة خاصة للإسكان . وفى عام ١٩٣٧ ألفت الحكومة الفيدرالية هيئة إسكان الولايات المتحدة ، التى اندمجت منذ ذلك الحين فى وكالة الإسكان

والتمويل الوطنى ، وذلك لإعانة مجهودات الإسكان المحلية . ووضعت الهيئة تحت إدارة رجل الأعمال النيويوركى القدير ناثان ستراوس . وأزيلت من المدن الأمريكية قطاعات بأكملها من أصغر العشش وأعيد بناؤها ، مما وفر لكثير من الأمريكيين الحد الأدنى من أطايب الحياة بإيجار متواضع .
وبانبلاع نيران الحرب العالمية الثانية تناسب برنامج الإسكان العام مع ذلك الذى دعته الإدارة الاتحادية للإسكان ، لكى يحصل الجيش والبحرية على جميع رغباتهما دون قيد أو شرط . وعلى الرغم من الإيعاز بالسرعة ، لم يكن ثمة داع لضرورة التضحية بالتصميم فى سبيل العملية . وكما أشار القائم على الإدارة ، إن فى استطاعة برنامج الإسكان الدفاعى خلق جيرات تساهم فى الحياة السليمة ولقد تم بالفعل بناء ١,٢٠٠,٠٠٠ وحدة سكنية للأسرة تقريباً فى ظل هذا البرنامج ، وعلى الرغم من ضغط الحرب روعى نوع البناء . وقرابة نهاية الحرب وبالإضافة إلى وكالات الإدارة الاتحادية للإسكان كان هناك ٤٤٨ هيئة محلية للإسكان الشعبى فى المدن و ٣٦٨ فى الريف .

باستعراض المشروعات التى تمت فى منتصف الثلاثينيات (١٩٣٠ — ١٩٣٩) يتضح أن الحكومة ذهبت إلى أبعد من واجبها لتهيئة المسكن ، فحاولت إنشاء محيط الحياة السليمة للسكان وملاك المساكن . كانت ممتازة تلك المحاولات التى قامت بها إدارة إعادة الاستيطان نحو بناء الضواحى الحديقية : « جرنبيلت بالقرب من واشنطن ، وجرينهيلز بالقرب من سنساتى . وفى مشروعات الإسكان الحضرى قدم الجنوب أهم التصميمات وجدير بالذكر منها ما كان من جاكسونفيل بفلوريدا من عمل م . ك . جربلى وشركاه ، وقصر روبرت ميلز بتشارلستون بجنوب كارولينا من عمل جماعة من سبعة معماريين محليين منهم صمويل لاپام الذى كان رئيساً لهم — وفى أثناء إعادة تطوير المنطقة الموبوءة تم إدماج عدد من المبانى القديمة الفاخرة التى تجاورها بما فيها مستشفى البحرية والسجن من

تصميم ميلز ، بنجاح فى مشروع موحد ، وكان من عمليات الإسكان فى أثناء الحرب التى نالت أكبر قسط من الفحص ثم الاعتماد النموذج الذى يتمثل فى قرية بلدوين هيلز بلوس أنجيلوس من تصميم ريجنالد جونسون ، ولويس ولسون ، وادوين أ . ميريل ، وروبرت الكسندر . أن لهذه القرية الجذابة المظهر غير العادى للتصميم الرسمى الصارم من أفكار جفرسون النادرة فى أيامنا هذه .

تختلف مشروعات الإسكان الشعبى اختلافاً أساسياً عن تلك التى قامت بمعاونة رمنيات هيئة الإسكان الاتحادية من ناحية التفرقة العنصرية . وحدث أول تحول هام فى هذه الناحية فى بعض مشروعات المساكن الشعبية فى أواخر عام ١٩٣٠ — خطوة هائلة إلى الأمام — ورغم أن التقدم كان بطيئاً فإن السياسة امتدت إلى بعض التطورات الخاصة التى تسندها الحكومة .

وأسفرت عمليات الإسكان التى قامت بها شركات التأمين على الحياة والتى تبعت صحوة الحكومة بالنسبة للبادرة ، عن تغييرات ببعض المدن ، وابتداء من نيويورك عام ١٩٣٩ ، بنت شركة متروبوليتان للتأمين على الحياة مدينة باركشستر وسكانها ٧٥٠٠٠ نسمة ، بتكاليف قدرها ٣٠ مليون دولار . وتبع ذلك بلدة ستويفيسانت الأكثر شهرة على الجانب الشمالى الشرقى والتى زادت كثافة المنطقة التى بنيت عليها بثلاثة أضعاف وتستطيع شيكاغو وسان فرنسيسكو وغيرها من المدن أيضاً أن تشيد بعمليات إسكان شركات التأمين التى تسد حاجات الأسر المتوسطة الدخل ، على الرغم من أن تسلط كميات الآجر والصلب قد لا تشير إلى طريق التخطيط المدنى الأحسن .

جرت فى ظل النظام الجديد أعمال لتحسين المدن والبلدان فى أمريكا أكثر من أية فترة أخرى . وكانت حركة تجميل المدينة فى أوجها . وأنشئت المتنزهات والملاعب وحمامات السباحة والأفاريز المرصوفة والمدارس الجديدة

وقاعات الفنون ، كما أدخلت التحسينات على إضاءة الشوارع وغير ذلك من ضروريات المجتمع الحديث بجميع أنحاء البلاد . إن الحقيقة الواقعة هى أن المدينة الأمريكية اتخذت طريقاً للحياة جديداً خلال حكم الرئيسين المدعوين روزفلت اللذين يتركز اهتمامهما الرئيسى فى الاحتفاظ بغاباتنا العظيمة وغيرها من الموارد الطبيعية .

كانت مساندة الحكومة للفنون مما يعتبر مفتاحاً لبرنامج روزفلت بأكمله وكانت جزءاً متمماً لتخلص الحكومة من العاطلين . وبفضل مبادرة الفنان جورج بيدل والإدارة المستنيرة لإدوارد بروس وفوربس واطسون وهولجر كاهيل ، الذين أسسوا السياسات الجديدة العريضة للفنون ، امتد تفريج البطالة إلى المعماريين والمصورين والمثالين والكتاب والممثلين والموسيقيين . وجرى العمل فى كثير من المشروعات الهامة من بينها معالم الثقافة الأمريكية كمشروعات المسرح الأمريكى ، وفهرست التصميم الأمريكى ، ومسح المبانى التاريخية الأمريكية ، وكتب الدليل لمدننا وولاياتنا . وزخرفة المبانى العامة التى أهملت فى أيام عام ١٩٢٠ ، طبقت فى مئات من المجتمعات قلما سمع المواطنون فيها كلمة « فنان » . وكانت هناك معارضات لكثير من العمل القائم . ولكن ينبغى أن نذكر أن معظم الفنانين كانوا من مصورى اللوحات ممن لم يعتادوا التصوير على الجدران ، وأن هذه التجربة كانت قد فرضت عليهم فرضاً . كان أكثر من ثلاثة آلاف فنان يعانون من البطالة ، وغيرهم وجدت لهم أعمال فى استرجاع تراثنا الوطنى . وجرى ترميم كثير من المبانى القديمة وإصلاحها ، وهكذا تمت صيانتها للأجيال القادمة وأعيدت الحياة إلى المتنزهات التاريخية . إن مأساة البرنامج الفنى تقبع وراء أنه لم تكن له صفة الدوام فقد انتهت حياته القصيرة فى عام ١٩٤٣ ، ثم إن تقاليدنا الخاصة بالرعاية الحكومية متقطعة وأمريكا من الأمم القليلة فى العالم التى لا تعنى بمساندة الفنون مساندة دائمة .

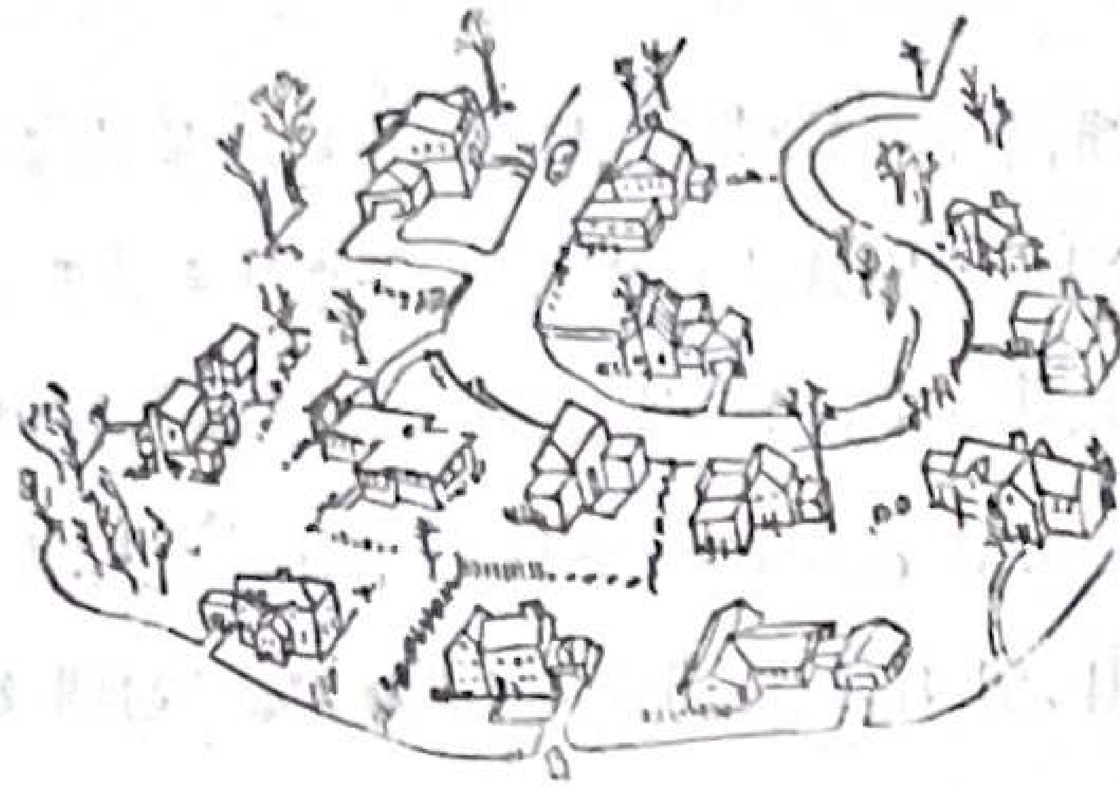
٢ ـ النصر وما بعده

حتى بالنسبة للأمريكيين كشفت الحرب العالمية الثانية كثيرا عن قوة الأمة الصناعية فقد وصل الإنتاج إلى مراحل عليا جديدة ، وقامت الصناعات القديمة بتطوير أساليب جديدة كما قامت صناعات جديدة وكان أهم الإجراءات جميعا هو اكتشاف وإنتاج الطاقة الذرية . وعادت الحياة إلى عدد من أجزاء البلاد كانت قد أهملت حتى الآن فى زحمة الإنتاج الحربى ، ومن أظهرها تلك التى أقيمت فى مواقعها بلدان الطاقة الذرية . وبنيت مصانع هائلة تتم داخلها جميع مراحل الإنتاج تحت سقف واحد ، كما قامت مدن بأكملها لتضم القوة العاملة الكبيرة . وفى أوك ريدج بتينيسى وهانفورد بواشنطن قامت الحكومة ببناء مجتمعات جعلت بلدان الحرب العالمية الأولى تبدو كالقرى إذا ماقورنت بتلك المجتمعات .

وما يماثل ذلك إثارة للدهشة ، زيادة الإنتاج بعد الحرب ، فبممارسة سياسة التوظيف على المستوى العالى أصبحت القاعدة هى بناء مليون مسكن أو أكثر فى العام ، وربطت الطرق السفرية الجديدة المدن بعضها ببعض ، وظهرت المصانع الجديدة على ما كانت أرضاً زراعية منذ بضع سنين فقط .

ونتيجة لذلك مس المدينة انفجار إلى الخارج على نطاق أوسع من أى وقت مضى . فالناس يهاجرون من مركز المدينة بالمئات والآلاف . وبينما يتزايد عدد السكان بمركز المدينة بمقدار ١٣ فى المائة فيما بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٥٠ ، يتزايد عدد سكان الضواحى بمقدار ٣٥ فى المائة . واليوم تعتبر ملكية المسكن شيئاً عادياً . ولأول مرة فى هذا القرن يسكن أكثر من نصف الناس بأمريكا بمنازل يملكونها ، وترتفع النسبة كل عام . ولم يكن هذا ممكناً دون مساعدة الصناعة الخاصة وملاك المساكن التى تقدمها الرهنيات التى تضمنها الحكومة .

وخصوصاً فى حالة المحاربين القدماء . وبقيت المنازل نفسها من التركيب ذى الإطار البالونى ، مع إضافة بعض المواد الجديدة . واليوم تنشأ مجتمعات الضواحى كوحدة يقوم بها واحد أو اثنان من المستثمرين أما فى الماضى فكان الأفراد يشترون قطع الأرض من المستثمر ويبنون عليها بيوتهم الخاصة . وجاء توحيد العمل والأجزاء التى تخرجها المصانع بوفورات غير عادية ، خصوصاً فيما يخص مهمات المطبخ والحمام ، ولكنها أدت إلى بعض



قطاع فرعى من تخطيط المدينة لذوى الدخول الكبيرة بجريت نك و لونج أيسلاند .

التماثل فى الإنتاج النهائى . وتنتظم فى المنظر خطوط على هيئة دوامة من المساكن وقطع الأرض دون أشجار تحميها أو تظللها فى غالب الأحيان . وتبقى قطع الأرض المفتوحة موحدة الشكل على الرغم من أن الجراج أو « العربخانة » والطريق إليهما قد ألحقتا بموقع البيت ، ويساعد على رفع السعر شجيرات أو حديقة عرضية تضفى على الموقع بعض الشخصية . وكان من نتيجة « خصب » أسر الضواحى الجديدة ، أن انقلب كثير من هذه الضواحى إلى « قرى للأطفال » . والشباب ونشاطه يتفق مع التجديد . وسرعان ما تبع

بناء المساكن إقامة المدارس وكانت تكاليف التعليم بنداً من البنود التى لم يعمل حسابها فى ميزانية صاحب المسكن : ولمقابلة المطالب الشرائية لمجموعة الضاحية ، بنيت مراكز تجارية جديدة هائلة ، ولمعظم مخازن الشاطىء التجارية الآن فروع بالضواحى ، وقد استقرت تلك الفروع استقراراً تاماً فى الضاحية النامية . وبناء الكنيسة أيضاً ولد من جديد ، على الرغم من أن البناء يبدو متواضعاً إذا ما قورن بالأبنية القديمة للكنائس بأمريكا ، ولكن لأهمية الدين فى هذه المجتمعات ، لا يحتاج السكان إلى دور بديعة للعبادة .

واليوم تكاد كل أسرة قادرة تنتقل إلى الضواحى . إن التوسع الحالى فى إنشاء الطرق السفرية الممتازة سوف يفتح أمام المستثمر مجالاً لمد العمران إلى داخل الريف ، وسوف يتبعه ملاك المساكن ، وقد أصبح العمل حول المنزل شغل الرجل الأمريكى فى وقت فراغه الذى عرفه حديثاً . وقبل الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك قيمة فى السوق لهواة طلاء المنازل ، ولكن اليوم تقدر دخول هؤلاء الهواة بخمسة وستين فى المائة . وبالنسبة للورق الذى يلصق على الجدران بدلاً من الطلاء فإن المشترى يستهلك الآن ماقيمته ستون فى المائة مقابل ٢٥ فى المائة عام ١٩٤٠ . وصممت الأدوات الجديدة لسد حاجة السوق . وعندما استبدلت بالفرشاة أسطوانة الطلاء الدوارة كان فى مقدور الهاوى أن يقوم بالطلاء بنفسه فى راحة تامة . ومن الاختراعات الأخرى الحديثة أنواع الطلاء السريعة الجفاف العديمة الرائحة ، والأنواع الجديدة من ورق الجدران ، وبلاط القيشانى وأدوات النجارة الصغيرة الأوتوماتيكية ، كل ذلك مما يساعد على جعل ملكية المسكن بالضواحى أكثر جاذبية . وحتى آلات ثقب الأعمدة أصبحت تنتقل من مالك إلى آخر فى أثناء تنفيذ برامج التسوير ، تماماً كما كان يحدث لآلة قص الحشائش من الانتقال من يد إلى يد فى الزمن

الماضى". ومما يمكن التنبوء به للمستقبل — إذا استمر هذا الاتجاه وإذا لم تعمل تكاليف البناء والمضاربة على الأرض فى رفع أسعار المنازل — أن الإنسان الأمريكى لن يعيش فى مكان آخر سوى الضاحية . إن المجتمع الأمريكى اليوم ليس مجتمعاً حضرياً بقدر ماهو مجتمع الضواحى .

هذا وغالباً ماننسى أن الضاحية أنشئت بتكاليف باهظة ، وليس مرجع هذا أساساً إلى فقدان الريف قبل مد الطريق السفرى الممتاز والتطور الانتشارى فهذا أمر لامفر منه فى وجه تعداد متزايد ، والرغبة الطبيعية المتأصلة فى نفس الأمريكى ليتملك بيته الخاص . إن مرجع هذا نوعاً ما إلى التخلى عن المدينة مركز مدنيتنا . ونحن الأمريكيين ننتقل إلى الأرض الجديدة بمجرد أن نفرغ من استغلالنا للقديمة . ويبدو أن مركز المدينة قد استنفد أغراضه ثم تخلى الناس عنه إلى الضواحى المتاخمة . وقد يكون أكثر مايدعو إلى الخوف هو أن أطراف الضاحية ، التى أصبح عمرها الآن خمسة وعشرين أو خمسة عشر عاماً ، هى بدورها قد نال منها القدم .

والآفات الحضرية كما رأينا قد أشار إليها منذ زمن المعماريون والاجتماعيون ومخططو المدن ورجال الأعمال المتنفعون وغيرهم ممن يهتمون بالمدينة . ولم يجد المجتمع التجارى بأكمله حلا للموضوع ، فوقف جانباً بينما كانت حكومة روزفلت تهاجم المشكلة . ومن الواضح أنه لم يكن فى الإمكان عمل شىء كثير دون تعاون التجارة مع الحكومة فى معالجة المشكلة وفى النهاية وحوالى عام ١٩٤٠ ، تقدم أئمة الشئون العقارية باقتراح مؤداه أن تعين الحكومة الأعمال العقارية بالمدينة فى شكل إعادة للتطور الحضرى . وهكذا تحل المشكلة . وجرى العمل على الشكل الآتى : تقوم البلدية بتخويلها سلطة خاصة ، تعاونها الحكومة الاتحادية وحكومة الولاية بشراء القطاعات

التى بها مبان آيلة للسقوط فتزيلها ، ثم تبيعها أو تؤجرها للمستثمرين لتحسينها ، وأقرت ولاية بنسلفانيا أول قانون لإعادة التطوير الحضرى فى عام ١٩٤٥ ، وكان رجال الأعمال بيتسبروج من أول المنتفعين منه بإعادة بناء « المثلث الذهبى » . وجاء الحافز الأعظم للحركة الجديدة مع إقرار التشريع الفيدرالى الخاص بإعادة التطوير والإعانة البالغ قدرها ٥٠٠ مليون دولار . واليوم لكل مدينة أو بلدة فى البلاد سبب آخر لكى تفحص نفسها بغية الوصول إلى كيفية اتقاء مزيد من الآفات ، وحماية المناطق المركزية إن أمكن ذلك .

ومن الأمور البالغة الأهمية ، الحقيقة الواقعة من أن التجارة بدأت مرة أخرى تهتم اهتماماً عملياً بالتحسينات الحضرية الواسعة . ويقابلها فى الأهمية نص القوانين الفيدرالية وقوانين الولاية ، على ألا يحصل مجتمع على إعانة لإعادة التطوير الحضرى ما لم ينفذ ذلك طبقاً لتخطيط مدنى شامل . وفى فيلادلفيا وضع تخطيط شامل للمدينة بأجمعها يتضمن تحسينات بمنطقة قاعة الاستقلال . كما أن مشروعات إعادة التطوير الحضرى التى فى الطريق أو تلك التى فى طور التخطيط ، هى نتيجة للتعاون بين مخططى المدن والقائمين على شئون الإسكان والمعماريين والهيئات الحكومية وجماعات التجار .

وإذا كان يبدو على عملية إعادة التطوير الحضرى وعلى الإسكان وحتى الأبنية التجارية (نلمس فى بعضها آثارا لتقاليد الرعاية الفنية) بعض النقص فى الشخصية والتصميم بالمقارنة إلى ما سبقها من التخطيط والعمارة الأمريكية ، فلن يجهدنا الكشف عن السبب . ليست الكتل وقطع الأحجار المجردة التى تدعى اليوم « عمارة » هى نتيجة للاقتصاد بل للذوق . وهبطت على الأرض الجائعة فلسفة فنية ملائمة فى أثناء الكساد ، عندما وجد تنديد « ثورستاين فبلن » بالزخرفة وجميع الأدوات المخصصة للبهجة نمطاً جديداً فى نفس الوقت الذى

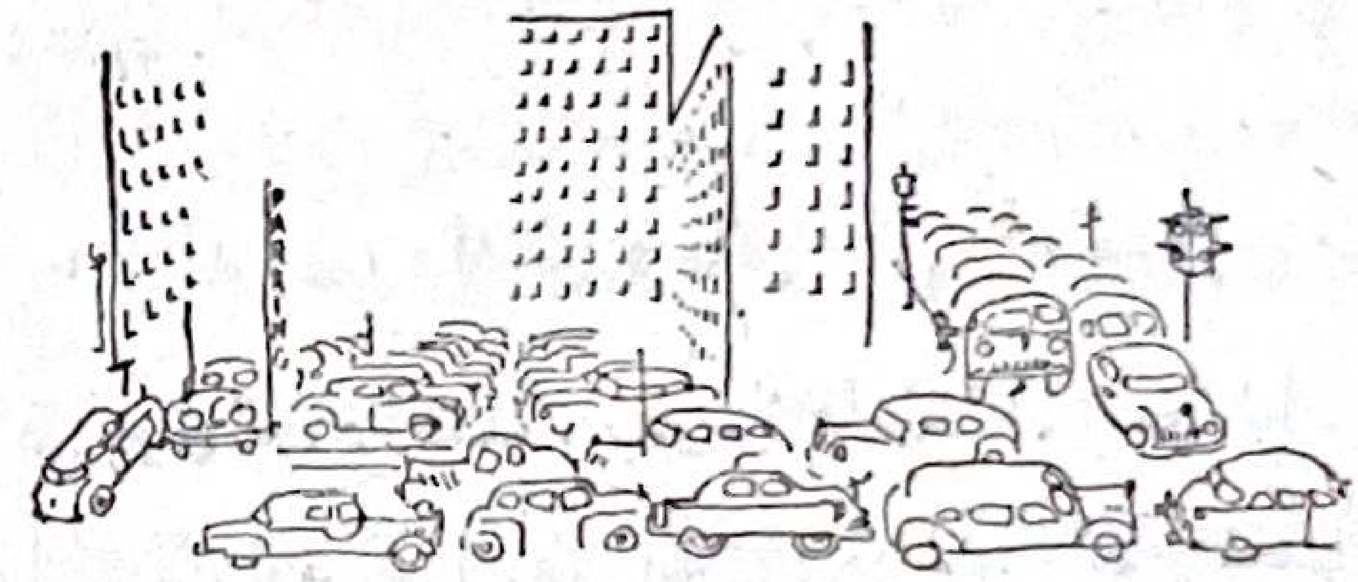
جاء فيه المعمارى « الوظيفى » من أوربا . والذى أعيد فيه اكتشاف متنوعات فرنك لويد رايت لموضوع الانشقاق المنطقى . أطلقت على المعمارى والتخطيط الجديدين أسماء مختلفة مثل « الطراز الدولى International Style أو « الطراز الحديث » أو « الوظيفى Functional » أو « التجريدى » ، ولكن قد يكون أنسب الأسماء هو ما أطلق على إحدى مدارس التصوير وهو اسم « غير الموضوعيين Non – Objective » وعلى أى حال انبثقت الحركات عن جذر واحد هو نظرية « الشكل يتبع الوظيفة » ، وتأكيد بناء « فيوليت لودوك » مرمم القرن التاسع عشر لاءم الذوق الجديد ملاءمة تامة ذلك النمط المخالف للأصول والأنماط العرضية لأثرياء الفن الذين كانوا أول من قام بالبناء على النمط غير الموضوعى . وتعرت الكلاسيكية ، وعرض بالبناء ، وفى كل مكان من حولنا نجد « عرضية » فى التصميم أكثر تشويشاً من أى تخطيط فى عهد البخار والحديد . وتبدو على الحركة اليوم أمارات الإعياء وتتعرض لنقد كثيرين ممن قاموا بها ، كما تتعرض للنقد من الشعب . إن فقر الطراز الذى لا يسمح بغير الزخرفة « العضوية » ، كقطعة بسيطة من الخشب فى الردهة ، أو شجرة ملتوية أمام حائط زجاجى أجرد — ليبدو أكثر فقراً إذا ما تفرسنا فيه على ضوء المتنوعات الفنية التى بنى الأمريكيون وسوف يستمرون فى البناء منها عند استعادتهم لماضيهم والتغيرات التى طرأت عليهم .

٣ — حركة المرور ، وانتظار وسائل النقل وتخطيط المدينة

بعيداً عن ذوق العهود المختلفة ، يبدو واضحاً جلياً لكل من له أعين وآذان وأقدام ، ولكل من له مسكن أو دفتر مفكرات أن مدينة اليوم ينقصها الكثير . لنأخذ أكثر المشاكل ذيوعاً ، التى تستنزف مصروفاتها أكثر أموال الشعب

وعنى بها حركة المرور . فى الأعوام القليلة القادمة تزمع ديترويت إنفاق ١٩٥ مليون دولار على الطرق السريعة ، أو ما يكفى لإقامة اثنى عشر مشروعاً كبيراً للإسكان . ولمدن أخرى برامج للطرق السفرية تتناسب أحجامها مع ما تقدم . وإذا كانت السكة الحديدية أهم مساهمة من العصر المنظرى فى مدننا ، فإنه يمكن اعتبار الطرق السفرية الجديدة المساهمة الكبرى فى زمننا هذا . ولكن مع ذلك لا ينبغى الترحيب بها دون سؤال . لقد أنشأت الطرق السفرية غالباً مشاكل جديدة بقدر المشاكل التى أنشئت هذه الطرق لمعالجتها . وإذا سلمنا بأن للضواحى الجديدة حقاً فى مركز المدينة . ينبغى أن نراعى أننا لا نخلق تنيناً لكى يخنق الضواحى كما تفعل تلك الضواحى بالمدينة . إن فوائد الطرق السفرية — الطريق الحر ، والطريق السفرى الممتاز والطريق السفرى المحدود ، وطريق الانتظار والطريق الملتوى ، والطريق المستقيم الطويل — مألوفة للجميع ، والواقع لاتستطيع المدينة الحديثة أن تقوم بدونها . والوجب هو العمل على أن يتحالف كل من الطريق السفرى مع تخطيط المدينة فيكون زواجا للنفعة المشتركة مما لا يتأتى دائماً فى هذا العصر .

بالإضافة إلى الطريق السفرى هناك معضلة أخرى ما زالت بدون حل تواجه المجتمع . . . فى محاولة لإبعاد السيارة عن الشوارع خلقت حكومات المدينة



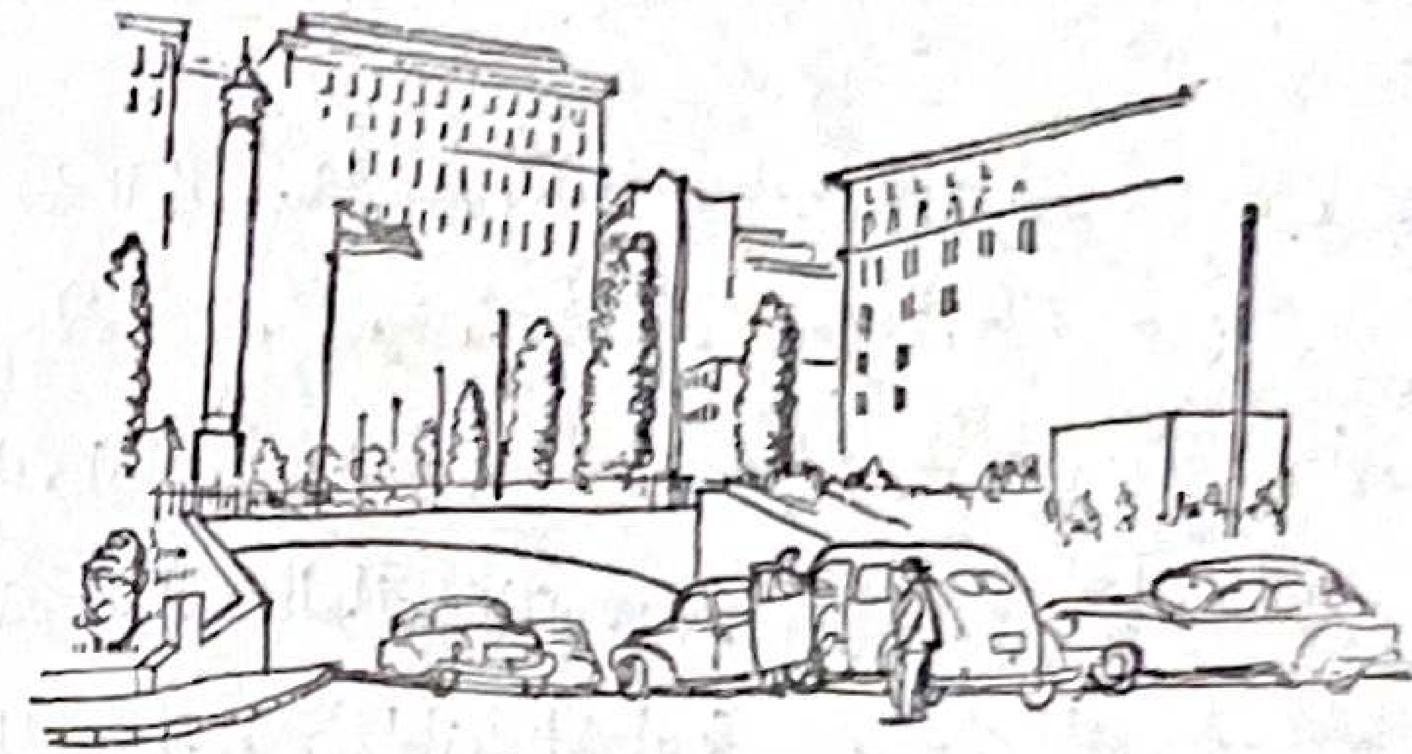
ساحة تجارية لانتظار السيارات ، وزحمة المرور

والمصالح الخاصة ما قد يكون أسوأ وصمة بالمنظر الأمريكى منذ ظهور أحواش السكة الحديدية وهى ساحة الانتظار المفتوحة . فقد غاضت الابتسامة عن المدينة إلى الأبد لأن كثيراً من أسناننا قد اقتلعت . وإذا قدر للإلهة أثينا ، حامية المدن ، أن تقوم فجأة بتحويل جميع تلك الساحات إلى حدائق عامة جميلة ، فسوف يبقى السحر الناتج عن ذلك ناقصاً لأن الثقوب فى النسيج الحضرى قد أعاقت التجمعات المعمارية المنتظمة . هذه الثقوب الفاغرة أفواهها ، ذات القمم السوداء أو المتفحمة ، والمدمرة للتأثير المعمارى والقبيحة الصورة ، والمزودة غالباً بمحطة وقود تنتشر فى كل مكان ما عدا ما كان أكثر كثافة من المناطق التجارية والمالية الرابحة . وهناك تكشف جراجات الانتظار والسيارات التى تنتظم فى صفوف أو فى التجويفات تحت الأرض عن المكسب الذى يمكن الحصول عليه من وراء الرسوم الباهظة التى تحصل بمقدار عدد الساعات من رجال الأعمال وأصحاب المتاجر .

وإذا نظرنا إلى أسفل من ناطحة سحاب خارج المركز الذهبى لمدينة معينة من الغرب الأوسط ، فسوف نرى أن خمسين فى المائة تقريباً من الأرض ، باستثناء الشوارع ، قد خصصت اليوم لتكون ساحات انتظار . ليس هذا هو المكان الذى يرغب السائقون الوجود به — فلديهم أعمال بالقرب من مبانى المكاتب المركزية أو فى المخازن التجارية — ولكن ليس لهم الخيار . وقليل من الناس يدركون أن قطع الأرض المخصصة للانتظار هى أحياناً أكثر مكسباً من البناء ، وأن ما كانت فى يوم من الأيام أحسن المناطق السكنية بالمدينة ، هى الآن منطقة حرام تغمرها السطوح الصلب اللامعة للسيارات ، يتخللها أحياناً سقف جمالون أو صف من أبنية الآجر أو مطعم قبيح الشكل . وفى الليل يقفر المكان ويبدو موحشاً وصامتاً كلوحة من لوحات إدوارد هوبر .

عندما تعود جميع السيارات إلى البيت بالضواحى ، وينعدم النشاط الذى كان يزودها بالحياة .

وبما أن السيارة سوف تبقى معنا لزمن طويل ، وبما أن مدننا سوف تصبح أكبر وأكثر اعتماداً من أى وقت على الآلة ذات الاحتراق الداخلى ، فمن الخير للأمريكيين أن يراعوا فى طرق السيارات علاقتها بالمدينة ككل . وبدلا من ترك الآلة المفيدة تمسك زمام التصرف ، ينبغى أن نعيدها إلى وضع لا يمكننا منه تعريض أعصابنا وأجسامنا للخطر أو إعدام المدينة الأمريكية والضاحية . ولو كانت مدننا خططت بعناية لكان فى مقدورنا الاطمئنان إلى سير حركة المرور فى سبيلها الصحيح منفصلة عن حركة المشاة ولعب الأطفال . ينبغى علينا تأكيد فصل الحركة السريعة عن الحركة البطيئة فلا تخترق طرق السرعة العالية المناطق السكنية . ونستطيع أن نبنى للسيارات عدداً أكبر من الجراجات

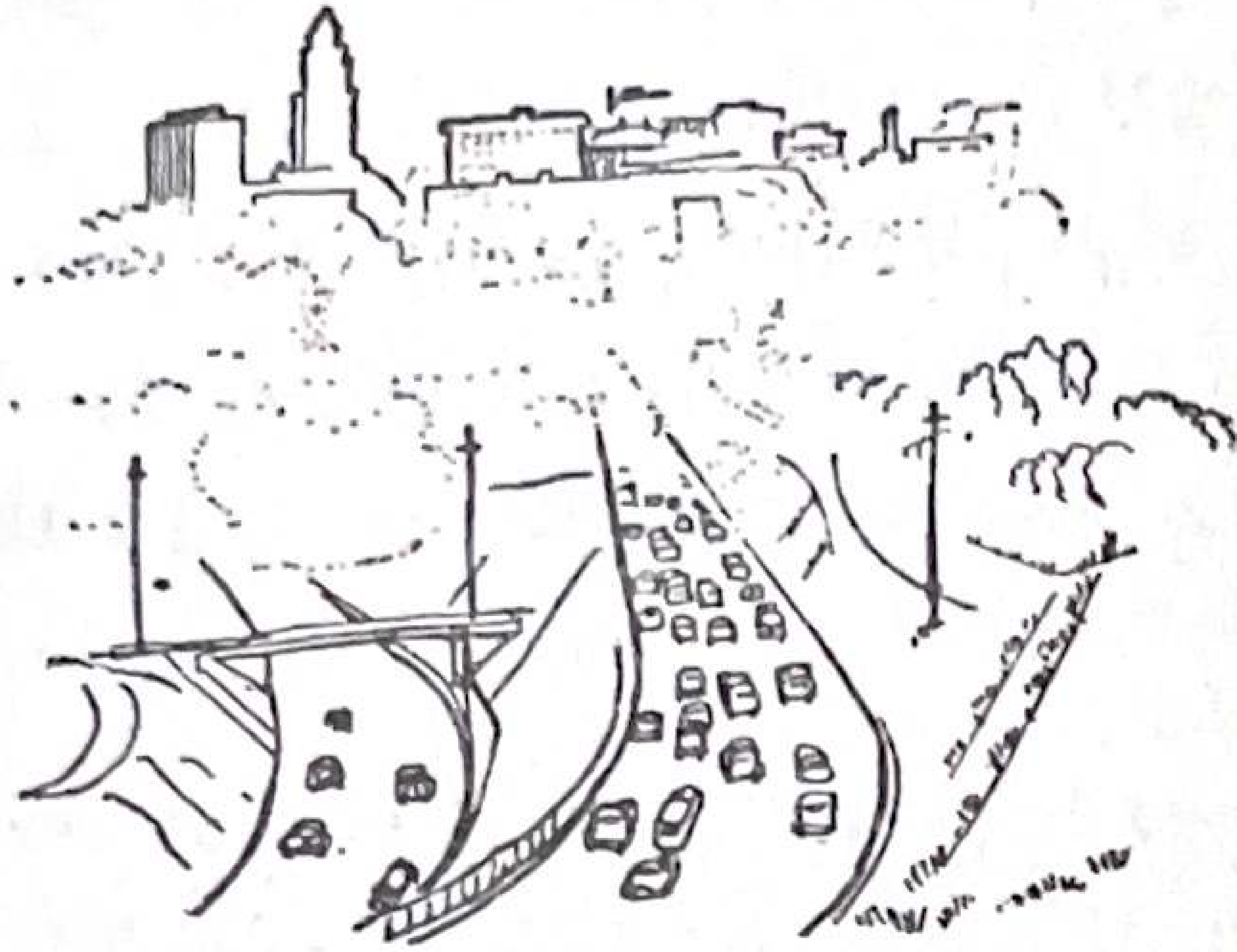


مدخل جراج انتظار تحت الأرض بميدان يونيون فى سان فرنسسكو .

تحت الأرض ، تحت العمارات التى يقصدها أصحاب السيارات مباشرة كما فعلت سان فرنسسكو تحت ميدان يونيون ، أو كما فعلت بيونس ايرس تحت دار الأوبرا ؛ وعلى الرغم من التكاليف الباهظة ينبغى شق طرق سفرية غاطسة أو على هيئة أنفاق ، كتلك التى تخترق سنترال بارك ، بدلا من تسليم

أرض المتنزه القيمة إلى شريط الأسمنت ثم تسميتها طريق المتنزه فيما بعد . . . فى مقدورنا أن نغزو مشكلة الزحام الزائد بشوارع الشاطئ بطريقة تجعل من السيارة وسيلة أبطأ وأقل لكفاءة المواصلات وذلك بإنعاش فكرة العبور السريع وهى خدمة عامة بدأت على أيدى « دائرة المقطورات » وسقطت كالدمية المكسورة فى حجر سلطات العبور المحلية .

ومما يبعث على السخرية أن النقل الحضرى بمدينة نيويورك ينقسم بمقتضى قانون الولاية بين هيئة طرق تحت الأرض من جانب وهيئات الطرق السفرية



السيارات تختنق وسط الضباب المختلط بالدخان فى لوس أنجيليس .

والجسور والأنفاق من الجانب الآخر . وعلى سبيل المثال . فإن هيئة عبور مدينة نيويورك وبرج تريبورد وهيئة النفق ، ينبغى أن تضم إلى الضريبة التى تحصل من السائقين والمستخدمة فى تحسين أسلوب العبور السريع للمدينة تحت مسئولية العمدة ولجنة التقدير بدلا من الولاية ، ويجب على هيئة ميناء نيويورك دفع إعانة من دخل ضريبة المكوس الكبير إلى نظام أنفاق الهدسون المخربة التى توفر العبور السريع بين نيويورك ونيوجرسى . إن إهمال العبور السريع فى سبيل الطريق السفرى « المسيطر » كما أسماه هنرى جيمس هو من هزليات

عصرنا الحالى ، خصوصاً بالنظر إلى التحسينات الكثيرة التى أجريت على نظام سكك حديد أمريكا العظيم التى تمت كهربتها أو التى تسير بالديزل جميعاً تقريباً .
إنها قمة العجز التى غالباً ما يتجاوز عنها « خبراء الكفاءة » فى سبيل قبول جعل النقل الحضرى إدارة خاصة ، بما يبدو أنه جزء من جنون « السلطة المستقلة » . ومن الطبيعى أن يتحتم جعل علبة الأكسجين الجديدة — وهى عبارة عن جهاز وسيط من اختراع يوجين هوودرى لإزالة أبخرة الجازولين المشبع بالرصاص من مستلزمات السيارات والأتوبيسات وسيارات النقل التى تعمل داخل حدود المدن . هناك طرق عديدة لجعل المدينة الأمريكية والسيارة أكثر ملاءمة ، تبدأ من العمارات الكبيرة حيث لا تعتدى السيارة على أكثر من أطرافها عند تخلصها من أبخرة الجازولين المؤذية . ويؤدى كل هذا إلى قبول مبدأ تخطيط المدينة الذى أثبت بالإضافة إلى التصميم المدنى أنه الطريق الوحيد لضمان سلامة أى مجتمع وجعله جميلا يجتذب الناس للعيش فيه .

بتأمل مناظر الفوضى هذه الأيام قد يهز الأمريكى رأسه ويعجب كيف يمكن للفوضى أن تستبدل بمباهج قد خططت من قبل . وفى أثناء الانهماك ، والحركة هنا وهناك ، والهدم والبناء ، يبدو الجزاء العرضى وكأنما قد أحدقت به تكاليف غير مشجعة . ولكن هناك سبب للتفاؤل إذ يبين تاريخنا أننا كنا أندادا للحالات الطوارئ غير العادية إذا ماأدركنا طبيعتها ومشكلتها . وإذا كان هذا الكتاب قد أكد النواحى الأهم لأمريكا التى صنعها الإنسان ، فما ذلك إلا لكى يعطينا شيئاً من التصور بالنسبة لتقاليدنا الغنية لبناء البلدة والمدينة مما قد طواه النسيان أو أصابه النكران . صحيح أن مدينتنا اليوم بها أبطال قلائل بيننا ، وأننا نضحى ببلداننا فى سبيل الطرق السفرية الرائجة . ولكن ذلك لأننا كنا ننظر فى اتجاه آخر . أنذر « فرنك لويد رايت » الذى يبنى — فى تناقض

ظاهر — متحفاً غير هادف فى قلب مدينة نيويورك . أنذر قائلا « حتى البلدة الصغيرة واسعة جداً ، ولسوف تنفس تدريجياً فى التطور غير الحضرى العام ، إن الريفية ، خلافاً للحضرية أمريكية وديمقراطية خالصة » . إن هذا الوهم عن ريفية أمريكا يحوم حول المعماريين ، والنقاد ، والروائيين ، ومحررى الصحف ومخرجى الأفلام السينمائية وجمهور أوبرا الصابون . إن سوبلاند ، بلاد « أوبرا الصابون » كما يقول لنا جيمس ثوربر « هى تخليد لأسطورة أمريكا القديمة عن البلدة الصغيرة » ولو أنها تأتينا على أمواج الأثير من مدينة الراديو الكبيرة ومن محطة التلفزيون . إن الذين يجدون الحياة القروية أكثر جاذبية ينبغى عليهم اليوم أن يأتوا بالمدينة معهم . إنها جزء من الحقيبة والمتاع وليس ثمة مفر منها . قد يجد رايت مباهج فى ويسكونسين هيلز أو صحراء أريزونا ، ولكن ينبغى على الزوجة الأمريكية فى مطبخها أن تقصر حلها عن الحياة السليمة على أوبرا الصابون . . . إن الأنودين (دواء مسكن للألم) قد طمس الحقيقة التى تحيط بنا .

ورأينا أن القوتين الأساسيتين للفنية ، اللتين أنشأتا المنظر الجديد هما السكة الحديدية والسيارة ، مع ما صاحبهما من اختراعات مبنية من الصلب ، والقوة الكهربائية والإلكترونيات فى شكل التليفون والراديو والتليفزيون والطيارة . لقد جعل كل هذا المدينة أمراً لا مفر منه وفجر المدن القديمة وقذف بها إلى مراكزها . ومن التطورات الجديدة الهامة دون شك فى التكنولوجية : الطاقة الذرية ، فهى بفوائدها المختلفة تؤكد إدراكنا بأنه يمكن للمدينة الآن أن تزداد اتساعاً . واللامركزية ، كما يدعوها مخططو المدن ، هى قوة لا يمكن مقاومتها بعد الآن . وإذا كان حقيقياً كما يصر المدافعون عن الصغر ، أن هذه القوى التكنولوجية الجديدة يمكن توجيهها نحو التخلى عن المدينة وإنشاء وحدات

عمل وسكن أصغر تنتشر على أرض البلاد ، فإنه يقابل تلك الحقيقة أن « إعادة التمركز » تستطيع أن تصحب « اللامركزية » فى إنشاء الحل الأوقع والأكثر قبولا للمشكلة . . . حل يتضمن علاقة صحيحة بين المدينة والبلدة والريف بأقل تشويش وخسارة للدفعة الثقافية . ليس فى « الصغر » حل لمشكلتنا اليوم ، فقد كان ضرورياً للمدينة فى عهدنا أن تفتت المجتمع الصغير « الذى يحتفظ فيه بالجمال ومختلف المصالح فى حدود وأشكال علاقة ضيقة » إن نموذج اليوم نموذج قابل للاتساع وإذا صاحبه التحول الخلاق فسوف ينمو حجماً وتعقيداً وثراء . ولا موجب للخوف من « التضخم » فالمسألة مسألة تحد يحمل نتائج حسنة إذا كنا جادين فى السيطرة على المشكلات . . .

تردد الأمريكيون فى قبول المساهمة فى المجتمع الحضرى ، تماماً كما لم يستطيعوا فى عام ١٩٠٠ أن يعوا معنى وقيمة الشركات المساهمة الضخمة والشركة المساهمة الضخمة التى مكنتنا من رفع مستوى معيشتنا بإنتاج كميات هائلة من البضائع بتكاليف أقل جعلت قيام نقابة العمال كجهاز حماية حقوق الإنسان فى وجه التقدم التكنولوجى أمراً لا مندوحة عنه . ولقد عمل إنتاج الجملة للسيارة ضمن غيره من النتائج على التقدم بالمهندس وفنيته لإعداد الطريق السفرى الممتاز والأنفاق العظيمة والجسور ليتكون منها كلها شكل مناسب لوسائل النقل السريع . وساعدنا المحافظون على الاحتفاظ بقطاعات بأكلها من الريف الأمريكى للنزهة وللاحتفاظ بثرواتنا الطبيعية . وأقام المقاولون أعلى عمارات فى العالم ، كان عدد منها لمجرد المباهاة ، والآخر للمشروعات ، والثالث للضرورة لبيان أنه يمكن للعمارة استخدام الفنية إلى آخر الطاقة البشرية . وغزا الإنسان الفضاء والزمن جاعلا من العالم وحدة ، ولكن لم يحدث فى المدينة بعد توسع على مستوى القرن العشرين إلا فى صورة فجة متعثرة

مع أن الأجهزة موجودة لاينقصها سوى بعض التطبيقات وإيجاد أجهزة قليلة جديدة .

يعرف كل واحد الآن أن نيويورك ليست جزيرة مانهاتان فحسب ولكنها منذ عام ١٨٩٨ أصبحت رسمياً وسياسياً خمس مقاطعات تمتد داخل لونج أيلاند وتشمل جميع ستاتن أيلاند . ولقد حاولت مدن أخرى مثل بوسطن ولجنة منطقة عاصمتها ، ولوس انجيلس ولجنة تخطيطها الإقليمية ، التحقق والتصرف فى « تضخم » بمختلف الطرق ، كالإضافة ومعونة الولاية والاتحاد وإنشاء السلطات الاستقلالية وغيرها من الأجهزة . ومع ذلك فإنه لم يتحقق ، غير الخبراء ، من أنه فى جميع أنحاء البلاد حيثما توجد مدينة من أى حجم يكون هناك جذب وتركيز هما قلب إمكانية التوسع الإقليمى الذى تم منه الكثير دون تخطيط أو اهتمام سابق . وهناك على الأقل ١٧٨ من هذه التركيزات . وأكثر من ذلك على الأرجح ، ما كان له تأثير أكبر يبينه مجرد حجمها . وفضلا عن ذلك فكثير منها متحد الحدود أو متقارب من بعضه مما يسمح باتحادها على صورة فعالة فى وحدة أكبر منها ذاتها . وكما ذكر الأستاذ جونز من ويسليان فإن نواة حضرية تمتد من بريد جبورت ، بكونكتيكت إلى سبرنجفيلد بماساشوستس تضم ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة فى منطقة أصغر فى الواقع من كثير من المدن الكبيرة . ويسافر الناس من وإلى هذه المنطقة إما للعمل وإما للهو ، وهم يسكنون من أطرافها مالا يزال يعتبر بلداناً ريفية سوف تكون لجميع الأغراض جزءاً مما سوف نسميه مدينة إقليمية . وفى المستقبل سيصبح للمدينة المظهر الجغرافى للإقليم أى عبارة عن منطقة على بعد خمسين ميلا من المركز الرئيسى للعاصمة ، وهى المنطقة التى تحددها محطة الراديو والتيليفزيون المحلية إلى جانب المسافة المعدلة وتوزيع جريدة العاصمة . وعلى الرغم من أن المدينة الإقليمية سوف تتخذ اسم العاصمة ، فسوف يحتفظ كل مجتمع داخل المنطقة بأهميته لسد الحاجات المحلية للناس .

ولكى يستفاد كلية من موجودات هذه المدينة الإقليمية ، ينبغى عمل الكثير لإزالة التفاوت والجهل والتعصب وتفكير « البلدة الصغيرة » السائد بدلا من التفكير الحضرى للقرن العشرين . وتدفع الصناعات ضرائب للمجتمعات المحلية التى تستقر بها ، بينما المجتمعات الأخرى التى ليس بها صناعات ينبغى لها أن تؤوى عمال تلك المصانع وأن تهيئ لهم الموارد لإنشاء المدارس للأطفال . والمجتمعات الأخرى التى بدأت بمناطق سكنية شاملة قد وطدت نفسها على إبعاد الصناعة عنها . وليس هذا فحسب بل الأسر ذات الدخل الصغير أيضاً . وعند إنشاء ضواح سكنية خالصة ، اكتشف أن دخل هذه الضواحى أصغر من أن يتحمل الإنفاق على المرافق التى تتطلبها الأسر المتذمرة التى كان لها فى المدينة على الأقل بعض التسهيلات الثقافية تستفيد منها ، فإذا بها الآن تدفع غالياً للمدارس والطرق والمكتبة الجديدة . إن الرغبة فى إبعاد الصناعة — لعدم إيجاد أرض تحمل ملاكا أمريكيين لا مستوى لهم — كان لها نتائجها التى لا مفر منها . فكان البيت الصغير الذى يجوز أن يدفع خمسين دولارا للأغراض المدرسية على هيئة ضرائب سنوية ، قد يكون به طفلان يتكلف كل منهما مائتى دولار بالمدرسة فى العام الواحد . وفضلا عن الاعتراف بضرورة إعادة النظر فى نظام الضرائب ، يجب على السلطات والجمهور أن يقتنعوا بأهمية وجود أجهزة صناعية هادئة لا دخان لها فى مواقع استراتيجية من مجتمعات الضواحى ، وذلك للمساهمة فى حساب الضرائب والمصروفات المدرسية ، ولتهيئة العمل والإقلال من مسافات التبادل . لقد قبلت فعلا المستودعات ومعامل الأبحاث وشركات الطباعة فى بعض المجتمعات ، ولكن يجب أن تمتد القائمة .

وينشئ المجتمع السكنى الخالص أيضاً بعض المشكلات ليس محتماً عليه حلها ، وتستقر سلسلة من ردود الفعل ، فلابد من هذه المشكلات حيثما يعيش



١ — مدينة سان فرناندو .
٢ — بيفرلى هيلز .
٣ — سانتا مونيكا .
٤ — كالفر سيتى .
٥ — سان بيترو (جزء من مدينة لوس انجليس) .
٦ — لونج بيتش .
٧ — باسادينا .

خريطة مدينة لوس انجليس ، وتضم ميناء سان بيترو والمجتمعات التى تضمها البلدية .

الذين يعملون عند الأثرياء . ما أعظم الفرق بين هذا وتقاليدنا الأمريكية التى كانت تسمح باختلاط جميع طبقات الناس كما يحدث الآن بالمجتمعات التى يعيش الناس فيها حيث يعملون . ينبغى أن يستبقى شىء من هذا الخليط فى المجتمعات الجديدة فهو أصح للديموقراطية التى لاشك سوف تتأثر إذا ما استمرت الضواحى السكنية فى رفض مشروعات الإسكان الشعبى ، والمؤسسات التجارية ، والصناعة أو معسكرات الاستجمام ، وبدونها سوف تبقى الضواحى عبارة عن أحجار ماس قد خفت بريقها وستتأثر المدينة أيضاً تمشياً مع الضواحى .

سوف تعنى المدينة الإقليمية مجهوداً تعاونياً بالنسبة لبعض الخدمات والضرائب والإدارة وحكماً ذاتياً بالنسبة لغير ذلك . ليس من الضرورى أن يعنى ذلك « تضخماً » بالنسبة للشئون الصغيرة التى يستحسن تناولها محلياً فلصوت الشعب فى الواقع أن يسمع على صورة أعلى وأكثر فاعلية عندما يشتد ظهور عدم التكافؤ بين البلدة والمدينة أو بين البلدة والبلدة . وبطبيعة الحال كان التعاون ملحوظاً فى تاريخ الحياة الحضرية بأكمله عندما حدد الهدف وفهم ، ولكن فكرة توسيع الوحدة الحالية إلى كل أكبر للحصول على حياة أفضل ، لم يستوعبها بعد كثير من الناس ، ومنهم هؤلاء الذين يحتلون مراكز عالية ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون فى الاعتراف بالتغيير عندما يرونه يحدث أمام أعينهم . إننا نتعثر فى بلاء امتداد آخر ، وليست هناك بعد القدرة على رؤية طريق السيطرة عليه التى كانت فى عهد أندرو هاسويل جرين الذى كيف جهاز الحكومة ليتلاءم مع حالة المدينة النامية قرب نهاية القرن .

إن فكرة « الإقليمية العليا » للفيلسوف الأمريكى « جوزياه رويس » ، التى يمكن اليوم تسميتها « المنطقية » تستطيع أن تجد جهازاً لها فى المدينة المنطقية أو الإقليمية . « إن الوضع الحالى للمدينة فى العالم بأسره كما فى أمريكا يحمل عبء رسالة اجتماعية جديدة يستطيع الريف فقط دون الأمة أن يحققها . فالتطور القوى للحياة الريفية المنظمة اليوم تنظيماً عالياً ليس لها من مكان إلا فى المدينة الإقليمية التى تضم جميع العناصر — كالصناعة والمساكن والزراعة والخدمات والمؤسسات التعليمية والثقافية العالية — اللازمة للحياة فى القرن العشرين . وبتنمية بلادنا للتنظيم الاجتماعى سوف يكون هناك مستوى مطلق وإقليمية أوفر . وكما رأى رويس تماماً فإن الإقليم استطاع حماية الفرد فى عام ١٩٠٠ وتستطيع المدينة الإقليمية اليوم تشجيع التطور

الفردى والتعاون الاجتماعى إذا ما اعترف بها وحدة اجتماعية جديدة للحياة القومية .

كيف يعن للمدينة الإقليمية أن تختلف اختلافاً كافياً عن المدينة الحالية لكى تستحوذ على التصور وتحرك الشعور بالعزة وتهيء السعادة الضرورية التى تفتقد فى المدينة التى نعرفها . . ؟ أولا سيكون لها موقع جغرافى كبير يضم جميع الأراضى التى تدخل تحت نفوذ المراكز الحضرية . وثانياً سيكون لها قاعدة اقتصادية عظيمة التباين فتضم الصناعة الخفيفة والثقيلة والتجارة الصغيرة والكبيرة والزراعة والخدمات (الإدارية والطبية والتعليمية والثقافية) وثالثاً ستكون على درجة من الاتساع تسمح بضم جميع المرافق لكافة أنواع النشاط الإنسانى ابتداء من استخراج المواد الخام إلى الاستمتاع بالطبيعة الفطرية والأوبرا والباليه والفرق السيمفونية ومتاحف الفن ومدارسه ومتاحف العلوم ومؤسسات الثقافة العليا . ورابعاً سيكون للمدن والبلدان داخل المدينة الإقليمية حكوماتها الخاصة يشرف عليها جهاز يشبه مجلس العاصمة شكلا ويحكم الجميع . وقد تحصل البلدان على منزلة المقاطعة ، وتنقسم المدينة المركزية لتكون مقاطعات مماثلة لكل منها رجالها الرسميون المنتخبون . إن اتحاد العاصمة بتورونتو فى كندا يضع معالم الطريق ، وعلى أى حال يجب على حكومات الولاية إعطاء البلديات قدراً أكبر من السلطة المحلية وقدراً أكبر من عائد الضرائب ، فمثلا ضريبة الجازولين التى يحتفظ بها فى ولايات كثيرة لإنشاء الطرق السفرية ، ينبغى أيضاً تخصيصها لإعادة التطور الحضرى ولتحسين العبور السريع . وخامساً سوف تستفيد المدينة الإقليمية من التخطيط حتى تتصل الوحدات الصغيرة بالكبيرة اتصالا سليماً ، فيمكن تنظيم التوسع بغية الحصول على شكل تستخدم فيه جميع الموارد ، وحتى

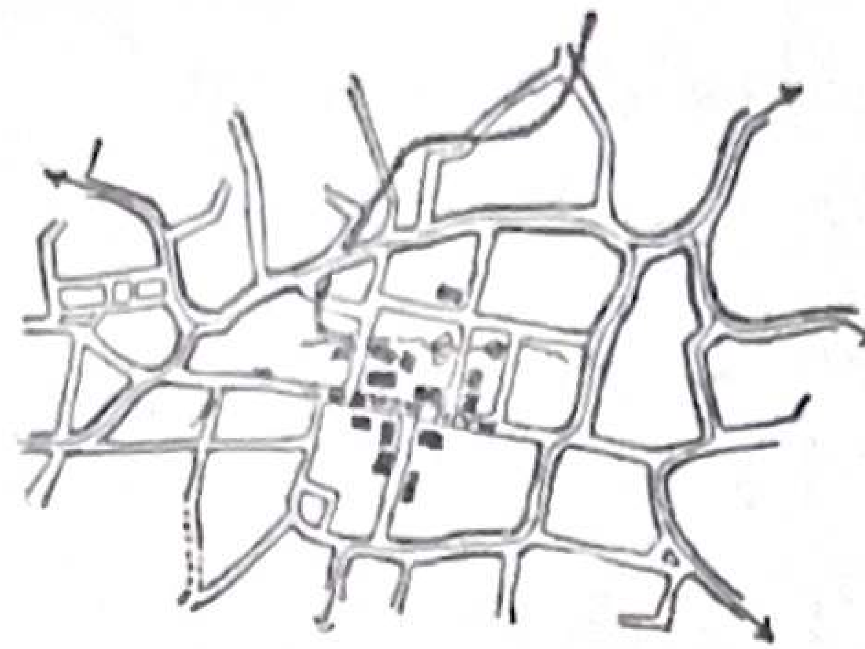
تحتفظ المجتمعات المحلية بصفاتها الشخصية داخل الإطار الكبير للعاصمة . وسادساً ، سيكون للفنون دور حاسم لإنعاش التقليد الأمريكى وجعل مجتمعاتنا أوفر جمالا من جميع النواحى .

٤ — التقليد الأمريكى .

إن دور الفن هو أكثر الأدوار إهمالا بالنسبة لجهاز من الأجهزة الضرورية لخلق المدينة الجديدة . فبينما تحصل برامج بناء المدارس وتخطيطات إنشاء الطرق على نصيبها العادل من الاهتمام ، نجد أن الفنون الجميلة لاتحظى بعد بما تستحقه فى الولايات المتحدة . وبعض هذا الإهمال يرجع إلى أن الفن يرتبط بالتقاليد ، وتقاليد أمريكا بالنسبة للفنون ليست بعد معروفة معرفة واسعة . قال المصور واشنطن أولستون لأحد تلاميذه « إن دراسة أعمال الأعلام القدماء سوف تؤهلك لتشرّب روحهم الفنية بطريق لاشعورى ، أما خلاف ذلك فسوف تقع بنفس الطريق اللاشعورى فى أسلوب معاصريك » .

يجهل اليوم كثير من الأمريكين الفائدة الكبيرة من وراء الإحاطة بالتقاليد — لتذويب المستقبل فى الماضى ، كما قال إيمرسون — ولإنقاذ مايستحق الإنقاذ ، ليس من الوجهة المادية فحسب وإنما من الوجهة الفكرية أيضاً . وإذا كان فى مقدور طرق التخطيط الاستعمارى للبلدة أن ترشدنا إلى بناء بلدان صناعية جديدة ، أو كان فى الميادين السكنية المتلاشية ما يساعد كنموذج للبناء فى العصر الذرى ، فلسوف نتصف بالبلاهة إن لم نستفد من الدرس . إن دواعى تذكر الأشياء الجميلة دائمة ، وهى ظاهرة فى كل مكان بالولايات المتحدة ، فمن تصميم منزل بمدينة بوسطن ، إلى نسب غرفة بويستوفر وشارع بسانتافى ، وحتى أكثر المجموعات بؤسا من المبانى ذات الإطار التى كانت تسمى نفسها بلدة فى مينيسوتا ، قد تصلح مسرحاً لعيد من الأعياد

أو تقليد من التقاليد مضيفة لونا على المحيط الداكن . يجب أن نكف عن فقدان كل هذا ونحن بعد لانعرف ولا نحيي ذكرى أصغر جزء مما نستطيع اليوم تسميته بشيء من الثقة تراثاً ثقافياً عظيماً ، ذلك التراث الذى يغطى البلاد بأسرها ويمتد خارجاً إلى أرض وعهود أخرى . ذلك التراث كله يدمر الآن من حولنا . . .



السهام تشير إلى مشروع تغيير اتجاه المرور حول مركز البلدة الاستعمارية القديم — ويد جفيلد بكونكتيكت ، فى دراسة تحت رعاية رابطة السيدات الناخبات ، اضطلع بها طلبة التخطيط بجامعة ييل .

ومن حسن الطالع أن بدأت هذه البلاد فى إعادة الكشف عن تقاليد فن العمارة والزخرفة ، وسوف نجد عودة لتاريخ هذه البلاد وتاريخ أوربا على صفحات « سجل العمارة » من عام ١٨٩١ إلى عام ١٩٢٠ ، وفى فهرست التصميم الأمريكى كما فى مسح المبانى التاريخية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية . ومن حسن الطالع أيضاً أنه أصبح فى نيوكاسل بديلاوير ، وونستون سالم بنورث كارولينا ، وفى إيكونومى بينسلفانيا ، ووليمزبورج بفرجينيا ، وفى قرية ديرفيلد بمساشوستس ، وفى نيو سالم بإيلنوى وغيرها ، أمثلة لمبانى البلدان التى تمتع البصر مستقبلا نتيجة لإسناد العمل إلى رجال الترميم والصيانة . ولقد ألم هذا الكتاب بعض الإلمام بالآثار التى يتعين بعد اكتشافها

وتصميما . ولسوف يمكن توجيه المستقبل طالما يتهل من معين الماضي .

ليس معروفاً بصورة عامة أنه في معظم مناطق البلاد ليس للمجتمع سلطة تنظيم استعمالات الأرض في نطاق حدودها فحسب بل — وهذا أمر دستوري تماماً — تنظيم تذوق مظهرها أيضاً . وبينما يتعرض الحصل موضوع إمكانية إلحاق الأذى الكبير تحت اسم « تنظيم التذوق » نرى أن جميع الاعتبارات القائمة على أساس المعرفة الثابتة بالفنون والتقاليد لها شرعيتها الكبرى . أو قد يبدأ مجتمع بعمل قائمة تحص الأخطار والحاجات والمستلزمات ، ثم كشف حساب يتضمن موارده من الفن المدني ابتداء من مقعد الحديقة المتواضع إلى تشكيلات التذوق على المستوى الكبير ، موفقاً بين مستوى العمل سواء قام به الاتحاد الفدرالي أو البلدية أو الولاية أو مؤسسة أو كان عملا خاصاً — وبين الاكتشافات التي جرت . وفيما يلي قائمة تحص قصيرة :

هل تتكدس في مداخل البلدان اللافتات المعترضة وحوامل الإعلانات الجانبية البالية والسيارات القديمة . . ؟

وهل استبدلت الأعمـــدة القبيحة المنظر وأسلاك المرافق بمواسير تحت الأرض ؟

هل هناك مركز اجتماعي جميل مصمم تصميما جيداً يعكس روح المجتمع . . ؟ وهل يحتوي على تسهيلات ثقافية مناسبة . . ؟ وهل أخذت في الاعتبار زخرفة الجدران واللوحات التاريخية المباني العامة . . ؟ وهل أقيمت النافورات وأنشئت الممرات والأقواس أو غيرها من معالم الفن المدني في أماكن يستطيع الناس فيها أن يستمتعوا بها كجزء من تخطيط المدينة . . ؟

هل اعتبر النحت جزءاً من عمارة البلدة والميادين العامة . . وهل كرم

المجتمع الشخصيات المحلية والوطنية والأحداث بالتماثيل أو النصب التذكارية الأخرى ؟ (كان المثال بارتولدي ينوي تذهيب تمثال الحرية على نمط القدماء . . الا ينبغي تنفيذ هذه الرغبة في وقتنا هذا . . ؟)

هل هناك تسهيلات وأمكنة في المجتمع للمواكب والاستعراضات والاحتفالات والمظاهرات . . ؟ يوجد في نيو أورليز مزخرف مدني لموكبها الخاص « ماردي جرا » . فهل للمدينة المذكورة زخرف للمهرجانات المحلية . . ؟ هل يحتفل بعيد ٤ يوليو والمناسبات الوطنية الأخرى طبقاً التقليد الأمريكي العظيم . ؟

هل للمجتمع متحف نموذجي له قالبه الخاص مثل المتحف الموجود بمعهد كارنيجي في بتسبورج حيث يستطيع الجميع مشاهدة صور من أعمال النحت العظيمة وواجهات بأكملها وكذلك نماذج للأبنية المشهورة ؟ يوجد لدى باريس وروما متاحفها ذات القالب الخاص ، فلم لا يكون هناك متحف للآثار الأمريكية والأجنبية في كل مدينة بالبلاد . . ؟ فسوف تساعد نسخ الأعمال الكبرى (بما في ذلك اللوحات) في الإلهام بالتصميم المدني .

هل هناك لجنة للفن المدني . . ؟ وهل هناك لجنة لتخطيط المدينة . ؟

هل تكفي مساحة المتنزهات وهل يكفي توزيعها حاجة السكان . . ؟ هل الموجود حالياً منها قد أصابه البلى . . ؟ وهل تحتوي على كفاية من المتنوعات العامة ؟ وهل استخدمت مناطق التسلية خارج المدينة . . ؟ وهل تغزو الطرق السفرية الجديدة نظام المتنزهات . . ؟

هل تطهر مناطق المساكن الحقيرة لتحل محلها المساكن الجيدة التخطيط . . ؟ وهل يعنى المسئولون بالعمل طبقاً لأفضل تقاليد التصميم الأمريكي ، أم

أنهم يبنون مجمّعات لاروح فيها فى صفوف يبعث منظرها على الملل .. ؟
هل بذلت أية محاولة لتجديد وإعادة تعمير المناطق الموبوءة التى تستحق العناية ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، هل يقوم الترميم على شىء من الخيال .. ؟

هل قام المجتمع بفحص تصميم وموقع المصنع .. ؟

هل يوجد بالضواحى ميادين مركزية مناسبة يميزها بناء مدنى جميل .. ؟ وهل أخذ فى الاعتبار بناء منازل الضواحى حول المحاكم والميادين بدلا من الشرائط التى لانهاية لها ؟ هل درست جميع إمكانيات الطرز المختلفة للمبانى وترتيباتها .. ؟

وهل يمارس التنظيم الفرعى .. ؟

هل هناك برنامج منظم للترميم خاص أو بلدى منظم تنظيماً جيداً لصيانة المبانى وأجزاء المجتمع ذات الأهمية التاريخية أو المعمارية .. ؟

هل هناك حالة أو تشريع يمنع الهدم أو التغيير بالمناطق التى يعتز بها المجتمع كما فى المنطقة التاريخية بتشارلستون أو « فيوكاريه » بنيو أورلينز ؟

ولجميع الأمريكين أن يسألوا أنفسهم السؤال التالى الخاص بالمدينة الإقليمية :

هل بذلنا مجهوداً دائماً لتزيين عاصمتنا الوطنية ، وهل توجد بمدينة واشنطن دار للاوبرا تعمل عليها فرقة دائمة للاوبرا .. ؟ وهل بها مسرح الباليه وغيره مزودة بمخازن وقاعة مناسبة للموسيقى وجميع الملحقات الأخرى لعاصمة كبرى .. ؟ وهل تبدو مدينة واشنطن جميلة على أسلوب جفرسون وبروميدى وبورنهام .. ؟ وهل قبلت عناصر الأبهة والفخامة والمجد والجمال هنا كمستلزمات أمريكية .. ؟

ثم كيف يتأتى جلب نعم الفن إلى المدينة الأمريكية .. ؟ إن

الولايات المتحدة تزداد كبراً وأهمية مما يتعذر معه تحسين مدننا عن طريق المعونة الخاصة فحسب ، فينبغى بذل كل مجهود لتشجيع العمل المشترك ومشروعات الحكومة ، بشرط واحد ، هو أن تقوم الحكومة بأكثر مما تقوم به اليوم .

ويقدم عالم الاجتماع الحضرى الراحل لويس ويرث السبب إذ يقول « اندمج مع الأساس المرذول للإيراد الحضرى ، الفرار من المناطق القديمة ، مما أدى بكثير من مدننا إلى شفا الإفلاس . فالبلديات وقد ورثت التزامات هؤلاء الذين نزحوا عن المدينة ، وأصبحت عاجزة عن معالجة الموجودات المكدسة فى الضواحى ، لاتستطيع دون معاونة الولايات والحكومة الاتحادية أن تواصل تقديم أقل الخدمات لجمهورها .. »

هذا هو مفتاح الحالة . تساعد الحكومة الفيدرالية فى عمليات الإسكان ، وإعادة التطور الحضرى وغير ذلك من المشروعات المدنية ، وتحذو حذوها حكومات الولاية فلا يمكن للمدن أن تضطلع بهذه المسئوليات وحدها ، ولا يحتمل أن تستطيع تطوير برامج للفن المدنى على المستوى اللائق وحدها . إن موضوع الفن المدنى كله ينبغى أن يعالج على مستويات الولاية والمستويات القومية والبلدية إذا كان ينبغى أن نصون المدينة من المجمعات السكنية التى تشبه الشكنات وما ينقصه الخيال من مشروعات إعادة التطوير الحضرى .

وكما قال ماكس ويرلى من معهد الأرض الحضرية للأمريكيين أخيراً « إننا قد بدأنا العمل الهائل نحو إعادة ترقيع مناطقنا القديمة بمشقة لضمها إلى مستوى مطالبنا الجارية للمنافع الحضرية . « وسوف تكون هناك تغييرات كبيرة فى المدينة فى العشرين سنة القادمة ، وسوف تبدو فداحة الخطأ لو أننا أعدنا بناءها مغفلين إدراك أن المدن هى ، أو أنها يمكن أن تكون ، من

الإنشاءات السامية للإنسان . تستطيع المدن وينبغى عليها أن تكون تقدمة واعية لمدنيتنا بدلا من أن تكون مظهراً سيئاً لها . ويجب أن يستخدم الفنانون فى جميع مشروعات إعادة التطوير الحضرى ، ليس لتخزين المبانى فحسب ، بل للمساهمة فى وضع شكلها وتصميمها ، كما ساهم ميشيل أنجلو فى « الكامبيدوجليو » بروما وكما ساهم أوجستوس سانت — جودنز فى تصميم الممر mall بواشطن .

ولكى نصل إلى هذه النتيجة من الضرورى أن نضع أساساً لبرامج المعونة الفيدرالية ومعونة الولاية للفن المدنى ، ويجب أن تكون من أولى الخطوات خطوة إنشاء إدارة للفنون الجميلة بواشنطن ، فالكونجرس لا يجهل هذه الضرورة ، إذ قدمت عدة بيانات تهدف إلى نفس الغرض فى السنوات الأخيرة ، من بينها بيان من الأونورابل تشارلس هاويل ، كان يضيف إلى ماتقدم تأكيداً بأن يستخدم الفنانون فى المبانى العامة (لتشجيع العمل والمعاونة فى إحاطة منازلنا وأراضينا وبلداننا بأقصى القيم الجمالية) . هذه هى كلمات جفرسون ، وفيها تذكرة بأن فى مجال الفن عملا كثيراً ينبغى أن يؤدى على جميع المستويات الحكومية .

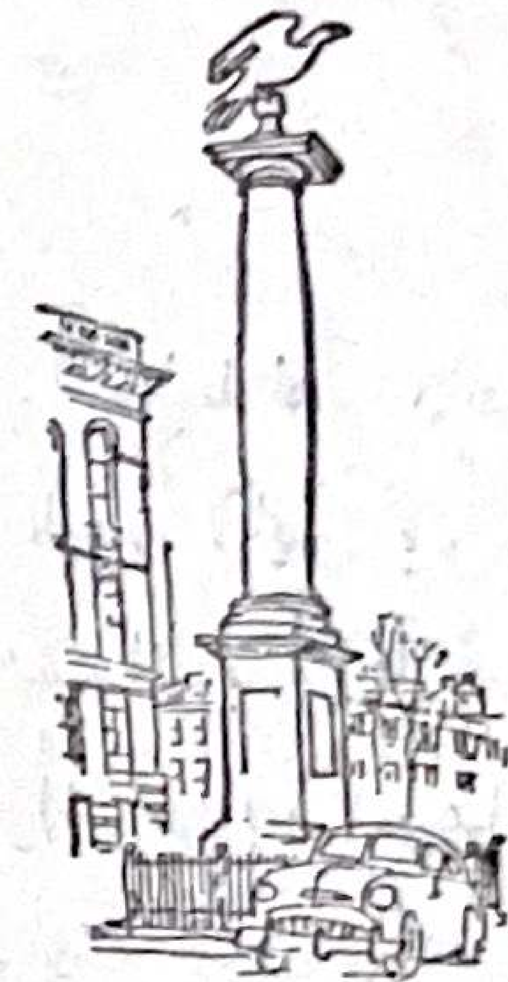
أما التشجيع من الجانب الأهلى فيتطلب اشتراكا محلياً لكى يصبح حقيقة . ففى الديموقراطية يجب أن توضع ينابيع الذوق الشعبى فوق كل اعتبار آخر . فالمبانى العامة والشوارع والمتنزهات كلها فى حاجة إلى اليد الملهمة للفنان وهناك سبب قوى لنأمل — كما حدث فى فرنسا فى القرن السابع عشر وفى فترة الجمهورية الفتية بأمريكا — أن يكون فى إنشاء الأعمال الشعبية الفنية حافز لمبادأة وابتكار رجال الأعمال والأفراد من المعضدين للسير فى هذا السبيل . ويلزمنا على مستوى الولاية والمستوى المحلى النهوض بلجان الفن المدنى .

ولدينا الآن أكثر من ألفى لجنة تخطيط محلية فى الولايات المتحدة ، ولكنها لم تضطلع بنشاط لجان الفن المحلية . أما لجان الفن البلدية بسان فرنسيسكو وبلتيمور وفيلادلفيا ونيويورك فهى من اللجان القليلة التى تركت على حالها ، إننا نحتاج فى مدننا إلى مزخرف الجدران ، وعامل الموزايكو ، والمثال ، وفنان المعادن والخشب والنسيج والزجاج والفخار وغيرها من الفنون الزخرفية ، نحتاج إلى إعادة تأكيد الرمزية والمجازية تتلمس عن طريقها أصول العزة المحلية والقومية ، نحتاج إلى هذه الأشياء على ناصية الشارع كما نحتاج إليها فى مشروع الإسكان وفى أرضية المدينة نفسها . ولن نحصل على المعونة الشعبية الكبيرة لتحسين مدننا مالم نضم إلى هدفنا المحاولة الإيجابية نحو جعلها أوفر جمالا . ولن يقتنع الناس بالعودة إلى المدينة المركزية ولن يبدوا حتى الاهتمام بها — مالم تتضمن برامج المستقبل لإعادة التطوير ، نهضة للفن المدنى وتكاتفاً من الفنانين لتزيينها . وهذا هو السبب فى ضرورة إنعاش فكرة تجميل المدينة وتوسيعها لتشمل إدراك الجميع الفن وإعانة الفنان جنباً إلى جنب مع عمليات الإسكان ، وإعادة التطوير والأشغال العامة التى نعينها منذ أن وضعت الحرب أوزارها والتى لا تقوم اليوم بالفعل بغير هذا السبيل .

هذا ويلزم أكثر من مجرد التخطيط لضرورات الاقتصاد والاجتماع لمقابلة مثالنا العليا المتسامية فى هذا العصر . ليس يكفى فحص الظروف الاقتصادية للأمريكيين وتحسين حالة معيشتهم المادية وإنما تجميل المجتمع وإيجاد الفنون فيهما تغذية للنفوس بالمسرات وإشباعها بعد جوعها الروحى وجوعها الوطنى . ويستأنف جوزيا رويس استغاثته قائلا « وأخيراً دعوا الإقليم يبحث أكثر وأكثر عن زينته ، هنا أتكلم عن موضوع كان مهملا فى جميع المجتمعات

الأمريكية وحتى عهد قريب إهمالا شائناً . على القمة المحلية فوق كل شيء أن تتركز — فيما يختص بالماديات حول التصميم على إضفاء وجاهة المجتمع وكرامته وجماله على محيطها . . . . نحن الأمريكيين نعرف الكثير من قوتنا المبكرة ووقتنا في مجتمعاتنا الجديدة على تجريح المناظر ، وقليل منها نصرفه على تجميل بلداننا ومدننا . . . . . (هنا كان يفكر فى موطنه سان فرنسيسكو) أستطيع أن أصر فى قوة على أنه ليس فى مقدور أى مجتمع أن يفكر أن أية إنشاءات ذات جمال حقيقى ومبان عامة لها قيمتها أو ما يحيط ببلدانه ومدنه من جمال هى من الترف الزائد على الحاجة . فإننا نستحق فى هذا الحين أن نتعلم كيف ننشئ وكيف نستمتع بما أنشأناه أو ضحينا من أجله . ولن تضيق آية إقليمية لدرجة الخطورة ما دامت تصحبها دائماً رغبة للتضحية بالكثير فى سبيل تشكيل المعاهد العظمى من العمارة السامية والمحيطات الجميلة مما يعبر عن القيمة التى يعلقها المجتمع على مثله العليا .

كان الفيلسوف وهو من قدماء المجندين للحكومة العالمية ، يعرف جيداً



عمود تذكارى بيكون هيل فى بوسطن صممه بولفنش عام ١٧٨٩ .

أن المجتمع العالمى يعتمد فى قوته على سعادة ورفاهية أصغر وحداته .

ونحن الأمريكيين قد أهملنا بصورة خطيرة الانعكاسات المرئية للحب الذى نكنه لبلادنا . وبينما سار تخطيط وتجميل المجتمع فى عهد وشنطن وجفرسون يداً واحدة فى أغلب الأحيان مع هذا الحب ، نسينا نحن أنه ينبغى أن يكون لأهدافنا وتطلعاتنا رموز تكسبها عبقرية الفنان صفة الدوام ، على هيئة الميادين الكبرى ، والشوارع العظيمة والغابات المعنى بشأنها ، والأبنية التذكارية والجدران التصويرية التاريخية واللوحات التعبيرية ، والمقار السامية ، والنافورات الجميلة وأقواس النصر وأعمدته .

الأعمدة . . ؟ على بيكون هيل ببوسطن خلف دار ولاية ماساشوستس يقوم عمود دورى يحمل نسراً أمريكياً صممه تشارلس بولفنش وأقيم عام ١٧٩٠ على ما كان وقتذاك قمة عارية للتل . وأقيم العمود لتخليد ذكرى أبطال الثورة ، واليوم فى ظل دار الولاية يقوم العمود وسط ساحة انتظار ، وعلى الفضوليين أن يشقوا طريقهم وسط السيارات ليلقوا عليه نظرة عن قرب ، وفيما يلى الرسالة التى نقشت على قاعدته والمخصصة للسيارات الصامتة .

أيها الأمريكيون
عندما تشع من هذا السمو
مشاهد الخصب الناضرة
للتجارة المزدهرة
ومقار السعادة الاجتماعية
تقابل أبصاركم
فلا تنسوا هؤلاء
الذين بكدهم

قد هيئوا لكم

هذه النعم .

تقوم أعمدتنا في ساحات الانتظار ، وتخطيطات مدننا وتصميماتنا المدنية متناثرة أمام هجوم الطرق السفرية ، وقوتنا مقصورة على المتاحف . إن عود بولفنش ما هو إلا ومز لإهمالنا . دعونا نكتشف أمريكا مرة أخرى فإننا إن أردنا صيرورة مدننا ، ينبغي علينا اكتشاف أصل المجتمعات الأمريكية ، والاطلاع على القوى التي شكلتها ، ثم تعلم احترام الريف الذي يحيط بها ودراسة الفنون التي أعطتها الجمال . ونستطيع والفرصة الاقتصادية في متناول اليد ، أن ننشيء مجتمعات وبلداناً ومدناً جديدة تشكل في الحال فخراً للمنطقة وفخراً للأمة ومجداً لأمريكا التي تستطيع أن تقدمها للعالم .

الجزء التاسع

العصور السبعة للمدينة الأمريكية

دليل للعوامل المميزة المرتبطة بنمو ، وبناء وتخطيط المجتمع الأمريكى .

التطورات مذكورة ضمن فتراتها الأهم وليس بالضرورة فى وقت حدوثها .



وجه ختم الولايات المتحدة . كان بنجامين فرانكلين وآخرون أصحاب فضل فى هذا التصميم ، يشاهد هذا الرسم على أهم صورة له على ورق البنكنوت من فئة نصف الدولار .

العصر الأول للمدن ١٦٠٧ — ١٧٧٦

النموذج الاستعمارى

الاقتصاد الوطنى : الرأسمالية التجارية الاستعمارية .

عوامل سياسية واجتماعية : مذهب كالفين .

البروتستانتية الأنجليكانية .

الرق .

الخدم بالتعاقد .

سلفيات مالك الأرض .

وضع اليد .

نظام الزراعة بقطع الأرض الطويلة .

الهجرة — الإنجليز .

الزنوج .

الأيرلنديون الجنوبيون

الألمان .

النقل : المحيط والنهر

مركبة السفر العمومية وعربة نقل البضائع

التكنولوجية : الصناعات اليدوية .

المصانع الصناعية التى تدار بقوة الماء .

المسابك .

أنواع المبانى الهيكلية والوظيفية : الهيكل ذو الإطار المشق باللسان والمنقور .

كرخ الكتل الخشبية

المنزل المبنى من الآجر ذو الطوابق الثلاثة .

منزل المزرعة .

الطراز المعماري : صدى العصور الوسطى

الباروك الأمريكي (الاستعماري).

الحديقة الرسمية.

التخطيط والتصميم المدني: التخطيط المستقيم أو الشبكي.

التخطيط الباروكي (آثار التخطيط الشعبي).

بلدان بنسلفانيا (الهولندية) المخططة.

تصميمات التحصين.

الساحات الشعبية الخضراء والميادين.

الأشكال الحضرية والأنماط: بلدة السوق الزراعية (نيوانجلاند، قليج، أي قرية نيوانجلاند بيلدون تاون).

المجتمعات الدينية (بيت لحم).

الموانئ البحرية ومدن التجارة (بوسطن — نيويورك — فيلادلفيا — تشارلستون)

بلدان المحاكم الجنوبية (جلوستر ويوركتون)

العواصم الاستعمارية (أنابوليس — وليمزبورج).

بلدان المركبات (موريستاون).

بلدان الزراعة الملاحية (هارتفورد وريتشموند).

البلدان المحصنة (الباني وفردريكا).

العصر الثاني للمدن ١٧٧٦ — ١٨٢٥

الجمهورية الفتية

الاقتصاد الوطني : الرأسمالية التجارية الوطنية

العوامل السياسية والاجتماعية: الثورة الأمريكية (١٧٧٦ — ١٧٨١)

التحركات الأولى صوب الغرب إلى ما بعد الأليجيني

نظام ملكية العقار الثابت

شراء لويزيانا (١٨٠٣)

حرب عام ١٨١٢

الهجرة الإنجليزية

« الفرنسية

النقل : المحيط والنهر

بوابات المكوس

التكنولوجية : الأجهزة الصناعية الصغيرة

مصانع النسيج

أنواع المباني الهيكلية والوظيفية: منزل الصف الحضري

بورصة التجارة

مبنى الحكومة

الكليات

المجامع العلمية

المسارح

الطراز المعماري : استمرار الباروك الأمريكي

الأمريكي الروماني

الحديقة المنظرية الإنجليزية

حدائق النزهة الحضرية

التخطيط والتصميم المدنى : التخطيط التذكارى المتشعب (واشنطن — بافالو — ديتروبت — انديانا بولنس)

الميادين السكنية

الأشكال والأمثلة الحضرية : بلدة السوق (روما — ليكسنجتون)

البلدة الصناعية الصغيرة (بوتوكيت)

عواصم الولايات (مونبيليه — كولومبيا)

العاصمة الوطنية (واشنطن)

الينابيع (بولستون — ساراتوجا — فيرجينيا — سبرنجز)

العصر الثالث للمدن ١٨٢٥ — ١٨٥٠

العصر الرومانتيكى

الاقتصاد الوطنى : الرأسمالية الصناعية .

العوامل السياسية والاجتماعية : نهضة الكاثولوكية الرومانية

المورمونية

الثورة الصناعية الأمريكية

افتتاح قناة إيرى (١٨٢٥)

الحرب المكسيكية (الاستيلاء على تكساس وكاليفورنيا)

الاندفاع نحو الذهب بكاليفورنيا

الهجرة — الأيرلندية

الألمانية

استمرار الهجرة الإنجليزية

النقــل : النقل بالمركب البخارى

النهر والقناة

الأومينيوس الذى تجره الخيل

السكة الحديدية للمسافات القصيرة

التكنولوجية : المصانع الكبيرة التى تحركها القوى المائية

ضوء الغاز

مناجم الفحم (الأنثراسيت)

أنواع المبانى الهيكلية والوظيفية : الهيكل ذو الإطار البالونى — البنوك

القصر الجنوبى — الفنادق

دور الجمارك — الفيلات

المستودعات

الطراز المعماري : الرومانتيكي الناهض : اليوناني الناهض

القوطي الناهض

التوسكاني الناهض

الحديقة الرومانتيكية

(أندرو جاكسون داونتج)

، المدافن القروية ، (مدافن مونت أوبورن — كامبردج)

التخطيط والتصميم المدني : ميدان دار الحكمة بالغرب الأوسط وأقصى الجنوب

(بيوريا وأكسفورد)

متنزه شاطئ النهر (نيوريتشموند باوهيو)

الأشكال والأمثلة الحضرية : البلدة الصناعية (لوويل — لورنس)

المدينة التجارية الصناعية (نيويورك — فيلادلفيا)

مدن النهر والقناة (سنسناتي — سان لويس — روشستر)

بلدان التعدين المبكرة (بوتسفيل — كاربونديل)

بلدان الخشب (بنجور)

المجتمعات الخيالية والطائفية (نيوهارموني — أونيدا)

بلدان الصناعات المعدنية (هوساتونيك فالى — تاونز)

بلدان الطرق المصفوفة (نيوكونكورد — سنترفيل)

العصر الرابع للمدن ١٨٥٠ — ١٨٨٠

عصر البخار والحديد

الاقتصاد الوطني : رأسمالية الأعمال المالية — الفترة الأولى — نهضة رجل المصارف .

العوامل السياسية والاجتماعية : الحرب الأهلية (١٨٦١ — ١٨٦٥)

تحرير العبيد

قانون هومستيد (١٨٦٢)

ثلاثة خطوط حديدية عبر الأليجيني (١٨٥٢)

السكة الحديدية عابرة القارة (١٨٦٩)

الإضرابات الكبرى الأولى

الهجرة : الألمانية — السويدية

الأيرلندية — اليهودية

الإنجليزية — الكندية

النقل : أول عهد للسكة الحديدية (بدء شبكة السكة الحديدية)

العربة التي يجرها الحصان .

الجسور الصلب .

الخطوط الحديدية للبضاعة .

التكنولوجية : المصانع ذات القوى البخارية — التلغراف

تعدين الفحم (البيتوميني) — حفر آبار البترول

تعدين Non – ferrous — الآجر المضغوط

البناء الحديدي

أنواع المباني الهيكلية والوظيفية: المباني الإيجارية المبنية من الخشب والآجر

الواجهة الحديدية المطروقة .

المنازل المبنية من الحجر البني (الشرقية)

والمجمعات التجارية

المخازن التجارية الكبرى

عداد الغاز

المدارس الابتدائية العامة

الطراز المعماري : النهضات المنظرية

القوطي الكنسي

القوطي الروسكيني

الإمبراطورية الثانية (السقف الجمالون)

فيوليت لودوك

ايستليك

ر . نورمان شو

كوين (الملكة) آن

ريتشارد سون الرومانسي .

الحديقة المنظرية (فريدريك لو أولمستيد)

التخطيط والتصميم المدني : تخطيط الضاحية من الخطوط المستقيمة والمنحنية

(لويلن بارك ن . ج ريفرسايد — ٣)

الشارع السكني الكبير

المتنزه

الأشكال والأمثلة الحضرية : مدينة السكة الحديدية (فيلادلفيا — شيكاغو)

بلدان الفحم البيتوميني (كونلسفيل)

بلدان التعدين الغربية (فيرجينيا سيتي — سيلفر —

بلاسفيل — بوت والذهب والفضة والنحاس الأحمر)

بلدان الرواج البترولي (تيتوسفيل)

بلدان الراحة (نيوبورت — اتلانتيك سيتي)

العصر الخامس للمدن ١٨٨٠ — ١٩١٠

المدينة النامية

الاقتصاد الوطني : رأسمالية الأعمال المالية ، الفترة الثانية .

ظهور الشركة المساهمة .

عوامل سياسية واجتماعية : تدعيم شركة ستاندارد أويل إمباير .

زعامة ج . ب مورجان للسوق المالية بنيورك (١٨٧٩ — ١٩١٠) نهضة توزيع الجملة (أول مخزن تجاري لوولورث — ١٨٧٩)

جيش الخلاص .

نظرية هنري جورج الضريبة الفردية (١٨٧٩)

الكنيسة الاجتماعية   تشريع المصنع .

جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات

ظهور نقابات العمال .

التعليم المهني   النادي الريفي

بيت الاستيطان   متنزهات اللهو

قانون الإيجار .

الهجرة — الإيطالية   السويدية

التشيكوسلافاكية   النرويجية

المجرية   اليونانية

الألمانية   اليابانية

اليهودية   البولندية

الأيرلندية   الكندية

النقل : الفترة الثانية للسكة الحديدية (الشبكة الكاملة للسكة

الحديدية) السكة الحديدية المعلقة — مركبة الأسلاك

الترولى الكهربائى — طريق تحت الأرض

التكنولوجية : الهيكل الصلب للبناء — التليفون

المصانع ذات القوى الكهربائية — بلاط (التيراكوتا) الطين المحروق

النور الكهربائى — آلات الأعمال

المصعد

أنواع المبانى الهيكلية والوظيفية : العمارات المرتفعة ، (ناطحات السحاب المبكرة)

بيوت الشقق (الشقق الفرنسية) .

المكتبات العامة .

متاحف الفنون والعلوم .

البيوت الواسعة بالبلدان

أبنية المكاتب ذات الإطار الصلب .

مصانع الصلب الفولاذية .

نهايات السكك الحديدية المدعمة .

المستشفيات العامة .

الطراز المعمارى : النهضة الأمريكية — الطور الأول : هنت — ماكيم — وايت — بورنهام — جيلبرت الانشقاق المنظرى (سوليفان — رايت — بورسل — والمزلى — جرين وجوين) .

نهضة الحديقة الرسمية (بلات — جريبر)

التخطيط والتصميم المدنى : التخطيط التذكارى .

(تجميل المدينة) — ميادين السكة الحديدية

المراكز المدنية — ساحات الجامعات

الأشكال والأمثلة الحضرية : مدينة العاصمة (نيويورك) .

مدن السكك الحديدية الصناعية (مدن الكالومت) .

ضواحى السكك الحديدية السكنية (جرينتش — تشستنت) .

بلدان السكة الحديدية والسوق (كريت — دورشستر)

بلدان الفولاذ (جارى — اليكيبا) .

بلدان النسيج الجنوبية (كانوبوليس) .

العصر السادس للمدن ١٩١٠ — ١٩٣٣

مدينة الأبراج

الاقتصاد الوطنى : رأسمالية الأعمال المالية — الفترة الثالثة — ظهور إنتاج الجملة .

عوامل سياسية واجتماعية: هنرى فورد يقدم إنتاج الجملة للسيارة (١٩١٣)
مؤسسة دوكنلر (١٩١٣)
الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨)
شركة العقار
ظهور العلاقات العامة والإعلان
التعليم التقدمى
ضريبة الدخل الفيدرالية (١٩١٦)
تحريم الخمور
الطرق السفرى الدائر للريف (١٩٢٧
هجرة الزنوج من مدن الجنوب إلى مدن الشمال
ركود الهجرة

الإيطالية	البولندية
الألمانية	الكندية
الأيرلندية	المكسيكية
الإنجليزية	

النقل : عصر القضبان والسيارة
الطرق السفرية.

التكنولوجية : السيارة وسيارة النقل والأوتوبيس
. السينما
الراديو .
الصناعة الكيميائية .
المعادن الخفيفة والسبائك .
مصانع سحب الصلب ذات السرعة العالية .

أنواع المبانى (الهيكلية والوظيفية): ناطحات السحاب على هيئة الأبراج .
محطة القوى الكهربائية .
قصور السينما .
الكافيتيريا .
متجر المتنوعات .
المدرسة العالية المدعمة .
المراكز الطبية
محطة البنزين — الجراج .
شقق ذات الحدائق .

الطراز المعمارى : النهضة الأمريكية — الطور الثانى — الطراز القوطى فى الكلية وناطحة السحاب .
النهضات الاستعمارية والكلاسيكية .
النهضة الأسبانية الأمريكية .
فنون الزخرفة (الحديثة)
الزخرفة الداخلية كمهنة .
المتنوعات فى الحديقة الرسمية .

التخطيط والتصميم المدنى : الخطط الرئيسية لاستعمال الأرض .
مدينة الحديقة ومنطقة الضواحى .

الأشكال والأمثلة الحضرية : مدينة السيارة (ديترويت — لوس انجيليس)
بلدان تكرير البترول (بايون — تكساس سيتى)
مجتمعات المضاربة السكنية (كورال جابلز — لونج بيتش)
مجتمعات الإسكان الحربى (ذى فيرفيو)
بلدان صناعة المعادن (ميدلتون)
ضواحى الحدائق (فورست هيلز جاردنز — رادبورن)

العصر السابع للمدن ١٩٣٣

المدينة الإقليمية

الاقتصاد الوطنى : الرأسمالية التعاونية — التجارة المشتركة ومشروع الحكومة المصرفى . والزراعة وتمويل الإسكان ، والبحث العلمى .

عوامل سياسية واقتصادية : الكساد الأكبر (١٩٢٩ — ١٩٣٦)
شركة تمويل إعادة البناء (١٩٣٢)
حركة النظام الجديد
إدارة تينيسى فالى (١٩٣٣)
إدارة الإسكان الفيدرالية (١٩٣٤)
إدارة الولايات المتحدة للإسكان (١٩٣٧)
إعانة الحكومة للفنون (١٩٣٣ — ١٩٤١)
التأمين الاجتماعى
خدمات الصحة العامة
نقابات العمال الصناعيين
الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥)
الأمم المتحدة
الإعانة الفيدرالية لإعادة التطوير الحضرى (١٩٤٩)
التجديد الحضرى (١٩٥٤)

النقل : عصر السيارة — الطرق السريعة
سيارة النقل والأمنيبوس — الأنابيب
الجسور ذات البواكى الكبيرة — الطيران
أنفاق العربات والسيارات

التكنولوجية : آلات البناء .

إنتاج الجملة للمواد الاستهلاكية المتينة .

إتقان التوزيع بالجملة .

التليفزيون

الطاقة الذرية

الإلكترونات

أنواع المبانى الهيكلية والوظيفية : الإسكان الرخيص التكلفة

منازل من إنتاج المصانع

الفنادق التى تؤوى السيارات أيضاً .

حظائر المقطورات

مراكز الشراء الإقليمية

مصانع الطابق الواحد تخدمها سيارات نقل داخلية

الطراز المعمارى : الوظيفية العصر الوظيفى

اتجاهات التصميم الصناعى الكلاسيكية المجردة

التخطيط والتصميم الحضرى : التخطيط الإقليمى

تخطيط منطقة العاصمة

ضبط التقسيم الفرعى

تخطيط الطرق السفرية

عادة التطور الحضرى

الأشكال والأنماط الحضرية : المدينة الإقليمية

ضواحى عنابر النوم (ليفتاون)

مشروعات الإسكان الخاص والعام (ستويفسانت

تاون — نيويورك — منازلجين أدامز — شيكاغو

إعادة التطور الحضرى (جولدن ترايانجل — بتسبورج — منطقة تمبل ستريت فيلادلفيا) .

بلدان النطاق الأخضر (جرينديل) .

بلدان الطاقة الذرية (أوج ريدج — هانفورد) .

البلدان الصناعية الجديدة (موريسفيل) .

٣٥

سجل العرب
القاهرة